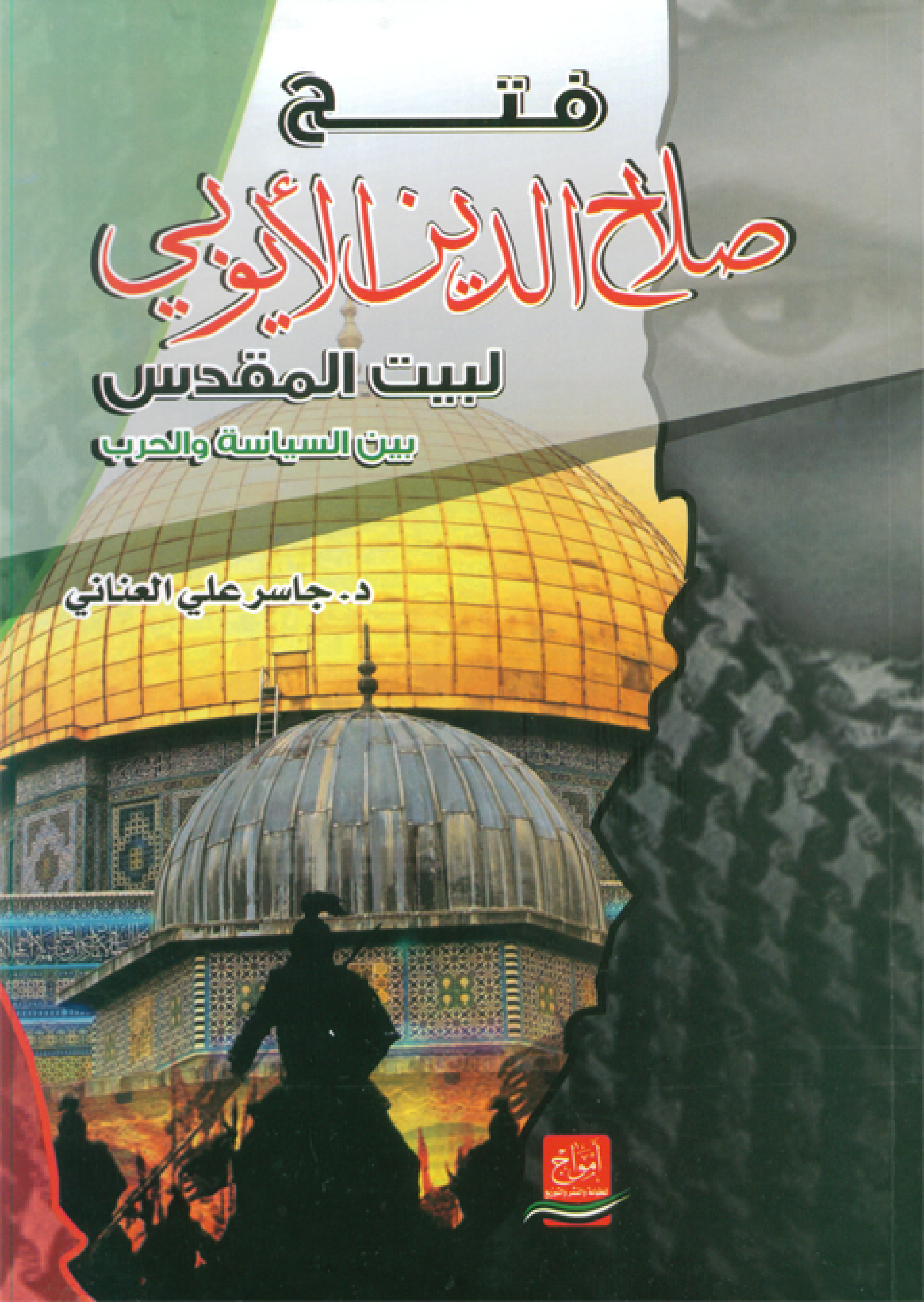

فتح
صلاح الدين الأيوبي
لبيت المقدس
بين السياسة والحرب
د. جاسر علي العناني
أمواج



فتح صلاح الدين الأيوبي لبيت المقدس

(بين السياسة والحرب)


الذخيرة العربية

فتح صلاح الدين الأيوبي لبيت المقدس

(بين السياسة والحرب)

الدكتور

جاسر علي العناني





الطبعة الأولى



2012



رؤيتنا: العلم والثقافة أساسان متينان للحياة السوية على طريق النجاح والعمل الإبداعي

رسالتنا: نشر الإبداعات في شتى صنوف العلم والمعرفة بما يسهم في التطور مع المحافظة على الموروث لإعداد جيل صالح يرتقي بالأمة نحو الآفاق ويضعها في صدارة الأمم.

قيمنـــا: منارات ترشدنا لتحقيق رؤيتنا ورسالتنا

المؤلف ومن هو في حكمه : جاسر علي العناني

عنوان الكتاب : فتح صلاح الدين الأيوبي لبيت المقدس (بين السياسة والحرب)

بيانات الناشر : أمواج للنشر والتوزيع، عمان – الأردن ٢٠١٢

عدد صفحات الكتاب : ٣٢٨ صفحة

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية. : (٢٠١٢/٥/١٧٦٥)

الرقم المعياري الدولي (ISBN) : ٩٧٨٩٩٥٧٨٢٥٨٢٩



أمواج للنشر والتوزيع

الأردن – عمـان

ماركا الشمالية – دوار المطار – ماركا سنتر

تلفاكس: ٠٠٩٦٢٦٤٨٨٨٣٦١

E-mail: amwajpub@yahoo.com

للطباعة والنشر والتوزيع



الإهــداء

إلى أهل بيت المقدس

الذين يرقبون فجراً

لا بد أنه آت بإذن الله

د.جاسر العناني


الذخيرة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بعد ان اطلعت على الكتاب الوثيقة للصديق الدكتور جاسر العناني وعلى ما بذله من جهود في البحث والتوثيق العالي للاحداث فان هذا الكتاب يستحق الدراسة والوقوف على ما ورد فيه من احداث.

فالفتح الصلاحي لبيت المقدس سيظل شامة مضيئة في غرة تاريخ العرب والاسلام، يبين سيرة قائد اخلص النية وسخر كل الامكانيات لهذا الفتح العظيم.

فمدينة القدس وهي توأم مكة مهبط الوحي على الرسول صلوات الله عليه جزءاً اصيلا من عقيدة الامة والعناية بها وتحريرها يدلل على مدى تعلق الامة بعقيدتها وبهذا المبدأ العظيم الذي نشره الرسول الكريم اضافة الى اسرائه اليها ومعراجه منها الى السماوات العلى، هذا الحدث الذي يعتبر مفصلا هاما في تاريخ المسلمين وعقيدتهم.

فأسر هذه المدينة واحتلالها يدلل على ان هناك خللا ينتاب العقيدة في النفوس ،فلا يستقيم الحديث عن عقيدة صحيحة للمسلمين في ظل السكوت على استباحة هذه المدينة ومقدساتها مهما بلغت هذه الامة من مظاهر الحضارة والثراء حيث ان هذا يعتبر منقوصا ولا معنى له في ظل وجود احتلال بغيض يدنس هذه المدينة ومقدساتها.

ولا اظن ان الشعور بالمهانة والضعف يفارق نفوس الغيارى من المسلمين لحظة واحدة امام هذا الواقع الذي يلف المدينة.

وستبقى سيرة الفتح الصلاحي لهذه المدينة نبراسا مضيئا على مرّ العصور في كيفية التعامل مع الغاصبين مهما طال مكوثهم وبلغت قوتهم.

هذه السيرة العظيمة لهذا الفاتح العظيم تقدم المنهج وترسم الطريق واضحة جليّة امام كل من يريد للقدس ان ترجع الى حظيرة الاسلام مدينة للحب والسلام وتقدم الدروس التي يجب ان يلتفت اليها المسلمون في سبيل تحريرها وعزتها.

ولا يفلح قوم لا يلتفتون الى تاريخهم واعمال عظمائهم في سبيل رسم مستقلهم والحفاظ على كينونتهم.

أ.د. محمد صالحية



مقدمة



مقدمة:

إن المتأمل في أوضاع مدينة القدس منذ نشأتها يلاحظ شيئاً تكاد هذه المدينة أن تنفرد فيه دون سائر الأماكن في هذا العالم، فناهيك عن قدسيتها وأنها مدينة الأنبياء ومهبط وحي السماء ومدينة الإسراء والمعراج لخاتم الأنبياء والمرسلين، فإنه لم يعرف في تاريخ المدن ان مدينة قصدها الغزاة والفاتحون بقدر ما قصدوا هذه المدينة وهددوها، وحاصروها، وذاقت من الويلات ما ذاقت عبر تاريخها الطويل.

وكذلك من الملفت لنظر أيّ متأمل أو باحث في تاريخ هذه المدينة أن جميع الأحداث التي تدور في هذه المنطقة وأقصد البلاد المحيطة بها، لو دققنا بها النظر لتبيّن أنها تشكل سبباً لها بشكل مباشر أو غير مباشر، وهذا ما يجعل الأسئلة تتداعى حول وضعها وأهميتها بشكل غير محدود.

ولكن الصراع الأبرز في تاريخ هذه المدينة هو ذلك الإدعاء بملكيتها من قبل قوم لا يمتّون إليها بصلة من قريب أو بعيد وإنما مرّوا بتاريخها مروراً عابراً مثل ما مرّ غيرهم من الغزاة، ولم يتركوا أي بصمات في تاريخ هذه المدينة، وإنما أهمية هذه المدينة وقدسيتها وما ترمز إليه، كل ذلك أرادت الحركة الصهيونية أن تستغلّه وتوظّفه لأهدافها الإستعمارية، ولن تجد مكاناً آخر في الدنيا يلقى هوىً في النفوس مثلما تلقى هذه المدينة في نفوس من تريد الحركة الصهيونية استغلالهم ونهب أموالهم في سبيل تحقيق أهدافها.

حيث توهم الحركة الصهيونية أناساً لا يسمعون بهذه المدينة ويتفرقون في شتى بقاع الأرض أن لهم إرثاً في هذا المكان وأن لهم هيكلاً[1].

مهدوماً لا بد من إعادة بنائه وبهذه الذرائع التي لا تمتّ إلى الحق والحقيقة بشيء يجمعون الأموال ويشترون الذمم ويكسبون التعاطف والتأييد من الحكومات والدول،

(١) ذلك الهيكل الذي يزعم اليهود أنه من أعظم الآثار في تاريخهم وتظهر كل آثار الأمم وأبنيتها العظيمة إلا هيكل اليهود الذي لا يظهر منه حجر واحد رغم كل جهود التنقيب والبعثات الأثرية فأين هذا الهيكل؟!.

ويرتكبون أبشع الجرائم في حق أهل هذه المدينة وأهل فلسطين جميعهم بل في حق أرضهم وشجرهم، كل ذلك لتحقيق هدف الصهيونية الذي يرمي إلى جمع ما يستطيعون من اليهود من شتى بقاع الأرض وتوطينهم في فلسطين على حساب أهل فلسطين وعلى حساب أرضهم وبناء الهيكل وإقامة دولة اليهود انتظاراً لقدوم ملك اليهود.

بهذا التفكير المقيت وبهذه العنصرية، وبهذا العداء والحقد الذي ينصب على رؤوس كل البشر باستثناء اليهود، بفكرة "الغيتو"[١] وفكرة "الغوييم"[٢] يبني الصهاينة كيانهم العنصري ويحشدون له التأييد ولا يتركون فرصة أو موجة إلاّ ويركبونها ويسخّرونها لأهدافهم ومصالحهم مثلما هو حادث في هذه الأيام حيث أصبح اليهود خير من يحارب الإرهاب، ويصبح شارون رجل سلام، كل ذلك حسب الوصفة الأمريكية التي أطلقتها الولايات المتحدة الأمريكية لتختبئ خلفها وتصل إلى ما تريد هي وجميع القوى الإستعمارية قديمها وحديثها.

فكيان مثل الكيان الصهيوني مثل النبت الشيطاني أوجدته ظروف ومصالح دولية ولم يأخذ شكل الوجود والنمو الطبيعي مثل كل الكيانات السياسية في التاريخ البشري، كيان مثل هذا الكيان يكون بالضرورة غير قادر على التعايش مع غيره، لأنه غير مؤهل أصلاً لمثل هذا التعاون والعيش بسلام لأن طبيعة وجوده العنصرية لا تحقق إلا مصلحة ذاته.

بالإضافة إلى ذلك فإن الصهاينة وعبر تاريخهم وعند وجودهم بشكل تجمعات سكانية ذاقت المجتمعات البشرية من عنصريتهم وعزلتهم وعدم تعاونهم الأمرّين فكيف بهم إذا أصبحوا كياناً سياسياً يمتلكون القوة النووية ووجودهم محكوم بالمصلحة الاستعمارية العالمية؟!

فأي تعاون وأي سلام وأية حياة ينشد المتوهمون مع هؤلاء؟ فالتركيبة العنصرية للعقلية الصهيونية لا تقبل الآخر ولا تؤمن إلا بحيّز يتسع لهم فقط دون غيرهم.

---

(١) الغيتو: نظام للسكن خاص باليهود لا يتيح لغيرهم أن يسكن معهم.

(٢) الغوييم: الأغيار من غير اليهود الذين تصل درجتهم درجة الحيوانات حسب توراة اليهود.

فهم والحالة هذه لا ينظرون نظرة القداسة أو المحبة لمدينة القدس وإنما يستغلون وضع هذه المدينة وما يحمله من معانٍ خالدة أبشع استغلال في سبيل تحقيق أهدافهم التي أصبحت لا تخفى على أحد.

وما أشبه الليلة بالبارحة فعقلية الاستعمار واحدة وإن اختلف وجهه، حيث يغطي أهدافه الخبيثة بشعارات برّاقة يريد أن يبدو من خلال هذه الشعارات أنه يدافع عن قيم الحق والعدل فلو تأملنا في الشعارات التي رفعها الصليبيون الذين جاءوا إلى هذه البلاد، حيث رفعوا شعار حماية الحجاج المسيحيين وأنهم ما أتوا إلى هذه البلاد إلا لحمايتهم وصيانة المقدسات المسيحية من عبث المسلمين، ونراهم بعد ذلك يؤسسون الممالك والقلاع ويجهزون الجيوش ويستولون على مقدرات البلاد وينهبون خيراتها ويشكل وجودهم السياسي والعسكري في هذه البلاد حماية حقيقية لطرق التجارة وتأمين الصادرات الأوروبية إلى بلاد الشرق فكان المعلن أن هذه الحملات الصليبية هدفها حماية الحجاج وصون المقدسات المسيحية وفي الحقيقة هي عبارة عن حملات تجارية مسلحة عانت منها هذه البلاد ما يقارب قرناً من الزمان، مستغلّة ضعف أهل البلاد وتفرقهم فأحكمت قبضتها على بلادهم، وكم عقدوا من الاتفاقيات والمعاهدات التي لم تكن إلا تكتيكات اتبعوها لإحكام سيطرتهم على البلاد، ولم يحترموها أو يراعوها إلا بقدر ما تحقق لهم من مصالح ومكاسب، ولم تجد هذه الاتفاقيات وعلى مدار قرن من الزمان في جعل هؤلاء الصليبيون يفكرون لحظة واحدة في إنهاء احتلالهم أو جلب الخير والمنفعة للبلاد وأهلها بل على العكس من ذلك ما كانت تزيدهم إلا تمسكاً في إقطاعياتهم ونهب ما يستطيعون نهبه من خيرات هذه البلاد.

ولم ينجح في إجلائهم إلا أسلوب مقاومتهم وكسر شوكتهم بالاتحاد والتكاتف ووحدة الصفّ، وكم هي الحالة التي يعاني منها أهل البلاد التي يحتلها الصهاينة اليوم شبيهة بالحالة التي عانى منها أجدادهم عندما احتل الصليبيون بلادهم بالأمس، وكم هي الحجج والذرائع التي يسوقها الصهاينة في سبيل تثبيت كيانهم المزيف والدخيل على هذه

الأرض شبيهة بالأكاذيب التي ساقها الصليبيون في الماضي في سبيل فرض وجودهم وكيانهم فوق هذه الأرض.

وكم يكون حريّ بنا هذه الأيام أن نمعن النظر وندقق فيما يحيط بنا لنكتشف وبوضوح تام أن صورة الماضي تشبه صورة الواقع الحالي، ومن هنا لا بد أن ننتهي إلى نتيجة مفادها أن الاحتلال لا ينتهي إلا بمقاومته وإخراجه دون مهادنة أو تنازل مهما استغرق ذلك من وقت، وغير ذلك لا يكون إلاّ مضيعة للوقت أو تعامي عن الحقيقة التي تتبدى أمام الجميع بكل وضوح.





تمهيد



تمهيد

تعتبر دراسة تاريخ بلاد الشام في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي قضية هامة لما شهدته هذه المنطقة من أحداث تاريخية متسارعة بين أطراف ذات أهداف متناقضة شكلت معاً واقعاً جديداً، أبرز ملامح الحياة السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية والثقافية لمجتمعات بلاد الشام الإسلامية والفرنجية خلال هذا القرن.

وتعتبر هذه الفترة مرحلة هامة في التاريخ السياسي للمشرق الإسلامي، تميزت بتعدد القوى الإسلامية وانقسامها على نفسها وتصارعها المستمر. وكانت الشام منطقة نزاع بين الخلافتين العباسية في بغداد والفاطمية في مصر، في محاولة منهما، للسيطرة عليها[١]، ففي الوقت الذي كانت فيه مدينة أنطاكية تتعرض لحصار الصليبيين، أرسل الأفضل بن بدر الجمالي (الوزير الفاطمي) حملة تمكنت من انتزاع القدس من أيدي السلاجقة[٢] بدلاً من الانضمام إلى القوات الإسلامية التي توجهت من سائر بلاد الشام في الجزيرة والموصل لنجدة أنطاكية، وأدى هذا الموقف إلى تخلي السلاجقة عن مساعدة الحامية الفاطمية في المدينة ضد الصليبيين المحاصرين لها[٣]. وقد أتاح هذا الوضع المضطرب الفرصة للأمراء المحليين بالشام والجزيرة الفراتية باستقلال كل منهم بما تحت يديه عن السلطنة السلجوقية

---

(١) أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية: جـ١: ق١ (المقدمة): وسيرد الروضتين، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، جـ١، ق١، و(ق٢) القاهرة – ١٩٦٢م، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.

H.Gibb, The Damascus Chronile of Crusados, ١٥-١٦ (The Damascus Chronile Iondam & Company L.T.D. ١٩٦٧. IST. Pub. ١٩٣٢, Prcp ١٩٦٧.

جوزيف يوسف نسيم: الوحدة وحركات اليقظة العربية إبان العدوان الصليبي: ١٣٠، وسيرد، الوحدة وحركات اليقظة العربية.

(٢) ابن القلانسي: المذيل في تاريخ دمشق ٢٢١. تحقيق د. سهيل زكار. دار إحسان للطباعة والنشر. دمشق: ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(٣) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٢٢.

والعمل[1] على توسيع نفوذه على حساب الآخرين، فوزعت بلاد الشام والجزيرة الفراتية إلى إمارات عديدة[2].

وكانت مدن ساحل الشام حتى بيروت شمالا خاضعة لحكم الفاطميين، وإلى الشمال من بيروت كانت إمارة بني عمار[3] الذين اتخذوا من طرابلس مركزاً لهم[4]. أما جبلة الواقعة بين أنطرطوس واللاذقية، فكانت بيد زعيم محلي هو القاضي ابن صليحة الذي تنازل عنها لظهير الدين طغتكين أتابك[5] ملك دقاق ابن تتش أمير دمشق، في سنة٤٩٤هـ/ صيف سنة ١١٠٠م، ومنه انتقلت، إلى بني عمار. وفي جبال النصيرية وراء أنطرطوس وجبلة قامت إمارتان صغيرتان، فحكم بنو محرز في المرقب[6] والقدموس[7] وتولى بنو عمرون أمر الكهف[8]، وأقتسم الجزء الأعلى من وادي العاصي خلف بن

(١) أبو شامه: المصدر ذاته: جـ١: ق١: ٣، Gibb, Ibid, ٣٤.
جوزيف نسيم: المرجع ذاته: ١٣.

(٢) أبو شامه: المصدر ذاته: جـ١: ق١: ٣، H.Gibb, The Demascus Chronicie: ٣٤.
جوزيف نسيم: المرجع ذاته: ١٣.

(٣) أسرة عربية حكمت طرابلس مدة طويلة من الزمن امتدت حتى سقوطها في يد الصليبيين، سنة ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م، ابن القلانسي: المذيل: ٢٦٢.

(٤) ثار الحسن بن عمار قاضي طرابلس على الفاطميين في سنة ٣٨٢هـ/ ١٠٨٩م وانفصل بها عن الفاطميين:
H.Gibb, Ibid ١٨

(٥) "آتا" كلمة تركية معناها أب تدخل في تركيب بعض الأسماء "مثل أتابط" وكانت في الأصل صيغة مألوفة تطلق على الوصي أو المؤدب لأمراء الأتراك الذي كان يتعهد بأمر تربيتهم بالنسبة لحداثة سنهم – في أيام السلاجقة، إلى بعض الأمراء البارزين الذين يمتون بصلة القرابة من جهة الأب ومن ثم كان لقباً ثابتاً يطلق على الأمراء الأقوياء. دائرة المعارف الإسلامية: م١: عدد١: ٢٢٣. ط: ١٣٢٥هـ/ ١٩٩٣م.

(٦) اسم للقلعة.. بانياس اسم لبلدتها وبينهما قريب من فرسخ، ومدينة بانياس دون مدينة جبلة وبينها وبين انطرطوس اثنا عشر ميلا، وهو حصن أحدثه المسلمون في سنة أربع وخمسين وأربعمائة. أبو الفداء: تقويم البلدان: ٢٥٤– ٢٥٥.

(٧) وهي قلعة بالقرب من (حصن) الخوابي، القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، جـ٤: ١٤٧: تصنيف محمد قنديل البقلي، تقديم: سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٢، وسيرد: صبح الأعشى.

(٨) قلعة بالقرب من القدموس على نحو ساعة. القلقشندي: المصدر ذاته: جـ٤: ١٤٧.

ملاعب أمير أفامية الذي اعترف بسيادة الفاطميين، ثم بني منقذ أمراء شيزروهم من أشهر الأسر العربية الحاكمة الصغيرة، إضافة لجناح الدولة حسين الأتابك السابق لرضوان صاحب حلب، الذي استقل بحمص بعد نزاع وقع بينه وبين سيده رضوان السلجوقي هذا بالنسبة إلى الوحدات السياسية الصغيرة، إضافة لجناح الدولة حسين الأتابك السابق لرضوان صاحب حلب، الذي استقل بحمص بعد نزاع وقع بينه وبين سيده رضوان السلجوقي[1] هذا بالنسبة إلى الوحدات السياسية الصغيرة المتصارعة.

أما من ناحية أخرى فإن اختلاف عناصر ومذاهب السكان في الشام كان من أبرز أسباب الانقسام أو الخلاف بين تلك الإمارات الصغيرة، وكانت كل طائفة تقيم في منطقة معينة وتربطها بجاراتها علاقات متباينة من حين لآخر فأقامت طائفة النصيرية[2] في جبل بهراء (العلويين الآن)[3]، بينما سكنت الطائفة الدرزية[4] حول جبل الشيخ وبين الطرفين أقامت طائفة المارونيين المسيحيين، فأدى التداخل بين هذه القوى المتعادية إلى صعوب الاتصال بين الساحل والداخل[5] وسكن المسلمون السنة في المدن الكبرى وكانوا في جنوب الشام أكثر منهم في شماله، ووجدت إلى جانبهم في هذه المدن طوائف محدودة من اليهود، أما النصارى فانتشروا في ريف دمشق ومدنه الكبرى، وأكثر ما كانوا في شمالي

(١) ابن القلانسي: المذيل: ٢١٦.

(٢) وهم اتباع نصير غلام علي بن أبي طالب.. ويدّعون ألوهية عليّ مغالاة فيه. القلقشندي: صبح الأعشى: م١٣: ٢٤٩.

(٣) سهيل زكار: الحروب الصليبية: جـ١ (مدخل عام): ٤٥.

H.Gibb, The Damascus Chronicle, ٢٨

(٤) سموا بذلك نسبة للداعية الفارسي الدرزي، وتقوم على الإيمان بألوهية الحكام واختلطوا مع سكان جنوب لبنان وانتشروا شمالاً حتى وصلوا إلى جبل السماق بين نهر العاصي وحلب.

Gibb "The Caliphate & the arab states" seton Ahistory of the crusades "The Ferst Hundred Years" (Philadelia ١٩٥٨), vol: I P.٩٢.

(٥) وسيرد

Gibb; Caliphate; setton: The crusades

Gibb; The Damascus chronidie; ٢٨

البلاد وغربيها، وكان بعضهم من أصل أرمني، ولم تكن العلاقات بين النصارى واليهود والمسلمين حسنة بشكل دائم، فتخللتها بعض أسباب الاختلاف أدت إلى النزاع بين هذه الأطراف[1]. أما الشيعة فقد استقروا في جبل عاملة (في جنوب لبنان)[2].

اختلفت مواقف هذه الفئات من الصليبيين فوقف الدروز إلى جانب المسلمين ضد الصليبيين بينما وقف شيعة جبل عاملة إلى جانب الصليبيين عندما عملوا على استرجاع بانياس (الجولان) من نور الدين في سنة ٥٥٣ هـ/ ١١٥٨م إذ كانوا في صفوف المشاة[3]. وقد كشف موقف الاسماعيلية[4] (النزارية) الغموض فتارة يقاتلون الفرنج وأخرى يساعدونهم ضد المسلمين حسب ما تقتضيه مصالحهم فقاموا بقتل عدة شخصيات هامة منهم خلف بن ملاعب أمير أفامية من قبل الفاطميين وترتب عليه تسليم أفامية إلى تانكرد صاحب أنطاكية، وتمكنوا من قتل شرف الدين مودود[5] صاحب الموصل، في سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م، كما تعرضوا للسلطان صلاح الدين مرتين في سنتي ٥٧٠هـ/ ١١٧٥م – ٥٧١هـ/ ١١٧٦م، ونظروا إلى خطوة صلاح الدين بتوحيد مصر والشام على أنها مصدر تهديد لهم، كما أنهم عندما تعرضوا للقتل في حلب، ودمشق و(بانياس) هربوا إلى بلاد الفرنج، إضافة لتسليمهم مدينة بانياس إلى الفرنج. كما وقف علي بن وفا الكردي أحد قادة الحشاشين مع ريموند صاحب أنطاكية في حملته ضد نور الدين في معركة إنب سنة

---

(١) سهيل زكار: الحروب الصليبية: جـ١: ٤٥-٤٦.

(٢) Gibb, Ibod; ٢٠

(٣) ابن القلانسي: المذيل: ٥٢٠، أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق١: ٢٦٨-٢٦٩.

(٤) وهي حركة شيعية إسماعيلية متطرفة ظهرت وقت دخول الحملة الصليبية الأولى لبلاد الشام:
Gibb; The Damasucs Chronicle; ٢٨.

ويقولون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق، وأن الإمامة انتقلت إليه بعد أبيه، القلقشندي: صبح الأعشى: م١٣: ٢٣٥.

(٥) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٤٢- ٢٤٥- ٢٩٨؛
Bernard Lewis; "The Ismsi Lites & assassin"; Setton; The Crusades; Vol. ١; ١١٣-١٢٣.

٥٤٤هـ/ ١١٤٩م[١]، أما مواقفهم العدائية تجاه الصليبيين فتمثلت بقتل ريموند الثاني صاحب طرابلس، وكوراد مونتفرات مركس[٢] صاحب صور في سنة ٥٨٩هـ/ نيسان ١١٩٣م[٣].

وأما بالنسبة لفئة النصيرية فقد تعرضوا منذ دخول الحملة الصليبية الأولى إلى بلاد الشام إلى اضطهاد الصليبيين لهم[٤] ولعل ذلك أفرز لديهم موقفا عدائيا ضد الصليبيين. وقد وقف فقهاء المسلمين موقفا عدائيا تجاه الصليبيين بصفتهم غزاة لأراضي المسلمين وبلادهم ولذلك كانوا يحثون عامة الناس على الالتحاق بالجيوش الإسلامية للمشاركة في جهاد الكفار (من وجهة نظرهم) حتى أن الفقهاء وجماعة الصوفية والتجار من أهل حلب وصلوا إلى جامع السلطان ببغداد، فاستغاثوا ضد الصليبيين وأنزلوا الخطيب عن المنبر وكسروه وعادوا الجمعة الثانية إلى جامع الخليفة وفعلوا فيه مثل ذلك[٥].

وتباينت مواقف المسيحيين من الوجود الصليبي في الشام حيث وجدنا، أن الفئة الواحدة تقف مواقف متناقضة من الصليبيين، فقد رحب الأرمن بالصليبيين عند دخولهم إلى الشام واقترابهم من أنطاكية[٦] وقدموا الدعم إلى طنكري (تانكريد) في احتلاله لسهل كليقية وقبلوا بغدوين (بلدوين لي بورغ) حاكما على الرها وتل باشر[٧] كما خدعوا

---

(١) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٤٧٣؛ ١١٩أ١١٧;١ Lewis; Ibid, Setton; Ibid Vil;

(٢) وهو لقب أقل أهمية من الأمير والكونت.

(٣) ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، سيرة السلطان صلاح الدين: ٢٠٢، مطبعة الآداب المؤيد سنة ١٣١٧هـ على نفقة شركة طبع الكتب العربية، وسيرد: النوادر السلطانية، العماد الأصفهاني: الفتح القسي في الفتح القدسي: ٥٨٩، ٩٢، تحقيق محمد

محمود صبح، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥، وسيرد: الفتح القسي؛

Bernard Lewis; Ibid; setton; Ibid. Vol, ١, ١٢٤, ١٢٥.

(٤) H.Gibb; The Damascus Chronicice; ٢٦.

(٥) ابن القلانسي: المذيل: ٢٧٦ – ٢٧٧.

(٦) سيل: الحروب الصليبية: ٤٩. ترجمة سامي هاشم. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ط١: ١٩٨٢.

(٧) Fulcher; Ahistory of Ecpedition to Jersualim, ١٠٩٥ – ١١٢٧ ; ٣٣٨ Translated by Frances Ritar Yan ed. By, Horold's Fink, w.Nortan & Fulcher; Expedition

وسيرد

الصليبيين عندما ضحت جماعة منهم بأنفسهم لإنقاذ الملك بلدوين الثاني وجوسلين في سنة ٥١٨هـ/ ١١٢٤م من أسرهما[١] وقام بعض الأرمن المقيمين بالقرب من انطاكية بالبحث عن القمح والأطعمة يشترونها ويبعثون بها إلى معسكر الصليبيين قرب انطاكية حيث انتشرت فيه المجاعة وغلت الأسعار[٢] أما الأرمن المحاصرون في أنطاكية فقد خرج بعضهم من المدينة[٣] ودخلوا بين صفوف الصليبيين يستقصون أخبارهم وينقلونها للمسلمين داخل المدينة[٤]. وقد قاتلوا من داخل المدينة إلى جانب المسلمين، فذكر المؤلف المجهول: "واستجاب الأرمن والسريان – طوعاً أم كرهاً – لأوامر التركمان وأخذوا ينصحوننا بالنشاب"[٥] وقد عمل بعضهم على مساعدة مودود أمير الموصل لفتح الرها في سنة ٥٠٤هـ/ ١١١٠م (كما ذكرها مؤلف/ هاوي معاصر). "ولكن عشرين أرمنياً تآمروا على مودود لتسليم المدينة وخيانتها"[٦] كما كان بعض الأرمن في جيش الأفضل الذي سار به إلى الرملة بعد دخول الصليبيين لبيت المقدس[٧]. أما المسيحيون الأرثوذكس فقد كان الدافع لديهم لمساعدة الصليبيين متضائلاً، لذا فقد وعدت الطائفة الأرثوذكسية الموجودة داخل أسوار بيت المقدس بتقديم المساعدة للسلطان صلاح الدين لدخول المدينة في سنة ١١٨٧م[٨].

لقي الصليبيون ترحيبا قويا من المارونيين في جبل لبنان، حيث التقوا بهم على مدينة عرقة[٩] وساروا معهم يرشدونهم إلى الطريق حتى بلغوا القدس إضافة إلى موقفهم الذي

---

(١) Fulcher; Ibid; ٤٥٤، سميل المرجل ذاته: ٥٠.

(٢) سهيل زكار: المصدر ذاته: جـ١ "الحملة الصليبية الأولى" يوميات صاحب (أعمال الفرنجة) الكتاب السادس: ٢٢٤. ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. دار الكتاب الخامس: ٢٢٠.

(٣) سهيل زكار: المصدر ذاته جـ١: المصدر ذاته: الكتاب الخامس ٢٢٠.

(٤) سهيل زكار: المصدر ذاته جـ١: المصدر ذاته: الكتاب الثامن: ٢٣٤، سهيل، الحروب الصليبية: ٥٠.

(٥) سهيل زكار: المصدر ذاته جـ١: المصدر ذاته: الكتاب السابع: ٢٣١.

(٦) سهيل زكار: الحروب الصليبية جـ١ "الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية" لمؤلف/ هاوي معاصر لهما: ٤٧٤.

(٧) سهيل زكار: المصدر ذاته جـ١ (الحملة الصليبية الأولى من كتاب (الألكسياد للأميرة كوفينا)): ٦٦.

(٨) سهيل: المرجع ذاته: ٥٢.

(٩) بلدة في شرقي طرابلس بينهما أربعة فراسخ، وهي آخر عمل دمشق: ياقوت، معجم البلدان: جـ٤: ١٠٩.

تمثل بمساعدتهم للصليبيين في حصار بيروت عندما عجز الملك لدوين الأول عن دخولها فأنجدوه ومكنوه منها(١) كما عملوا على تقديم المساعدات للصليبيين(٢) لكن سلوك الصليبيين نفر المارونيين منهم، فقل حماسهم ووقوفهم إلى جانبهم، خاصة بعد إنزال الصليبيين الأضرار بالموازنة الذين نفذت من أرضهم حملة بزواش التركي (مقدم جيش دمشق) عند غارته على أراضي طرابلس كما يعزى فتح نور الدين لحصن المنيطرة إلى انحياز الموازنة إلى جانبه وتضامنهم معه(٣).

أما يهود الشام فقد ذعروا عند سماعهم بوصول الحملة الصليبية الأولى إلى بيروت ففر اليهود المقيمون في رفح إلى عسقلان للاحتماء بها وقد نتج عن الامتزاج السكاني في بلاد الشام تأثيرات حضارية اجتماعية وثقافية بغض النظر عن حجمها، فاتخذ الصليبيون لباس الشرقيين، وعاداتهم، وتعلموا لغتهم، كما اتخذوا من النصارى الشرقيين الأطباء والطباخين والخدم والحرفيين والعمال، وعلى الرغم من ذلك فقد بقي المسلمون المقيمون في مملكة بيت المقدس مرتبطين دينيا وثقافيا وعرقيا بالقوى الإسلامية المجاورة ولذلك كانت العلاقات بين الصليبيين ورعاياهم (السوريين) وثيقة الصلة لدرجة كبيرة بوضعهم العسكري، أي بمدى قوتهم وسيطرتهم(٤).

وذكر سهيل زكار أن التعايش بين المسلمين والصليبيين " لا يمكن أخذه مأخذ القانون الشامل، لقد عاش الصليبيين في الشرق غرباء"(٥).

---

(١) الأب بطرس ضو: تاريخ الموازنة الديني والسياسي والحضاري، الوجه العسكري الماروني من ٣٦-١٣٦٧م، الجزء الثالث: عهد المردة والاستقلال الماروني التام: ٤٤٠، ٤٨٧.

H.Gibb; The Damascus Chrcoicle; ٢٨.

(٢) سهيل زكار: المصدر ذاته جـ١ (مدخل عام): ٨١.

(٣) بطرس ضو: تاريخ الموازنة ٤٥٤-٤٥٦، ٤٧٠.

(٤) سهيل، الحروب الصليبية: ٤٥-٤٧.

(٥) سهيل زكار: الحروب الصليبية: جـ١، (مدخل عام): ٧٧.

أما التأثير الثقافي فيمكن تلمسه من إتقان الكثير من الصليبيين للغـة العربيـة، ومـنهم وليم الـصورى (William of Tyre) رئـيس شمامـسة صـور، الـذي حـصل مـن الملـك عموري (Amalric) على المصادر العربية للأعمال الضائعة عن أمـراء الـشرق ومـن بينهـا سعيد البطريق (EUTY CHIUS OF ALEXANDRIA) كما تعلم (ستيفن البيـزاوى، (Pisanstephen) اللغة العربية في انطاكية فترجم الأعمال الطبيـة لعـلي بـن العبـاس (مـن القرن العاشر المـيلادي) وانتقلـت بعـض المعـارف الـشرقية إلى أوروبـا، واسـتخدمت في الأدب الغربي.



الشام، ورغبتي الشديدة للكتابة في هذا الموضوع كانت من أهم حوافز اختياره.

منهجية البحث:

لقد اعتمدت في استخلاص متن مادة البحث عن المصادر الأولية المتوفرة وقابلت فيها من نصوص فأخذت منها ما اتفقت عليه هذه المصادر واجتهدت فيما اختلفت فيه، فرجحت ما اعتقدته صوابا، وما يتمشى مع حقائق التاريخ، وما اجتمعت عليه المراجع التاريخية حول تلك القضية. وحصرت كل مقتبس بين معقوفتين " "، وأحطت كل ما أضفته لتلك الروايات لغرض التوضيح بين قوسين منفردين متقابلين () أما الحاشية فقد قمت باختصار اسم الكتاب بعد وروده كاملاً في المرة الأولى. كما استعملت بعض الرموز المختصرة، فحرف (ط) يعني طبعة الكتاب، و(م) للمجلد، و(جـ) للجزء من الكتاب.

وقد حرصت على توثيق كل ما أحتاج إلى توضيح وتفصيل في الحاشية كبيان موقع مدينة أو حصن غير معروف، أو التعريف بشخصية ما في حين اكتفيت بتثبيت المدن والمواقع المعروفة على خرائط البحث دون التعريف بها في الحاشية كما استعملت الهوامش لإيراد تفصيلات يصعب وضعها في المتن شكلاً وأسلوبا. وأوردت فيها بعض الاختلافات الواردة في المصادر أو وجهات النظر الواردة في بعض المراجع الحديثة. كما حرصت على انتظام الترقيم المتسلسل لأي من ضرورات التوثيق السابقة، وقد أرفقت بهذا البحث خرائط تمثل إحداها إقطاعات مملكة بيت المقدس اللاتينية، أما الثانية فهي خارطة تشمل جميع بلاد الشام والقوى السياسية فيها مع ذكر الكثير من الأماكن. بينما توضح الثالثة دولة نور الدين محمود بن زنكي في أوج اتساعها إلى جانب مملكة بيت المقدس اللاتينية.

وأرفقت بهذا البحث ملحقا بأسماء الولاة والملوك في بلاد الشام، وخاصة سلاجقة الشام (دمشق وحلب)، وآخرها بن (آل ظغتكين)، وكذلك الأمراء الزنكيين أتابكة الشام (دمشق وحلب)، وآخرها ملوك مملكة بيت المقدس اللاتينية، وقد اقتصرت فيها على

أسماء الحكام خلال الفترة التي تناولتها الدراسة فقط. كما أرفقت بالبحث قائمتين الأولى لضبطي الأسماء الفرنجية بالحروف اللاتينية والأخرى لضبط أسماء بعض المواضع الهامة.

وقد قسّمت هذا البحث إلى مقدمة، وتحليل للمصادر والمراجع، ومتن بخمسة فصول، ثم خلاصة. فتناولت في الفصل الأول وهو (الجغرافيا التاريخية لبلاد الشام) (في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي) موقع الشام وأهميته، إضافة لفكرة موجزة حول طبيعة الشام الطبوغرافية وطرق المواصلات فيها. كما تناولت فيه تأسيس إمارة دمشق السلجوقية وعلاقتها السياسية مع الفاطميين، وبيّنت فيه مختصر العلاقات السياسية بين إمارة الأتابكية والسلطنة السلجرقية، وعلاقتها معإمارتي حلب والموصل، إضافة إلى علاقاتها السياسية مع الفاطميين.

أما الفصل الثاني فهو (تأسيس مملكة بيت المقدس وتوسعها). وتتبعت في هذا الفصل الحملة الصليبية الأولى ووصولها إلى القدس ثم دخولها، وبعدها توسع وامتداد مملكة بيت المقدس اللاتينية في عهود حكامها الأوائل، من جود فردي حتى نهاية عهد الملك بلدوين الثالث سنة ٥٥٧هـ/ ١١٦٢م فيه بناء الصليبيين للقلاع والحصون لتوطيد أركان هذه المملكة. كما عالجت نظام الإقطاع في هذه المملكة، لما له من أثر واضح في قوتها العسكرية، وعلاقتها بالإمارات الصليبية الأخرى.

أما الفصل الثالث (العلاقات السياسية بين إمارة دمشق الأتابكية ومملكة بيت المقدس من سنة ٤٩٤هـ/ ١١٠٠م – ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م) حتى دخول نور الدين زنكي إلى دمشق. فقد بينت فيه العلاقات السياسية بينها وبين الصليبيين من خلال مرحلتي التأسيس والتوسع من خلال الاتفاقات والمدن والتحالفات، ومن خلال تحقيق مصالح جزئية محدودة لكل من القوتين، وما انتهى إليه أمر الأتابكية من ضعف حتى تمكن نور الدين من دخولها ودمجها مع إمارة حلب في الشمال.

وعالجت في الفصل الرابع (العلاقات السياسية بين إمارة دمشق الزنكية وبين مملكة بيت المقدس اللاتينية) ومحاولة الصليبيين وقف توسع نور الدين في المناطق الخاضعة لنفوذهم، إضافة لتحالف مملكة بيت المقدس مع بيزنطة، والإمارات الصليبية الأخرى.

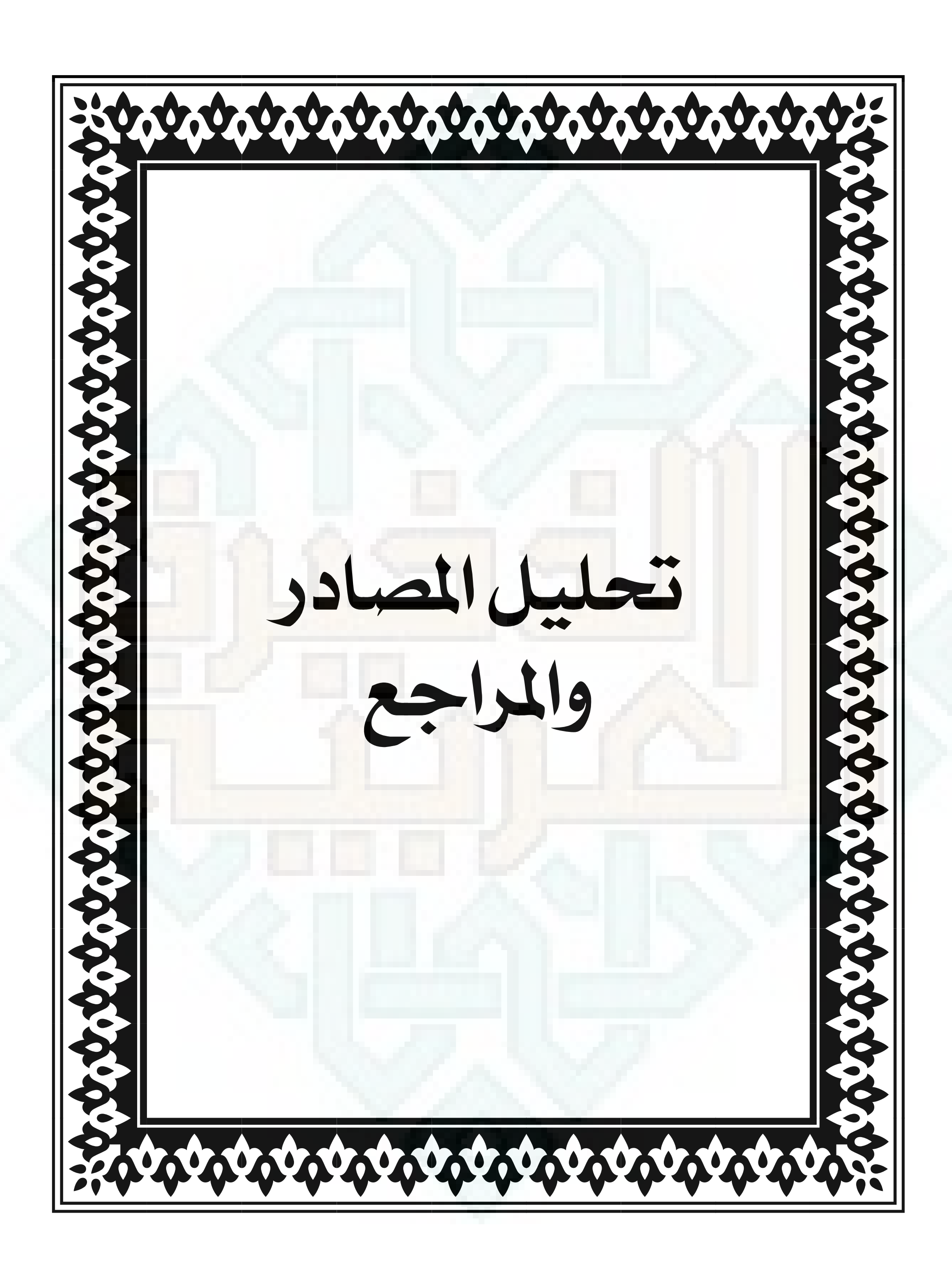
كما ناقشت فيه دور مصر وأثرها في العلاقات السياسية بين، دولة نور الدين محمود وبين مملكة بيت المقدس، وختمته بذكر العلاقات السلمية بينهما من خلال الاتفاقات والهدن المعقودة بينهما.

أما الفصل الخامس والأخير فهو (العلاقات السياسية بين إمارة دمشق في عهد صلاح الدين الأيوبي وبين مملكة بيت المقدس اللاتينية). وبينت فيه انتقال صلاح الدين من مصر إلى الشام وسياسته تجاه الصليبيين، من موادعتهم حينا والإغارة عليهم حينا آخر. ثم ناقشت سياسة صلاح الدين بعد توحيد مصر والشام، ومحاربته للصليبيين وبشكل خاص في معركة حطين وما ترتب عليها من فتحة لمدينة القدس وسائر أجزاء فلسطين، كما تناول الفصل موقف صلاح الدين من الحملة الصليبية الثالثة وسقوط عكا بيد الصليبيين، ثم صلح الرملة، ووفاة صلاح الدين.

وقد ختمت هذا البحث بخلاصة وافية لكافة أجزائه تسهيلاً للقارئ فيه التعرف على ما تضمنه من جوانب تاريخية، ومدى فائدة مثل هذا البحث له.

وأعقبتها بقائمة من المصادر والمراجع رتبت ترتيبا هجائياً حسب اسم العائلة أو الشهر، وضعتها مرتبة بعد الفصل بين المصادر العربية منها والأجنبية، والمترجمة وبين المراجع كذلك. ثم المقالات والموسوعات التي رجعت إليها.





تحليل المصادر والمراجع


الذخيرة العربية

تحليل المصادر والمراجع

لعل أهم ما يشغل الباحث عند الكتابة التاريخية هو الإحاطة بالمصادر الأولية بشكل عام لكي تتوفر له المادة الأساسية للبحث، ليقوم بدراستها وتمحيصها والتعليق عليها بما يتناسب ومادة ذلك البحث ليخرج بحثا رصينا نهلت معلوماته من مصادرها الأصلية.

فمصادر هذا البحث ومراجعة كثيرة ومتنوعة، بعضها لمؤرخين عاصروا الأحداث التي عالجتها جوانب من البحث، فمنهم من عاين تلك الأحداث، ومنهم من شارك فيها، أو كان موظفاً في دواوين الإنشاء، فدون السجلات والمعاهدات، والوثائق. السياسية المختلفة بيده، فجاءت كتاباتهم دقيقة مفصلة غنية بالوثائق الهامة. وبعضها الآخر لمؤرخين عاصروا جماعة ممن شاهدوا أو شاركوا في هذه الأحداث فأخذوا عنهم مما أكسب مؤلفاتهم قيمة تاريخية خاصة. وقد رتبت هذه المصادر حسب أهميتها التاريخية.

كما أن فئة ثالثة من المؤرخين المتأخرين نسبيا قد تميزت كتبهم بأهمية خاصة من خلال المعلومات التي نقلها مؤلفوها من مصادر معاصرة للأحداث، لكنها لم تصل إلينا، فجاءت هذه المؤلفات التاريخية لتكمل الصورة التي وفرتها لنا المصادر الأولية حول مجريات الأحداث السياسية في بلاد الشام في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. وأهم مصادر هذا البحث هي:

١ - **القلانسي:** أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي (٤٧٠ هـ/ ١٠٧٧م - ٥٥٥هـ/ ١٥ آذار ١١٦٠م).

هو ابن أسرة دمشقية، وكانت رئاسة دمشق لبعض رجالها، وقد نشأ ابن القلانسي في ظلها على ثقافة دينية وأدبية، وقد تولى رئاسة ديوانها مرتين، وجمع بين كتابة الإنشاء (ديوان

الرسائل) وكتابة الحساب (ديوان الخراج) فأتيح له أن يطلع على محفوظات الدولة في دمشق وأن يعرف أسرار السياسة خلال فترة حكم الأتابكة من أبناء طغتكين دمشق[١].

"المذيل في تاريخ دمشق" وهو المشهور خطأ باسم "ذيل تاريخ دمشق" لأن مؤلفه قد جعله تذييلاً على تاريخ هلال ابن المحسن "بن ابراهيم الصابئ[٢]، وقد أورد ابن القلانسي في كتابه هذا "ورتبته وتحفظت من الخطأ والخطل والزلل فيما علقته من أفواه الثقاة ونقلته وأكدت الحال فيه بالاستقصاء والبحث[٣] يعتبر هذا الكتاب الوحيد الذي وصلنا كاملاً عن الفترة الواقعة بين الغزو السلجوقي لبلاد الشام وبين حكم صلاح الدين لهذه البلاد، فمواده عن الخلافتين الفاطمية والعباسية لها مكانة خاصة. وتقصى فيه أخبار المغرب الأقصى، وضم رواياته حول المهدي بن تومرت وتأسيس دولة الموحدين[٤] وقد استفدت من هذا المصدر بقدر وافر من المعلومات شكلت المادة الأساسية للفصل الثالث فيما يتعلق بالعلاقات السياسية بين إمارة دمشق الأتابكية في عهد ظهير الدين ظغتكين وأولاده من بعده وبين مملكة بيت المقدس، إذا فة لما تضمنته الفصل الأول فيما يختص بتاريخ الشام في

(١) ابن عساكر: تهذيب تاريخ ابن عساكر: جـ٤: ٤٤٢، تهذيب عبد القادر بدران، ط٢، بيروت، دار المسيرة، ١٣٩١هـ/ ١٩٧٩م، أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق١: ٢١، ياقوت الحموي، معجم الأدباء: م٥: جـ١: ٢٧٨، سلسلة الموسوعات العربية، ط الأخيرة، دار إحياء التراث، بيروت – لبنان. أحمد زيد رفاعي بكك السيد الباز العريني مؤرخو الصليبية: ١٩٢.

H.R.Gibb; The Damascus chronicle, ٨.

شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون: دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام: ٢٣٦-٢٣٧، دار العلم للملايين، ١٩٧٨م، بيروت.

(٢) ابن القلانسي: المذيل: ص، شاكر مصطفى: المرجع ذاته: ٢٣٨، العريني: المرجع ذاته: ١٩٢، البستاني: دائرة المعارف، جـ٣: ٤٦٧: مؤسسة مطبوعات وسماعليات: تهران- ناصر خسروا باسائر مجيدي، جـ ٥ك.

H.Gibb; Ibid; ٩

(٣) ابن القلانسي: المذيل: ٤٤١ك.

Gibb; The Damascus chronicle; ٩-١٠

(٤) ياقوت الحموي، معجم الأدباء: م٥ك جـ١٠: ٢٧٨، ابن القلانسي: المصدر ذاته: ع، ابن عساكر: تهذيب العريني: مؤرخو الحروب الصليبية: ١٩٢.

فترة حكم الأتابكة، كما غطى جزءا من الفصل الرابع والمتمثل في بداية حكم نور الدين محمود بن زنكي لمدينة دمشق عن سنة (٥٤٩هـ/ ١١٥٤م – ٥٥٥ هـ/ ١١٥٩م).

٢- العماد الكاتب الأصفهاني: القاضي أبو عبد الله محمد بن صفي الدين بن أبي الفرج (٥١٩هـ/ ١١٢٦م – ٥٩٧هـ/ ١٢٠٢م).

ولد في مدينة أصبهان من بلاد فارس، ثم قدم إلى بغداد ودرس في المدرسة النظامية. تفقه بأصبهان على يد محمد بن عبد اللطيف الخجندي، ثم عاد إلى بغداد فاتصل بالوزير عون الدين يحيى بن هبيرة فولاه النظر بالبصرة أولا ثم بواسط[(١)].

يعتبر العماد علماً بارزاً من مؤرخي الحروب الصليبية في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، حيث عينه نور الدين في ديوان الإنشاء في سنة (٥٦٣هـ/ ١١٦٨م)[(٢)] وفي سنة ٥٦٨هـ/ ١١٧٣م) شغل منصب رئيس الديوان إضافة لكتابة الإنشاء[(٣)]، قال العماد: "فجمعت بين المنصبين وقسمت زماني على النصيبين، فمرة للكتب والمناشير، وتارة للإثبات في الدساتير"[(٤)] فجاءت كتاباته عن فترة حكم نور الدين محمود بن زنكي مستفيضة تحوي مادة غزيرة، وبوفاة نور الدين دخل العماد، في شهر شعبان من سنة (٥٧٠هـ/ ١١٧٥م) في خدمة السلطان، صلاح الدين الأيوبي بشفاعة القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني، فأصبح معاون القاضي الفاضل، وكاتب سر السلطان، وشهد معه المشاهد كلها إلا وقعة الرملة، وفتح عسقلان وحصار القدس سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م)، وكتب كثيرا من الرسائل والتبشيرات والمناشير، وحضر في مجالس الشورى والمذكرات السياسية[(٥)].

---

(١) العماد الأصفهاني: الفتح القسي: ٢٣-٢٤.

(٢) البنداري: سنا البرق الشامي: جـ١: ١٠، تحقيق رمضان شش، دار الكتاب الجديد، ط١، ١٩٧١م، بيروت – لبنان، أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق٢: ٣٧٨، شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون: ٣٧٨.

(٣) العماد الأصفهاني: الفتح القسي: ٢٣-٢٤.

(٤) العماد الأصفهاني: الفتح القسي: ٢٣-٢٤.

(٥) العماد الأصفهاني: الفتح القسي: ٢٣-٢٤.

قال العماد "ولزمت خدمته أرحل برحليه، وأنزل بنزوله، وأواصل حضرته وأنشده شعري. فهاب فيه الفهم فشغلني إنشاء الرسائل عن إنشاء المدائح"[١]. وهذا يدل على أهمية مؤلفاته التي كتبها عن تاريخ فترة حكم صلاح الدين وأهم كتبه:

١- البرق الشامي، ألفه العماد كي لا تنقرض مفاخر السلطان صلاح الدين وليعطيه حياة ثابتة بعد موته، وشبه أيامه التي مضت عند نور الدين وصلاح الدين الأيوبي بالبرق الذي ومض ثم غاب سريعاً فسماه بـ البرق الشامي[٢] وهو سجل للحوادث الواقعة في دولة نور الدين محمود ابن زنكي، والسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب من سنة ٥٦٣هـ/ ١١٦٨م، إلى أوائل سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٢م، في مصر والشام وحواليها[٣] وشاهد الأمور والوقائع عند نور الدين وصلاح الدين بصفته كاتب السر، كتب وثائقها الرسمية. إن الموجود من الكتاب المجلد الثالث المجلد الخامس فقط، وهما اليوم بمكتبة (Bodliean) باكسفورد. أما القسم الأول من سنا البرق فيحتوي على اختصار ست مجلدات أي من أول الكتاب إلى آخر المجلد السادس. المجلد الأول: من أول الكتاب إلى آخره "ذكر وفاة الملك العادل نور الدين بقلعة دمشق "المجلد الثاني: من أوائل ما جرى في الشام بعد وفاة نور الدين سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وينتهي في أواخر حوادث سنة خمس وسبعين وخمسمائة، المجلد الثالث: وهو الآن موجود، ويبتدئ من أوائل حوادث سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وينتهي في أواخر حوادث سنة خمس وسبعين وخمسمائة. المجلد الرابع: من أواخر سنة ٥٧٥هـ/ ١١٨٣م إلى أوائلسنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٣م. المجلد الخامس: من أوائل سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٣م إلى أواخر سنة تسع وسبعين وخمسمائة. المجلد السادس: من أوائل حوادث سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٥م إلى آخر سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م. المجلد السابع: من أوائل حوادث سنة

(١) العماد الأصفهاني: الفتح القسي: ٢٣-٢٤.

(٢) البنداري: المصدر ذاته: جـ١: ٢٦.

(٣) البنداري: المصدر ذاته: جـ١: ٢٣.

٥٨٤هـ / ١١٨٨م إلى آخر الكتاب. ومختصر هذا المجلد كان في المجلد الثاني، من "سنا البرق الشامي"[١] ونقل عنه عدة مؤرخين مثل ابن الأثير في تاريخه الكامل، وأبي شامة في كتابه "الروضتين" وابن واصل في مؤلفه "مفرح الكروب"، وسبط ابن الجوزي في "مرآة الزمان"ن القلقشندي في "صبح الأعشى"، وابن كثير في "البداية والنهاية"[٢] وقد أفدت من هذا الكتاب من خلال "سنا البرق الشامي" في الفصل الخامس المتعلق بعصر السلطان صلاح الدين.

٢- "الفتح القسي في الفتح القدسي": وهو مصدر تاريخي هام ويعتبر سجلاً للحوادث الجارية من سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م إلى أوائل سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٢م[٣] ويشمل الكتب والرسائل التي بعثها السلطان صلاح الدين إلى الخليفة العباسي ببغداد، وإلى سائر الملوك والسلاطين لاستنفارهم إلى الجهاد، أو وصف حالة الحرب، أو تبشيرهم بالنصر وغير ذلك (من إنشاء العماد)، ولذلك فهذا الكتاب يعتبر وثيقة تاريخية هامة عن عصر السلطان صلاح الدين، وترجع أهميته إلى أنه حديث من شاهد الأحداث بنفسه ووقف عليها أثناء عمله بديوان الإنشاء أو سمع عنها فتحرى الدقة والتثبت في سمع وأتبع في إيراد الأخبار "نظام الحوليات" ويحتوي مادة غزيرة عن هذه الفترة[٤]، وقد كونت معلومات هذا الكتاب جزءاً كبيراً من مادة الفصل الخامس المتعلقة بفترة حكم صلاح الدين الأيوبي لدمشق، وخاصة من معركة حطين حتى وفاة السلطان صلاح الدين واستفدت منه بشكل خاص في فتوحات السلطان صلاح الدين وعلاقاته السياسية مع الصليبيين في هذه الفترة.

---

(١) البنداري: سنا البرق الشامي: ٢٤، ٢٨ – ٢٩.

(٢) البنداري: المصدر ذاته جـ١ : ٤٥، شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون: ٢٤٧.

(٣) العماد الأصفهاني: الفتح القسي: ٣٢، البنداري: المصدر ذاته: جـ١ : ٣٣، شاكر مصطفى: المرجع ذاته: ص٢٧.

(٤) العماد الأصفهاني: الفتح القسي: ٣٣.

٣-ابن شداد: بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم (ت٥٣٩ هـ/ ١١٤م – ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م).

ولد بالموصل ونشأ عند أخواله في بني شداد فنسب إليهم، وأقام ببغداد معيداً في المدرسة النظامية نحو أربع سنين، ثم حج وزار بيت المقدس والخليل ثم زار دمشق والسلطان صلاح الدين الأيوبي محاصر قلعة كوكب، فسمع به فاستدعاه إليه وقابله بالإكرام فجمع للسلطان كتابا يشتمل على فضائل الجهاد[١] ودخل في خدمة السلطان صلاح الدين في سنة. ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م وبقى في خدمته إلى آخر عهده. واختصر كثيرا في الوقائع حتى سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) واعتمد في أكثر ما نقله على مسموعاته وبعض الوثائق، وأما ما جرى بعد دخوله في خدمة السلطان فنقلها نقلاً مفصلاً بالنسبة لما قبلها[٢]، ومنذ هذه السنة يعتبر ابن شداد حجة فيما كتبه عن صلاح الدين[٣]، وكان صلاح الدين قد ولاه قضاء العسكر والحكم بالقدس الشريف في سنة ٥٨٤هـ/ حزيران ١١٨٨م[٤].

١- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو "سيرة صلاح الدين الأيوبي"، ويعتبر بحق ترجمة لصلاح الدين إلتزام فيه الأسلوب السهل. قال ابن شداد "ومن هذا التاريخ ما أسطر إلا ما شاهدته أو أبرني به من أثق به خبراً يقارب العيان"[٥].

ويحتوي هذا الكتاب عدداً من الوثائق الهامة التي تلقي الأضواء على العلاقات بين صلاح الدين والدول المسيحية المجاورة، ومن الكتب المرسلة من كل من

(١) البنداري: سنا البرق الشامي: جـ١: ٣٣ دائرة المعارف: م٥: ٦٣٣ - ٦٣٤٥.

(٢) البنداري: المصدر ذاته: جـ١: ٣٣.

(٣) ابن شداد: النوادر السلطانية: ٤.

رنيسمان: تاريخ الحروب الصليبية: جـ: الملحق الأول: ٧٨١.

(٤) العماد الأصفهاني: الفتح القسي:٣٣٢ حاشية (١).

سعداوي: المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين: ١٦، البستاني: دائرة المعارف: م٥: ٦٣٤.

(٥) ابن شداد: النوادر السلطانية: ١٠، أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق٢: ٢٨٧، العريني: مؤرخو الحروب الصليبية: ٢٠٣، سعداوي: المرجع ذاته: ١٦-١٧ (اعتمد على الثقاة في تأليف كتابه حتى سنة ١١٨٨م، أما بعد ذلك فمن مشاهداته الشخصية).

الكافيكوس مقدم الأرمن، وأمبراطور بيزنطة إلى صلاح الدين[1] كما يعتبر هذا الكتاب مصدراً هاما للوثائق (الرسائل) المتبادلة بين صلاح الدين والصليبيين، وبخاصة بينه وبين ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا، وقد ألفت معلومات هذا الكتاب جانباً كبيراً من متن الفصل الخامس من البحث خاصة في المراسلات بين السلطان صلاح الدين وريتشارد ملك انجلترا والهدنة العامة.

٤- **ابن الأثير**: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (٥٥٥هـ/ ١١٦٠م - ٦٣٠هـ/ ١٢٣٤م).

ولد ابن الأثير: في جزيرة ابن عمر، وهاجر مع أسرته سنة ٥٦٧هـ/ ١١٨١م إلى الموصل. وشاهد حروب الفرنج مع جيش الموصل بعد سنة ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م، ولهذا اعتمد على مسموعاته ومنقولاته في الحوادث الواقعة قبل سنة ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م[2]. أما بعدها فيعتبر ابن الأثير مصدراً معاصراً لها[3].

١- "الكامل في التاريخ" مصدر تاريخي هام يتكون من اثني عشر جزءاً، وهو تاريخ عام منذ الخليقة حتى عصره[4]، وذكر ابن الأثير في مقدمة هذا الكتاب أن أهميته في إتمامه وإخراجه إلى حيز الوجود قويت عندما طلب منه حاكم الموصل التركماني ذلك، وهو المظفر بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله الأتابكي الملقب بالملك الرحيم[5]، وقد انتهج فيه التسجيل الحولي وذكر الأحداث الصغرى والوفيات في نهاية كل سنة، أما الأحداث فيعطيها- عناوينها ضمن السنة، وأقام فيه توازناً

(١) ابن شداد: المصدر ذاته: ١٣.

(٢) البنداري: سنا البرق الشامي: جـ١: ٣٣.

(٣) ابن الأثير: التاريخ الباهر: ١٩ سعداوي: المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين: ٩.

(٤) ابن الأثير: الكامل: جـ١: ١٢، البستاني: دائرة المعارف: جـ١: ٣٢٥، شاكر مصطفى التاريخ العربي والمؤرخون: ١١٢.

(٥) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١: ٥، سعداوي: المرجع ذاته: ١٠-١١، تيسير بن موسى: نظرة عربية على غزوات الإفرنج: ١٣، الدار العربية للكتاب، تونس.

بين أخبار المشرق والمغرب الإسلامي كما تخير لـه أوثـق المـصادر، فكـان مـصدراً معاصراً للأحداث في عهدي نور الدين زنكي وصلاح الـدين الأيـوبي[1] وتعتـبر مادته أصيلة، فقد شكلت جزءاً كبيراً مـن مـتن الفـصلين الرابـع والخـامس، كـما استفدت مـن معلوماتـه في الفـصول الثلاثـة الأولى. وقـد رجعـت إلى أجزائـه: العاشر واستفدت منه حـول الحملـة الـصليبية الأولى والعلاقـات الـسياسية بـين دمشق الأتابكية ومملكة بيت المقدس، والحادي عـشر حـول العلاقـات الـسياسية بين الطرفين السابق ذكرهما، وكذلك العلاقات بين دولة نور الدين زنكـي وبيـت المقدس، أما الثاني عشر فعن علاقاته مع الصليبيين.

٢- "التاريخ الباهر" وهو تاريخ للدولة الزنكية التي يدين لها المـؤرخ بـالولاء والـود ولا سيما أن ملوكها هم ملوك بلده فكتبه تقربا من أولئك الملوك[2]. وقد تميز هـذا المـصدر عـن "الكامـل في التـاريخ" باحتوائـه أخبـاراً منوعـة وتفاصـيل، فيهـا الاقتصادي والاجتماعي والثقافي من بداية حكم عـماد الـدين عـلى الموصـل وفيـه معلومات هامة عن السلطان نور الدين زنكي أم ترد في الكامل[3]، وقد اسـتفدت منه بشكل كبير في كتابه الفـصلين الثالـث والرابـع. وهـي فـترة حكـم الأتابكيـة البورية الأتابكية الزنكية، وعلاقاتهم السياسية مع مملكة بيت المقدس.

٥- **القاضي الفاضل**: أبو علي محيي الدين عبـد الـرحيم بـن عـلي بـن محمـد اللخمـي البيساني (٥٢٩هـ/ ١١٣٤م – ٥٩٦هـ/ ١٢٠٠م).

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: جـ١: ١٢، دار بيروت ودار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م وسيرد: الكامل.

(٢) البنداري: سنا البرق الشامي: جـ١: ٣٣-٣٤، شاكر مصطفى: المرجع ذاته: ١١٤.

(٣) ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل: ١٨، تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة (مقدمة ١٩٦٣م)، وسيرد: التاريخ الباهر.

ولد بعسقلان وأرسله أبوه إلى ديوان الإنشاء بالقاهرة في أواخر العهد الفاطمي وعينه قاضي الإسكندرية كاتبا على باب السدرة، ونقله ابن زريك إلى ديوان الإنشاء. فلما تولى شاور الوزارة نقله إلى ديوان المكاتبات، ثم أصبح كاتباً لأسد الدين شيركوه عندما تسلم منصب الوزارة في مصر[١]. واستمر في خدمة الوزير صلاح الدين من بعده وتمسك به السلطان صلاح الدين، فعندما وصله كتاب من بغداد من الديوان العزيزي ١٢ شوال سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩٠م، يتضمن فصولاً ثلاثة، وثالثها يتضمن التقدم بإحضار القاضي الفاضل إلى الديوان العزيزي رسولاً ليقرر معه قواعد، فاعتذر السلطان عن القاضي الفاضل بأنه كثير الأمراض وقوته تضعف عن الحركة إلى العراق[٢]. وأنابه السلطان صلاح الدين في إدارة شؤون مصر بين سنتي ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م – ٥٨٨هـ/ ١١٩١م[٣].

١ - "رسائل القاضي الفاضل" و "المتجددات" وهي كتب مفقودة، نقل عنها. أبو شامة في الروضتين، وبدر الدين العيني، وابن الأزرق الفارقي في تاريخ ميافارقين، فاقتبس أبو شامة منها بعض الوثائق وأدخلها في كتابه[٤]. كما نقل عنها ابن واصل في كتابه "مفرج الكروب"[٥] وقد عثرت على بعض المقتبسات من هذين الكتابين في مصادر عديدة كما أسلفت.

٦ - **ابن عساكر:** أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي الدمشقي المعروف بعد وفاته بابن عساكر (٤٩٩هـ/ ١١٠٥م–٥٧١هـ/ ١١٧٦م)

---

(١) العماد الكاتب الأصفهاني: الفتح القسي: ٥٢٧هـ أبو شامة: الروضتين: جـ١، ٢٥: ٤٠٣، سعداوي: المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين ٢٨-٣٠.

(٢) ابن شداد: النوادر السلطانية: ق١: ١٩٨-١٩٩ (ط القديمة) أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١: ٢٥: ١٦٥.

(٣) أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١: ق١: ٢٢.

(٤) البنداري: سنا البرق الشامي: جـ١: ٣٥، أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق١.

(٥) ابن واصل: مفرج الكروب: المقدمة: ك.

ولد في مدينة دمشق، ورحل إلى بغداد وبلاد فارس لدراسة الحديث الشريف، ولدى عودته إلى دمشق مارس واجباته المهنية في المدرسة النورية[١] تعلم الكثير وسمع من شيوخ عصره في بغداد بالمدرسة النظامية، ومكة، والمدينة والكوفة وأصبهان، وألف عدداً كبيراً من الكتب كان أهمها كتاب "تاريخ مدينة دمشق وأخبارها وأخبار من حولها"[٢].

١- "التاريخ الكبير" أو "تاريخ مدينة دمشق": ضمنه ابن عساكر تراجم الأعيان والرواة والمحدثين والحفاظ وسائر أهل السياسة والعلم، من صدر الإسلام إلى أيامه ممن سكن دمشق أو نزلها، ألفه على نسق تاريخ بغداد لأبي بكر الخطيب البغدادي[٣]. وذكر فيه فضلها وتسمية من حلّها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها[٤] ويحوي الكتاب مجموعة متلاحقة من التراجم المرتبة ترتيباً هجائياً حسب أسماء أصحابها، ولا تجمع بينهم رابطة زمنية أو مهنية" وإنما الربط الوحيد الذي يربط بين معظمها هو صلتها من قريب أو بعيد بمدينة دمشق. فلن يجد الباحث المهتم بالجانب السياسي لمدينة دمشق كحوليات متتابعة تعالج حوادث مترابطة[٥] وقد هذبه عبد القادر بدران ويمكن الاستفادة منه كثيراً من خلال التراجم التي أوردها في كتابه وتاريخها السياسي.

٧- **أبو شامة:** شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي (٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م – ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م).

---

(١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء: م٧: جـ١٣: ٧٣، ٧٥- ٧٦، سيد بدر الحسن العابدي: الحافظ الكبير أبو القاسم بن هبة الله: ٣، ٣٥: الكلمات والبحوث والقصائد الملقاة في الاحتفال بمؤرخ دمشق الكبير ابن عساكر. وسترد: العابدي: ابن عساكر: كلمات.

(٢) البنداري: سنا البرق الشامي: جـ١: ٣٣-٣٤، شاكر مصطفى: المرجع ذاته: ١١٤.

(٣) كوكيس عواد: ملفات ابن عساكر: ٤٣٣، كلمات.

(٤) فريد جحا: كتابا ابن عساكر وابن شداد عن دمشق: ٥٦٨. كلمات.

(٥) سعيد عاشور: بعض أضواء جديدة على ابن عساكر والمجتمع الدمشقي في عصره: ٢١٣ كلمات.

ولد بدمشق، وحج إلى مكة مرتين، وزار بيت المقدس، ثم ارتحل إلى مصر للدراسة فاستمع فيها إلى أساتذة دمياط ومصر والقاهرة والإسكندرية، وختم القرآن حفظا في العاشرة من عمره، وله مؤلفات كثيرة في فنون العربية والقراءات والحديث والفقه والتفسير واللغة والعروض وألف في التاريخ عدة كتب أهمها[1].

١- "الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية": ويتكون هذا الكتاب من جزئين. يؤرخ فيهما أبو شامة الدولتين النورية والصلاحية" أي منذ سنة ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م وحتى وفاة صلاح الدين سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م وتعود أهمية هذا المصدر لاعتماده على مصادر أولية لم تصل إلينا. فيذكر في كتابه أنه وقف على مجلدات من الرسائل الفاضلية، وعلى جملة الأشعار العمادية في ديوانه فاستعان بها، كما ذكر أنه استعان بما سمعه من أفواه الثقاة، الذين عاصروا الأحداث أو عاينوها[2] قال أبو شامة:. "واستوفينا ما في كتابي البرق والفتح القدسي، والتاريخ الأتابكي، وكتاب أبي المحاسن، وأنضاف إلى ذلك قطعة كبيرة من عدة مصنفات، ودواوين ومراسلات"[3] كما اعتمد على كتب ابن الأثير: الباهر والكافل. كما يشمل هذا الكتاب على العديد من الوثائق الهامة التي نقلها عن مؤرخي عصره[4]. وقد نقل من كتاب ابن أبي طي[5] الذي لم يصل إلينا[6] وقد استفدت من هذا المصدر معلومات ثرة فيما يتعلق بالدولتين النوربة والصلاحية.

---

(١) أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق١: ٣-٥.

شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون: ٢٦٦.

(٢) البنداري: سنا البرق الشامي: جـ١: ٤٤، أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق١: ٨-٩، شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون: ٢٦٧.

(٣) أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١: ق١: ١٩.

(٤) أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١: ق١: ٣٠، شاكر مصطفى: المصدر ذاته: ٢٦٧.

(٥) ويرجح أنه كتاب "كنز الموحدين في سيرة صلاح الدين" انظر: البنداري، المصدر ذاته: جـ١: ٣٤.

(٦) أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١: ق١: ٣٠-٣١، نظير سعداوي: المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين: ٤-٥.

أي في كتابه الفصلين الرابع والخامس، إضافة لطائفة قليلة من الأخبار استعملتها في الفصل الثالث.

٨- **ابن واصل**: جمال الدين محمد بن سالم بن واصل (٦٠٤هـ/ ١٢٠٨م – ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م).

ولد في حماة وتوفي بها، وأقام مدة طويلة بمصر، واتصل بالملك الظاهر بيبرس فأرسله إلى ملك صقلية مانفيرد، ولما عاد خلع عليه لقب قاضي القضاة وشيخ الشيوخ[(١)].

١- "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب"، كتاب من أربعة أجزاء. اعتمد فيه كاتبه الجزء الأول المتعلق بعماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود، وهذه فترة سابقة للعهد الذي عاش فيه، ولهذا فقد اعتمد فيه على الأخذ مما كتبه سابقوه وخاصة ابن الأثير[(٢)]. أما الجزء الثاني فقد نقله عن مصادر محدودة معاصرة مثل البرق الشامي للعماد الأصفهاني، والسيرة اليوسفية لبهاء الدين بن شداد، والكامل في التاريخ لابن الأثير، ومراسلات القاضي الفاضل. وقد اعتمد فيه منهجاً واضحاً يعتد على النقد والمقارنة والمفاضلة بين النصوص واختيار الأفضل والأوثق، ويأخذ بالرأي الذي يراه صحيحاً[(٣)]. وقد استفدت من الجزء الثاني في كتابه الفصل الخامس من هذا البحث بشكل كبير. وقد ضم هذا الجزء عدداً كبيراً من الوثائق التاريخية الهامة.

---

(١) الزركلي: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، جـ٦: ١٣٣. دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، آب ١٩٨٠م، وسيرد: الأعلام.

(٢) كلود كاهن: نقد كتاب مفرج الكروب في أخبار بني أيوب. مجلة كلية الآداب، م١٠: ١١٥-١٦. جامعة الإسكندرية، ١٩٥٦م.

(٣) ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب: جـ٢: المقدمة: ي/ك نشرة جمال الدين الشيال، مطبوعات إدارة إحياء التراث القديم، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٩٥٧م.

وهذه أهم المصادر العربية التي استعملتها بشكل رئيسي ضمن هذا البحث، إضافة إلى بعض المصادر الأجنبية التي توفرت، وتمكنت من الاستفادة منها المكتوبة أو المترجمة إلى اللغة العربية أو الإنجليزية وأهم هذه المصادر:

٩- فولشر ذي شارتر: (Fuhcherdechartrrs) وقد رافق الحملة الصليبية الأولى، ورافق بلدوين[١] أخا جود فري (God Frey of Bouillon) ملك بيت المقدس الذي سيطر على الرها. ثم رافقه من إمارة الرها إلى بيت المقدس عندما أصبح بلدوين ملكا لها.

١- "تاريخ الحملة الأولى إلى بيت المقدس"[٢]. كتب فولشر جزءا من هذا الكتاب انتهى فيه بسنة ٤٩٩هـ/ ١١٠٥م، لكنه عاد فأكمله حتى سنة ٥٢١ هـ/ ١١٢٧م، فكتب كشاهد عيان، حيث أورد معلومات تفصيلية عن تأسيس مملكة بيت المقدس. واستزاد من كتابات غيره من المؤرخين، إضافةت لاطلاعه على بعض الوثائق الهامة حيث اعتمد عليه وليم الصوري[٣]. وكان فولشر واحداً من أبرز ثلاثة كتاب للسجلات عن الحملة الصليبية الأولى[٤]، وأقام في بيت المقدس من سنة ٤٩٤هـ/ ١١٠٠م – ٥٢١هـ/ ١١٢٧م[٥]، وقد استفدت من هذا المصدر بشكل رئيسي في الفصل الثاني من البحث وبصورة أقل من الفصل الأول منه (المصدر غير مترجم).

١٠- وليم الصوري: (William of Tyre): عين رئيساً لشماسة صور في سنة ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م، وكان اتصاله بالملك أملريك (Amalricl)[٦]، في سنة ٥٥٧هـ/

---

(١) ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب: جـ٢: المقدمة: ي/ ك نشرة جمال الدين الشيال، مطبوعات إدارة إحياء التراث القديم، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٩٥٧م.

(٢) هو (Baldwinof Bouillon) أمير الرها وشقيق جود فري ملك القدس.

(٣) "Ahistory of The Expedition to Jerusalem ١٠٩٥-١١٢٧.

(٤) Fulcher if Charters (١٠٩٩-١١٢٧) Encylopaedia Britanica; vol.٩: ٩٩٤

(٥) Fulcher; A Histre of the Expedition to Jerusalem, ٤٢, Fulcher; Ibid; ٣

(٦) هو أملريك الأول، شقيق الملك بلدوين الثالث، خلفه في حكم مملكة بيت المقدس من سنة ١١٦٢م – ١١٧٤م.

١١٦٢م، وقام بالسفارة لأملريك لدى مانويل كومنيناس (Marvelcomnenus)، إمبراطور بيزنطة سنة ٥٦٣هـ/ ١١٧٤م حتى وفاته[١].

١- "تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار"[٢] بدأ وليم الصوري بتدوين هذا الكتاب في سنة، (٥٦٤هـ/ ١١٦٩م- ٥٦٥هـ/ ١١٧٠م وانتهى منه سنة ٥٦٨هـ/ ١١٧٣م) واعتمد في كتابه على مصادر أهمها: حوليات القس فولشر (Fulcher)، وثاني هذه المصادر تاريخ البرت (آخن) (Albert of Alx) وثالث هذه المصادر القس ريموند (Raymond D'Agilers) في حولياته "تاريخ الفرنجة" (gesta Francorum) أما القسم الثاني من كتابه وخاصة حولياته منذ سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م، فقد اعتمد فيه على مشاهداته الشخصية والروايات التي قصّها عليه شهود العيان، والسجلات والوثائق الرسمية في الكنائس والأديرة وقصور الأمراء والملوك[٣] ومن هنا جاءت أهمية هذا المصدر، وقد جعلت من مادة هذا الكتاب جزءاً كبيراً وهاماً من مادة الفصول، الثاني والثالث والرابع، المتعلقة بالعلاقات السياسية بين إمارة دمشق وبيت المقدس إذ تميز هذا المصدر بوفرة المعلومات وسرد تفاصيلها، إضافة لاحتوائه على عدد كبير من النصوص في المعاهدات والاتفاقيات بين المسلمين والصليبيين، لم أجدها في غيره من المصادر العربية والأجنبية.

(وهو مترجم من اللغة اللاتينية إلى الإنجليزية).

---

(١) وسيرد: W. Of tyre; A history of deeds Done Beyond the sea; vol. ١٠٤٠, Ahistory of deeds: Krey octagon Books, Newyork ١٩٧٦. Ed. Austin. P. Evens.

عمر الكمال توفيق: نقد "المؤرخ وليم الصوري، مجلة كلية الآداب، العدد ٢١: ١٨٣-١٨٥، جامعة الإسكندرية/ ١٩٦٧. سعداوي: المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين: ٤٠-٤١.

(٢) A History of Deeds Done Beyond the sea.

(٣) W. of. Tyre, Ibid, vol. I. ٢٩, ٣٨

سعداوي: المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين: ٤٥- ٤٧.

١١- مؤلف مجهول[1]: رافق المؤلف الحملة الصليبية الأولى في بلاد الشام بدليل ما يورده في كتابه من استعماله صيغة الجمع، سرنا، وحاصرنا، وغير ذلك، خلال حديثه عن أعمال هذه الحملة وسيرها إلى القدس[2].

١- "تاريخ الفرنجة وأعمال حجاج بيت المقدس"، ويعتبر من المصادر الرئيسية التي أرخت للحملة الصليبية الأولى وما قام به الصليبيون حتى فتح مدينة بيت المقدس. ويستمد هذا الكتاب أهميته من خلال مشاركة مؤلفه المجهول في هذه الحملة حيث يعتبر شاهد عيان على ما جاء في كتابه. وقد استفدت منه بشكل خاص فيما يتعلق بمسير الحملة إلى بيت المقدس وبعض ما قامت به خلال سيرها، في الفصل الثاني من البحث.

وهناك مجموعة كبيرة من المصادر والمراجع التاريخية أفدت منها بشكل ثانوي أوردها بإيجاز حسب سنوات الوفاة، كتاب "تاريخ العظيمي" لصاحبه: العظيمي المتوفي سنة (٥٥١هـ/ ١١٦١م)، لم أستفد منه إلا النزر اليسير وكتاب "الاعتبار" لأسامة بن منقذ الشيزري المتوفي سنة (٥٨٤هـ/ ١١٨٨م)، وكتاب "زبدة الحلب من تاريخ حلب "لابن العديم المتوفي سنة (٦٦٠هـ/ ١٢٦٣م) إذ استفدت من جزئيه الأول والثاني فيما يتعلق بتاريخ حلب وقليل من الأخبار الأخرى. وقد استخدمت مادته في الفصل الرابع من البحث. أما كتاب أبي الفداء (٦٧٢هـ/ ١٢٧٥م) "المختصر في أخبار البشر" ففيه معلومات لا بأس بها استفدت منها معلومات سياسية هامة في الفصول الثالث والرابع والخامس. كما أفدت من كتاب ابن ميسر المتوفي سنة (٦٧٧هـ/ ١٨٠م) "المنتقى في أخبار مصر" فيما يتعلق بالنفوذ الفاطمي في مدن الساحل وأحداث مصر في الفصلين الثالث والرابع، و"تاريخ" ابن العبري المتوفي سنة ٦٨٥هـ/ ١٣٠٠م) و"تاريخ الذهبي" المتوفي

---

(١) بالرغم مما أورده سعداوي في كتابه السابق: ٤٥، بأن هذا الكتاب لاجيلرز، فإن جمهور المؤرخين الفرنج غير متفقين على تبعية لشخص ما، لذلك جعلوه شخص مجهول.

(٢) مؤلف مجهول: أعمال الفرنجة: ٢٨-٣٨.

سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) ابن الوردي المتوفي سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م، وكتاب "البداية والنهاية" لابن كثير المتوفي سنة (٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م)، و"تاريخ"، ابن الفرات المتوفي سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٧م)، و"صبح الأعشى" و"مـأثر الأناقـة" للقلقشندي المتوفي سنة (٨٢١هـ/ ١٤٢١م)، بينما استقيت من كتاب "النجوم الزاهرة" لأبي المحاسن المتوفي سنة (٨٧٤هـ/ ١٤٧٤م)، بعض المعلومات النادرة التي أخذها من "مرآة الزمان" لسبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٢٥م) وغيره من المؤرخين.

أما المصادر الجغرافية فكثيرة ومتنوعة، وقد استفدت منها في الفصل الأول بشكل رئيسي، إضافة لتوثيق أسماء العديد في المدن والمواضع في كافة الفصول، وأهم هذه المصادر هي: كتاب "البلدان" لليعقوبي المتوفي سنة (٧٨٤هـ/ ٨٩٧م)، و"الأعلاق النفيسة "لإبن رسته المتوفي سنة (٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، و"أحسن التقاسيم"، للمقدسي المتوفي سنة (٣٧٥هـ/ ٩٨٥م)، و"صورة الأرض" لابن حوقل المتوفي في (ق٤هـ/ ١٠م)، و"نزهة المشتاق "للإدريسي المتوفي سنة (٥٦٠هـ/ ١١٦٥م) و"رحلة" ابن جبير المتوفي سنة (٦١٤هـ/ ١٢١٦م)، و"معجم البلدان" ياقوت الحموي المتوفي سنة (٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، و"تقويم البلدان" لأبي الفداء المتوفى سنة (٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، و "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" لابن بطوطة المتوفي سنة (٧٧٩هـ/ ١٣٧٨م).

وقد استعنت بعدد كبير من المراجع الحديثة، فاستعنت بآراء ووجهات نظر مؤلفيها وطرائفهم في التحليل والنقد، إضافة إلى ما اهتديت إليه من مصادر هامة في قوائم المصادر فيها، وهي كثيرة العدد وسأتعرض لذكر أهمها، فهناك كتاب "نور الدين والصليبيون" لحسن حبشي الذي استفدتمنه بشكل خاص في الفصل الرابع من البحث، ومؤلفات محمد جمال الدين سرور "تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري (الذي استفدت منه في الفصل الأول) وكتابه "مصر في عهد الدولة الفاطمية" الذي ساعدني في كتابة الفصل الثالث. كما أضفت إلى هذا الفصل من كتابه "سياسة الفاطميين الخارجية". واستفدت كذلك من كتاب سعيد عاشور:

الحركة الصليبية" بجزئية في الفصول، الثالث والرابع والخامس بصورة متوسطة. إضافة لرسالة دكتوراة لخاشع المعاضدي "الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي"ساعدتني في تكوين صورة واضحة عن العلاقات بين المسلمين والصليبيين في الفصل الثالث والرابع من البحث. كما أفادني بشكل كبير كتاب دريد نوري "سياسة صلاح الدين الأيوبي في مصر والشام "في استيضاح مادة الفصل الخامس وتشكيلها. أما من الكتب المترجمة فكان لكتاب سميل دور هام في معرفة النشاط الحربي بين المسلمين والصليبيين في بلاد الشام. وهو "الحروب الصليبية". استفدت منه كثيرا في الفصل الثاني. أما الكتب الإنجليزية غير المعربة فأهمها كتاب SETON "تاريخ الصليبيين" وفيه مقالات وافرة لكافة فصول البحث استخدمتها بشكل فعال.





الفصل الأول

الجغرافيا التاريخية لبلاد الشام

في القرن الثاني عشر الميلادي


الذخيرة العربية

أولاً: جغرافية بلاد الشام:

احتلت الشام موقعاً جغرافياً متميزاً كان له أعمق الأثر في عدم استقرار هذه المنطقة التي تفاعلت على أرضها حضارات متعاقبة قديماً وحديثاً، إضافة لازدهارها الاقتصادي الناجم عن ارتباطها بطرق المواصلات من كافة أرجاء البلاد المجاورة، فغصت أسواقها بالتجارة وانتعشت حياة السكان فيها اقتصادياً واجتماعياً، هذا إلى جانب رسو الأساطيل التجارية في موانئها على البحر المتوسط، ومن تجارة البحر الأحمر القادمة من الهند.

ارتبطت فكرة الحروب الصليبية بأوضاع الغرب الاجتماعية والاقتصادية ونظم الحياة السياسية والعسكرية العامة فيها[1].

وقد أدى تفكك المسلمين وانقسامهم في بلاد الشام، إضافة للعوامل السابقة إلى نجاح الحملة الصليبية وتمكنها من الاستيلاء على مدن الساحل الشامي وبعض الأجزاء الداخلية منها.

تقع بلاد الشام على امتداد الساحل الشرقي للبحر المتوسط، في قلب العالم القديم، إذ تتوسط قاراته الثلاث، آسيا وأفريقيا وأوروبا. وتقع في المنطقة المعتدلة بالنسبة لدرجات العرض[2].

١- طبيعة الشام الطبوغرافية:

تمتد مظاهر التضاريس في بلاد الشام امتداداً طولياً من الشمال إلى الجنوب فتقترب من بعضها حيناً وتبتعد حيناً آخر. وسنتابع هذه التضاريس من الساحل إلى الداخل.

١) السهول الساحلية: وتمتد هذه السهول على طول ساحل البحر المتوسط من سهول اسكندرونة في شمال سورية حتى نهاية السهل الساحلي الفلسطيني جنوب غزة[3].

---

(١) سهيل زكار: الحروب الصليبية: جـ (مدخل عام): ٤٩.

(٢) كامل نصري: جغرافية سورية، سوريا الشمالية: جـ١: ١٥. مطبعة الترقي بدمشق، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م، وسيرد: جغرافية سورية.

(٣) يحيط السهل بمدينة غزة، وينتهي عند الحدود المصرية، ويقع سهل غزة بين خطي عرض ٥٩، ٣١، ٤٥، ٣١ وخطي طول ١٣، ٣٤، ٥٣، ٣٤ محمود عطا الله: نيابة غزة في العهد المملوكي: ٦١، ٧٥-٧٦، دار الأفاق الجديدة، بيروت: ١٩٨٦م. وسيرد، نيابة غزة.

تتسع هذه السهول قليلاً في منطقة عكّار[(١)] وصيدا، وصور[(٢)]، في لبنان مما يؤدي لاتساع الطريق الساحلي بينما يفصل جبل الكرمل سهول فلسطين الساحلية شمالها عن جنوبيها، كما أدى قربه من البحر إلى تضيق طريق الساحل فاتجهت الطريق إلى الداخل لتدور حول جبل الكرمل في اتجاهها نحو الجنوب[(٣)]. وقد سلكت الحملة الصليبية الأولى هذه الطريق حتى وصلت أرسوف[(٤)] على ساحل البحر، وتقدمت نحو اللد والرملة في طريقها للسيطرة على القدس وانتزاعها من الفاطميين[(٥)].

٢) السلسلة الغربية لجبال بلاد الشام: وهي سلسلة جبلية متقطعة بفواصل طبيعية تمتد من الشمال إلى الجنوب، وأعلى قممها، قمة القرنة السوداء في شمال جبال لبنان وارتفاعها (٣٠٨٨)م. وتنحدر هذه الجبال بشدة نحو حفرة الانهدام وباعتدال نحو البحر المتوسط[(٦)] وتنحرف جبال فلسطين نحو الجنوب الشرقي من جبل الكرمل ويفصل ممر حمص – طرابلس بين جبال النصيرية في سورية وجبال لبنان الغربية مما سهل الاتصال بين مدن الساحل والمدن الداخلية. كما يعتبر ظهر البيدر ممراً طبيعياً بين دمشق وبيروت. أما في

---

(١) تقع على خليج عكار شمالي مدينة طرابلس في لبنان. محمد محمود الصياد: معالم جغرافية الوطن العربي: م١: ١٠٥-١٠٦ (المقدمة ١٩٧٠م) بيروت.

(٢) كامل نصري: جغرافية سورية: جـ١ : ٤١-٤٢، الصياد: المرجع. ذاته: م١: ١٠٧.

(٣) الصياد: المرجع ذاته: م١: ١٠٧، يسري الجوهري: جغرافية الشعوب الإسلامية، ١٩٠، نشر منشأة المعارف بالإسكندرية: ١٩٨١م.

(٤) وهي بلدة ذات قلعة وكانت مسكونة وهي على ساحل البحر الرومي (البحر المتوسط) قال العزيزي وبينها الرملة إثنا عشر ميلاً وبينها وبين يافا ستة أميال، ومنها إلى قيسارية، ثمانية عشر ميلاً، أبو الفداء: تقويم البلدان: ٢٣٨-٢٣٩، تصحيح وطبع رينود والبارون ماك كوكين ديسلان. طبع في مدينة باريس المحروسة بدار الطباعة السلطانية ١٨٤٠م.

(٥) Fulcher; Expedition, ١٤-١٥;

W. of Tyer; A History of Deeds: vol; I: ٣٢٩-٣٣٠.

مؤلف مجهول: أعمال الفرنجة وأعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس: ١١٤. القاهرة، دار الفكر العربي ١٩٥٨. وسيرد: أعمال الفرنجة.

(٦) عبد الرؤوف فضل الله لبنان. دراسة جغرافية: ٣٩. مكتبة كريدية إخوان، بيروت، ١٠٩٨٣، وسيرد: لبنان.

فلسطين فتعتبر مدينة نابلس الواقعة بين جبال جرزيم وعيبال مدخلاً طبيعياً بين الساحل وغور الأردن[١] وتنتهي هذه السلسلة في جبال القدس والخليل جنوباً، ومعدلات ارتفاعها لا تقل عن الألف متر[٢].

٣) حفرة الانهدام: وهي جزء من الانهدام الآسيوي الأفريقي العظيم، إذ تمتد من أقصى شمال سورية حتى البحر الأحمر الذي يشكل امتداداً طبيعياً لحفرة الانهدام في بلاد الشام. وتشمل وادي النهر الأسود وسهل العمق ومدرى نهر العاصي في سورية ثم سهل البقاع في لبنان[٣]. وتظهر في مجرى نهر الأردن حتى البحر الميت[٤] وتمتد من جنوب البحر الميت حتى خليج العقبة باسم وادي عربة بطول مائة كيلو متر[٥].

٤) السلسلة الشرقية لجبال بلاد الشام: وتمتد هذه السلسلة الجبلية من شمال سورية إلى القسم الجنوبي من شرقي نهر الأردن. وتمتد بموازاة جبال الشام الغربية من الشمال إلى الجنوب. ويعتبر جبل الشيخ وارتفاعه (٢٨١٤)م من أعلى قمم هذه السلسلة الجبلية. ويفصل سهل الزبداني جبال لبنان الشرقية إلى قسمين شمالي وجنوبي[٦] حيث يعتبر ممراً طبيعياً بين دمشق وبيروت.

---

(١) George Smith The Historical Geograph of the Holy Land: ٢٤٧. ١٣th , edition. New York, A.G. Armstrong and son. ١٩٧٠.

وسيرد: G. Smith; the Hist. Geography.

(٢) الصياد: معالم جغرافية الوطن العربي: ١١٢، الاصطخري: المسالك والممالك: ٤٣، تحقيق: محمد شفيق غربال، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، نشر دار القلم، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م ابن حوقل: المرجع ذاته: جـ١: ٢٢، كامل نصري، جغرافية سورية: جـ١: ١٩- ٢٠.

(٣) نصري: المرجع ذاته: جـ١: ٢٢، كمال نسري: جغرافية سورية: جـ١: ١٩-٢٠.

(٤) G.Smith; The Hist. Georgaph; ٤٦٩.

العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: جـ١: ٨٢، تحقيق: احمد زكي باشا، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م، وسيرد: مسالك الأبصار.

(٥) G.Smith; Ibid; ٤٧١.

نصري: جغرافية سورية: جـ١: ٢٢ الجوهري؟ جغرافية الشعوب الإسلامية: ١٧٠-١٩٢.

(٦) الصياد: معالم جغرافية الوطن العربي: ١٢١-١٢٢، فضل الله: لبنان: ٣٤.

٥) المناطق الداخلية: وتتخللها بعض السهول مثل سهول حلب وحماة وحمص في وسط وشمال سورية[١]، وجميعها كانت خاضعة لدولة نور الدين زنكي بعد دخوله دمشق في سنة ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م. ثم سهول الجولان وحوران الواقعة في جنوب غرب سورية[٢]. إلى جانب بعض الكتل الجبلية المتفرقة كجبال بشرّي والبلعاس الواقعة إلى الشمال الشرقي من حمص، إضافة لجبال تدمر الواقعة في بادية الشام إلى الشرق من دمشق[٣]. أما من الناحية الإدارية فخضعت بلاد الشام إلى الفاطميين، فكانت تدار من دمشق، والرملة، أما المدن الساحلية فقد كانت أكثر اتصالاً وارتباطاً بمصر لوجود الأساطيل الفاطمية التي لم تنقطع عن زيارة المدن الساحلية.

٢- طرق المواصلات في بلاد الشام:

كان لتباين الظواهر الطبيعية في بلاد الشام واختلافها في الامتداد والارتفاع أثر واضح في تحديد الطرق والمسالك التي سلكتها القوافل التجارية والحملات العسكرية داخل بلاد الشام ومنها إلى البلاد المجاورة. ولكن أهمية هذه الطرق قد اختلفت من حين لآخر فبعضها يمثل طرقاً رئيسية دائمة لا غنى عنها، وأخرى فرعية أقل أهمية منها، وثالثة استثنائية، ويمكن استخدامها في أحوال نادرة وفق ما تقتضيه مصلحة كل قوة من القوى العسكرية في بلاد الشام، وخاصة عند الغارات.

(١) الصياد: المرجع ذاته: ١٢٣، نصري: جغرافية سورية: جـ١: ٤١.

(٢) ابن العديم: زبدة الحلب من التاريخ حلب: ٣٤٠-٣٤١، تحقيق: سامي الدهان، دمشق، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، ١٩٥١م-١٩٦٨م، وسيرد: زبدة الحلب.

(٣) G. Smith; The Hist. Geography; ٤٣٠.

وأما الطرق الرئيسية فأهمها طريق مصر إلى الشام (طريق الساحل) التي تمر من دمياط إلى العريش والخروبة[١] ورفح والداروم[٢] وغزة[٣]. ومنها إلى مدينة عسقلان على ساحل البحر المتوسط، ثم إلى يبنا[٤]، ومنها إلى الرملة، ومنها إلى مدن الساحل الأخرى شمالاً ثم تتجه إلى الشرق عبر سهل بيسان إلى ممر الصنبرة[٥] جنوبي بحيرة طبرية ثم تتجه شمالاً حتى تصل إلى دمشق، ثم إلى العراق[٦].

وكانت حركة القوافل التجارية تنظم بين إمارة دمشق والفاطميين في مصر عبر هذه الطريق.

---

(١) لم أعثر عليها في كتب الجغرافية واستدل بما ورد عنها من معلومات أنها على الحدود بين مصر وفلسطين، ومحطة على الطريق بين مصر وفلسطين (إلى دمشق).

(٢) قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر بينها وبين البحر مقدار فرسخ. ياقوت: معجم البلدان: جـ٢: ٤٢٤، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ولبنان الداروم (دير البلح) قرية تقع إلى الجنوبي الغربي من غزة، محمود عطا الله: نيابة غزة: ٧١.

(٣) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب: ٣٥-٣٦، ط٤، ١٩٨١م، ملتزمة الطبع والنشر: مكتبة النهضة المصرية: وسيرد: تاريخ الدولة الفاطمية.

(٤) قرية تقع جنوب غرب الرملة، حسن عبد القادر: أسماء المواقع الجغرافية: ٢٠٨، محمود عطا الله: المرجع ذاته: ٧٨.

(٥) موضع بالأردن مقابل لعقبة أفيق بينه وبين طبرية ثلاثة أميال. ياقوت: معجم البلدان جـ٣: ٤٢٥.

(٦) محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري: ١٥، القاهرة دار الفكر العربي، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

و(خدم طريق الصنبرة إلى عكا القوافل التي كانت تتردد ما بين دمشق وعكا، فكانت تسلكه قوافل الجمال باعتباره أقل وعورة من طريق بانياس المخصصة لقوافل البغال التي تتحمل السير في تلك الشعاب)

ابن جبير- الرحلة: ٢٩٩، تحقيق: حسين نصار. القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٥٥م. إبراهيم

أحمد العدوى: التاريخ الإسلامي، آفاقه السياسية وأبعاده الحضارية: ٣٦١، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٦م، وسيرد: التاريخ الإسلامي.

يوسف دوديش غوانمة: التاريخ السياسي لشرقي الأردن في العصر المملوكي الأول (المماليك البحرية)، ٤٠، ط٢، مزيدة ومنقحة، ١٩٨٢، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، مطبعة الشرق ومكتبتها. وسيرد: التاريخ السياسي لشرقي الأردن.

وقد وردت هذه الطريق عند (الهروي) في كتابه "الإشارات" الذي ألفه في هذه الفترة إذ يعتبر مصدراً جغرافياً هاماً عن الشام في هذه الفترة، فأولها: عسقلان – الفَرَمَا[1]، – بلبيس[2]– عين شمس[3]– القاهرة[4].

وبالإضافة إليها كان الطريق الممتد من دمشق إلى الزرقاء في شرقي نهر الأردن ومنها إلى شرق الكرك ثم إلى وادي عربة في قسمة الجنوبي ثم عبر (صحراء) سيناء إلى مصر. وكانت الكرك بموقعها تسيطر على هذا الطريق، فكان استيلاء أرناط أمير الكرك على قافلة للمسلمين كانت تجتاز هذا الطريق من مصر إلى الشام وسجنه لرجالها في سنة، ٥٨٢هـ/ ١١٨٧م[5] مؤشراً واضحاً على هذه السيطرة.

وهناك طرق داخلية تربط ما بين مدن الشام الداخلية منها والساحلية على حد سواء، أولها: الطريق الموصلة بين (نابلس والخليل) وأهم المواضع التي تمر منها نابلس – سنّجل[6] – القدس – بيت لحم – الخليل[7].

---

(١) قال اليعقوبي: الفرما أول مدن مصر من جهة الشمال وبها أخلاط من الناس وبينها وبين البحر ثلاثة أميال، المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: جـ١: ٢١١، دار صادر بيروت، ط جديدة بالأوفست، وسيرد: الخطط.

(٢) مدينة بمصر السفلي إلى الشمال الشرقي من القاهرة على حدود الصحراء دائرة المعارف الإسلامية: م٤: ٧٥، إنتشارات جهان، تهران بوذر جمهرى.

(٣) كانت مدينة فرعون وبها آثار قديمة عظيمة وهي عن القاهرة على نصف مرحلة وعندها ضيعة تسمى مطرية وهي من القاهرة في جهة الشمال بشرق على درب الشام. أبو الفداء: تقويم البلدان: ١١٨-١١٩.

(٤) أبو بكر الهروى: الإشارات إلى معرفة الزيارات: ٣٤-٣٥ جانبين سورديل- طومين، دمشق، ١٩٥٣م، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، وسيرد: الإشارات.

(٥) البنداري: سنا البرق الشامي: ٢٨٩، ابن واصل، مفرج الكروب: جـ٢: ١٨٥، أبو شامة: الروضتين: جـ٢: ٧٥.

(٦) بلدة عند جب يوسف (وهي الآن بين نابلي ورام الله) الهروي: الإشارات: ٢٤.

(٧) الهروى: المصدر ذاته: ٢٤، ٢٩- ٣٠.

Prawer. The Lat. Kingdom, ٣٦٢.

أما الطريق الذي يربط مدينة القدس بالساحل فكان يمتد من عسقلان- بيت جبرين[١] – ثغر عسقلان – غزّة – مدينة قيسارية – يبنا – مدينة الرملة- عمواس[٢]- القدس [٣].

كما أن هناك طرقاً فرعية أقل أهمية وأهمها الطريق التي سلكها أسد الدين شيركوه خلال عودته من مصر في سنة ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م، إذ عبر غور الأردن فخرج من من البلقاء إلى الزرقاء[٤] فدمشق بعيداً عن جموع الفرنج[٥] كما سلك السلطان صلاح الدين عند محاولته حصار الكرك في سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م الطريق إلى اللجون[٦] ثم إلى البلقاء وخيّم في حسبان[٧] بازاء الفرنج ثم استدرجهم إلى الوالة [٨]وتقدم نحو ماعين[٩] وهناك

---

(١) بليد بين بيت المقدس وغزة، وبينه وبين القدس، مرحلتان، وبين غزة أقل ذلك، ياقوت: معجم البلدان: جـ٢: ٥١٩.

(٢) كورة عمواس هي ضيعة جليلة على ستة أميال من الرملة على طريق بيت المقدس، ياقوت: المصدر ذاته: جـ٤: ١٥٧.

(٣) الهروي: المصدر ذاته: ٣٢- ٣٤، قال الهروي "دخلت ثغر عسقلان سنة سبعين وخمسمائة، وبت في مشهد إبراهيم".
(رجعت إلى كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، لابن شاهين الظاهري، وكتاب الأعلاق النفسية – لابن رسته، والبلدان لليعقوبي وفيها معلومات وافرة عن المواصلات لكفها تبحث في فترة بعيدة عن فترة الدراسة، كما رجعت إلى كتاب الدكتور
عدنان البخيت، مملكة الكرك في العهد المملوكي وهي فترة متأخرة عن فترة الدراسة لكنها جميعاً قد أفادتني في الخروج بتصور عن طرق المواصلات التي لم تختلف كثيراً عبر العصور السابقة لفترة الدراسة)

(٤) مدينة أردنية تقع شمال شرق عمان تقع عند خط طول (٣٦.٢٠) وخط عرض (٣٢.٦٧) قسطندي نقولا: كشاف المواقع الجغرافية: ٢٢، ١٩٧٢م.

(٥) ابن الأثير: التاريخ الباهر: ٨٦.

(٦) وهي قرية قديمة من جهة الغرب عن بيسان، على نصف مرحلة منها. القلقشندي صبح الأعشى: جـ٤: ١٥٤.

(٧) حسبان: تقع عند، خط طول (٣٥.٨١) وخط عرض (٣١.٨٠) وترتفع ٨٥٠ مترا فرق مستوى سطح البحر، قسطندي: المرجع ذاته: ١٩.

(٨) قرية تقع قرب وادي الوالة، طوله (٥١كم) ويقع عند خط طول (٣٥.٨٠) وخط عرض (٣١.٥٠) ويرفد وادي الموجب، قسطندي: المرجع ذاته: ١٩.

(٩) زرقاء ماعين وادي تصب مياهه في البحر الميت.

Gsmith; The Hist- Geography, ٥١٧.

ممر ثانوي يصل بين دمشق وبيروت، وكان ممراً هاماً لحركة التجارة بينهما، وتشير إلى ذلك حادثة استيلاء أهل بيروت على تجارة لأهل دمشق وسلبها[١]. كما أن انعطاف السلطان صلاح الدين في سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م من الغور إلى مدن نابلس وسبسطية[٢] وجنين[٣] كان حالة استثنائية نظراً لأنها كانت تعتبر من بلاد الفرنج.



(١) Robert L. Nichaison; "The Growth of the Latin Stotes", Settpm; "A History of the Crusades"; vol. I; ٤٣٣.
R Nicheleon, "Growth; Setton, The Gusades, وسيرد ذكره

(٢) بليدة لا شأن لها (تقع بالقرب من نابلس إلى الشمال الغربي منها) دائرة المعارف الإسلامية: م١١: ٢٤٠.

(٣) ابن الأثير: الكامل، جـ١١، ٥٠٦ – ٥٠٧.

ثانياً: القوى السياسية في الشام ومختصر علاقتها السياسية

١- إمارة دمشق السلجوقية:

شهدت الشام منذ مطلع النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وجود خلافة فاطمية شيعية ضعيفة سيطرت على سائر الشام، وكانت إلى جوارها خلافة عباسية سنية، وكان العداء قائماً بينهما وتحاول كل خلافة القضاء على الأخرى بشتى السبل. وتمثلت البداية في حركة البساسيري(١) التي قامت في العراق للقضاء على الخلافة العباسية(٢). وقد زودها اليازوري وزير الخليفة المستنصر الفاطمي بالمال والسلاح والمتاع(٣) مقابل قيام البساسيري بالطاعة والخطبة للخلافة الفاطمية في بغداد إذا ما تم الاستيلاء عليها(٤). لكن حركة البساسيري قد فشلت إثر وقوف السلطان

---

(١) هو أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيري، التركي كان مولى لأبي علي بن الحسن بن أحمد الفارسي النحوي ثم ملكه بهاء الدولة بن عضد الدولة البويهي. ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر: جـ٢: تحقيق: أيمن فؤاد سيّد، العهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، وسيرد: المنتقى، أبو الحسن الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية: ١٨، تصحيح محمد إقبال، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان، جـ١: ١٩٢، مطبعة بولاق ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م، القاهرة، وسيرد: وفيات الأعيان.

(٢) العماد الأصفهاني: تاريخ دولة أل سلجوق: ١٨، وقد اختصره البنداري، وسيرد البنداري: تاريخ دولة أل سلجوق. القاهرة، مطبعة الموسوعات، ١٩٠٠م، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة: جـ٥: ١٢.٦، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م.

(٣) سرور: مصر في عهد الدولة الفاطمية: ١٤٥-١٤٦، الناشر، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٠. شاكر مصطفى: دخول الترك الغز إلى الشام، المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام، ١٩٧٤: ٣٢٨، العوفي: العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية والعباسية: ١٠١.

(٤) ابن الأثير: الكامل: جـ١: ١٣، ابن الجوزي: المنتظم في أخبار الأمم: جـ٨: ١٦٤، ط١، ١٣٥٩هـ مطبعة دائرة المعارف العثمانية.

البنداري: سنا البرق الشامي: ١٨، محمد الخضري بك: تاريخ الأمم الإسلامية "الدولة العباسية" ١٤٧، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٧٠م.

السلجوقي طغرل بك إلى جانب الخلافة العباسية، وتمكن من إنقاذ الخليفة العباسي من الأسر وإعادة الخطبة العباسية إلى بغداد(١).

وفي سنة ٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م سار السلطان ألب أرسلان إلى الشام فتوجه إلى حلب فأطاعه صاحبها محمود بن مرداس(٢) وبادر بإعلان الخطبة بحلب للخليفة العباسي القائم بأمر الله وللسلطان ألب أرسلان من بعده وقطع خطبة الفاطميين في شوال من السنة فخلع عليه السلطان وعاد إلى بلاده(٣):

١ - تأسيس إمارة دمشق السلجوقية وعلاقاتها السياسية مع الفاطميين:

في سنة ٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م قدمت إلى الشام بعض الجماعات التركمانية بدعوة من بدر الجمالي، الوزير الفاطمي فأقطعهم بعض الأراضي المتاخمة للبادية لحماية المناطق الحضرية من غزو بدو القبائل العربية واستمر ذلك طيلة سنتي (٤٦٢-٤٦٣هـ/ ١٠٦٩-١٠٧٠م) غير أنهم اختلفوا معه على الأرزاق إذ لم يعطهم مالاً(٤). وتولى قيادتهم أتسزبن أوق الخوارزمي ضد الفاطميين ففتح الرملة وسار منها إلى بيت المقدس فدخله بالأمان،

---

(١) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠: ٤٥، البنداري: المصدر ذاته: ١٨، (دخل البساسيري إلى بغداد سادس ذي القعدة سنة ٤٥٠هـ (١٠٥٧م)، وخرج سادس عشر ذي القعدة سنة ٤٥١هـ (١٠٥٨م) أبي الحسن الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية: ١٩-٢٠، محمد الخضري بك: المرجع ذاته: ٤١٧.

(٢) ابن القلانسي: المذيل: ١٦٧، ابن الأثير: المصدر ذاته، جـ١٠: ٦٤، ابن العديم زبدة الحلب: ١٧، البنداري: سنا البرق الشامي: ٣٩، شاكر مصطفى: دخول الترك الغز إلى الشام، المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام، ١٩٧٤، ٣٤٥.

(٣) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ١٦٧، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠: ٦٣،
البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق: ٣٩، ابن العديم: المصدر ذاته: جـ٢: ١٧، ابن ميسر: المنتقى: جـ٢: ٣٥-٣٦. النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب: جـ٢: ٢٨ القاهرة، المؤسسة العصرية العامة، تراثنا.

(٤) ابن القلانسي: المذيل: ١٦٥، شاكر مصطفى: دخول الترك الغز إلى الشام، المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام ١٩٧٤، ٣٤٩، ٣٥١-٣٥٢.

كما فتح سائر بلاد فلسطين باستثناء عسقلان[1] وكتب أتسز إلى بغداد بفتح بيت المقدس وإقامة الخطبة العباسية فيه، مفتخراً أنه "أحسن إليهم وأبطل المصرية ولم يقاتلهم وقال: حرم الله لا أقاتله وإنما أريد إقامة الدعوة الإمامية العباسية والسلطانية فأجابوه[2] فتحسنت علاقته بالسلطنة السلجوقية.

ولتوطيد سيطرته على جنوب الشام قام أتسز بمحاصرة دمشق ثلاث مرات حتى تم له فتحها في يوم الاثنين ٢١ ذي القعدة سنة ٤٦٨هـ/ ٢٦حزيران ١٠٦٧م. وخطب الإمام المقتدي بالله العباسي على منبر دمشق في ٢٥ ذي القعدة من السنة ذاتها الموافق ٣٠ حزيران ١٠٦٧م، وقطع الخطبة المستنصرية[3]. ولم يكتف بذلك فقد قاد حملة إلى مصر طمعاً منه في الاستيلاء عليها، ولكن حملته أخفقت فعاد منهزماً في ٢٢ رجب ٤٦٩هـ/ ١٩ شباط ١٠٧٧م إلى الرملة ومنها إلى دمشق[4] مما شجع الفاطميين على إرسال حملة عسكرية في سنة ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م وأخرى في سنة ٤٧١هـ/ ١٠٧٨م فاضطر أتسز إلى الاستنجاد بتاج الدولة تتش الذي أقطعه أخوه السلطان ملكشاه بلاد الشام وما يفتتحه

---

(١) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ١٦٦-١٦٧، ابن الأثير: الكامل: جـ١٠، ٦٨، ٨٨، ابن عساكر: ولاة دمشق في العهد السلجوقي، نصوص مستخرجة من تاريخ دمشق: ٤ (تحقيق صلاح الدين المنجد) ط٢، ١٩٧٥م، دار الكتاب الجديد، بيروت – لبنان. ابن الجوزي: المنتظم: جـ٨: ٢٨٤، محمد أحمد عبد المولى- بنو مرداس الكلابيون في حلب وشمال الشام وسياستهم الخارجية مع دولتي الفواطم والروم: ١٨١، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م: دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، وسيرد: بنو مرداس الكلابيون.

(٢) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ١٦٦، شاكر مصطفى: المقالة ذاتها: المرجع ذاته: ٣٦٢- ٣٦٣، ٣٦٧.

(٣) ابن القلانسي: المذيل: ١٧٤- ١٧٥، ابن عساكر "ولاة دمشق في العهد السلجوقي: ٥، القلقشندي: مآثر الإنافة في معالم الخلافة: جـ٢: ٥، تحقيق عبد الستار فراج، الكويت، ١٩٧٢م. وسيرد: مآثر الأناقة، ابن البر: الكامل: جـ١٠: ٩٩-١٠٠، ابن ميسر: المنتقى: جـ٢: ٤٠: أبي المحاسن: النجوم الزاهرة: جـ٥: ١٠١. ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول: ٣٣٣،

"Dimashk", The Encyclopeadia of Islam; ٢٨٢.

سهيل زكار: مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية: ١٦٢-١٦٣، دار الفكر، ط٣، ١٩٧٥.

(٤) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ١٧٦-١٨١ ابن عساكر: المصدر ذاته: ٦٠٤، ابن ميسر: المصدر ذاته، جـ٢: ٤٤، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠: ١٠٣-١٠٤.

منها في سنة ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م، فوصل تتش بجيوشه إلى دمشق ودخلها في ١٢ ربيع الآخر سنة ٤٧٢هـ، ١٢ تشرين الأول سنة ١٠٧٩م. وأمر بقتل أتسز[١] فاستقام له الأمر في أعمال فلسطين[٢].

وقد سعى تاج الدولة تتش لإحكام سيطرته على سائر الشام، فقصد الساحل الشامي، وافتتح أنطرطوس ورفينيّة في سنة ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م[٣] كما دخلت في طاعته بيت المقدس في سنة ٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م[٤] بالإضافة إلى بعلبك التي سلّمها واليها الفاطمي ابن صقيل إلى تتش، ودخل في طاعة العباسيين صفر سنة ٤٧٦هـ/ حزيران ١٠٨٣م[٥] وتمكن تتش من دخول حلب في شهر ربيع الأول سنة ٤٧٩هـ/ حزيران ١٠٨٦م لكنه عاد عنها إلى

---

(١) البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق: ٧١-٧٢، الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية: ٧٢، ابن القلانسي: المصدر ذاته، ١٨٢؛ ابن عساكر: المصدر ذاته: ١٨٥.

شاكر مصطفى: دخول الترك الغز ا الشام: المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام، ١٩٧٤، ٣٧٥- ٣٨٢. "أتسز بن أبق" (أوق): أمير تركي من الأمراء الخاضعين لملكشاه،

انتزع هذا الأمير عام ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م الرملة وبيت المقدس وفلسطين ما عدا عسقلان من أيدي الفاطميين، دائرة المعارف الإسلامية: م١: ٤٢٦، (ط١٩٣٢م).

(٢) ابن القلانسي: المذيل: ١٨٢-١٨٣، ابن الأثير: الكامل جـ ١٠: ١١١، ابن عساكر: التاريخ الكبير: م٢: ٣٣١، ابن ميسر: المنتقى: جـ٢: ١٥٤، ابن العديم: زبدة الحلب: جـ٢: ٦٥، ابن كثير: البداية والنهاية: جـ١٢، ١٤٩-١٥٠.

(مترجم) Al Azimi; Journal of Asiatique; ٣٠٢

(٣) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ١٨٧، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠: ١٢٠، ابن العديم: المصدر ذاته: جـ٢: ٦٥، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة: جـ٥، ١١٣.

(٤) أبو المحاسن: المصدر ذاته: جـ٥: ١١٤، شاكر مصطفى: دخول الترك الغز إلى الشام: المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام، ٣٨٣.

(٥) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة: جـ٥: ١١٦، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تاريخ لبنان والأردن وفلسطين: ٤٤ (أخذها تتش من عود بن الصقيل الذي ولاه مسلم بن قرين العقيلي عليها، بعد أن أسره). تحقيق سامي الدهان، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٦٢م، وسيرد: تاريخ لبنان والأردن وفلسطين.

دمشق إثر قدوم السلطان ملكشاه إليها[١]. وما أن توفي السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م حتى بادر تتش بالسيطرة على شمال الشام حيث أطاعه أمراء حلب وأنطاكية والرها وحرّان، كما مد سيادته على ديار بكر[٢] والموصل والميا فارقين ونصيبين[٣] وخطب لنفسه بالسلطنة[٤]، وجاءت نهاية تاج الدولة تتش عندما قرر مهاجمة جيوش بركيا روق، حيث انهزم بجيشه، لكنه ثبت في المعركة[٥] فقتل في ١٧ صفر سنة ٤١٨هـ/ ٢٧ شباط ١٠٩٥م[٦] بالري[٧].

٢- إنقسام إمارة دمشق السلجوقية:

وبمقتل تاج الدولة تتش انقسمت أملاكه بين ولديه رضوان ودقاق. أما رضوان فإنه لما سمع بوفاة والده عاد من عانة[٨] إلى حلب، فدخلها بجيشه وجرى استقباله من قبل الوزير أبي القاسم النائب في القلعة، وقد وصل إليه أخوه شمس الملوك دقاق من ناحية ديار بكر، وما أن لبث مدة يسيرة حتى وردته مراسلة الأمير ساوتكين الخادم نائب دمشق

(١) ابن القلانسي: المذيل: ١٩٤-١٩٥، ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ١٤٩، التاريخ الباهر: ٧.

(٢) بلاد كبيرة واسعة تنسب إلى بكر بن وائل... وحدها ما غرّب من دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين، ياقوت: معجم البلدان: جـ٢: ٤٩٤.

(٣) وهي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة بينها وبين سنجار تسعة فراسخ، وبينها وبين الموصل ستة أيام، ياقوت: المصدر ذاته: جـ٥:٢٨٨.

(٤) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠: ٢١٩-٢٢٢، ابن القلانسي، المصدر ذاته: ٢٠٠ -٢٠٤، ابن الكثير البداية والنهاية في التاريخ: جـ١: ١٤٤، ط٤، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، مكتبة المعارف، بيروت، وسيرد: البداية والنهاية.

(٥) الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية: ٧٥- ٧٦، ابن عساكر، ولاة دمشق في العصر السلجوقي: ١٩، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠: ٢٤٥، ابن العديم زبدة الحلب: جـ٢: ١١٩.

(٦) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢١٢، ابن عساكر: المصدر ذاته: ١٨، الحسيني: المصدر ذاته: ٧٦، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠، ٢٤٥، ابن العديم: المصدر ذاته: جـ٢، ١١٩.

(٧) والري مدينة كبيرة من بلاد الدليم بين قومين وبين الجبال، أبو الفداء: تقويم البلدان: ٤٢٠.

(٨) بلد مشهور بين الرقة وهيت، يعد في أعمال الجزيرة، ياقوت: معجم البلدان: جـ٤: ٧٢.

وقلعتها، يدعوه للقدوم إلى دمشق سراُ حتى يتملكها، الخادم نائب دمشق وقلعتها، يدعوه للقدوم إلى دمشق سراً حتى يتملكها، فخرج دقاق من حلب سراً ودخل دمشق فمكّنه ساوتكين من منصب أبيه السلطان تاج الدولة. وصادف ذلك رجوع معتمد الدولة طغتكين من الرّي إلى دمشق فاستقبله دقاق وحكّمه في بلاده[1] وبدخول الحملة الصليبية الأولى إلى شمال الشام وحصارهم لأنطاكية فقد لبّى دقاق بن تتش وأتابكة طغتكين دعوة ياغي سيان لنصرته ضد الصليبيين، وفي طريقهما إليه اصطدما بفرقة من الصليبيين على البارة فهزماها وقتلا بجيشهما جماعة منهم[2] ثم تابعا سيرهما حتى التقيا بجيوش أمراء الموصل والجزيرة مشاركاً في حصار الصليبيين في أنطاكية[3].

وتوفي شمس الملوك دقاق ونصب الأمير ظهير الدين أتابك في الولاية بدمشق من بعده والحضانة لولده الصغير تتش بن دقاق حتى يكبر، وكانت وفاته في ١٢ رمضان من سنة ٤٩٧هـ/ ١٠٤م)[4].

٢- أتابكية دمشق:

قوى نفوذ الأتابكة في الشام بضعف دولة السلاجقة وكانت أتابكية دمشق أبرز هذه الأتابكيات.

---

(١) ابن القلانسي: المذيل: ٢١٢-٢١٤، ابن الأثير، الكامل، جـ١٠: ٢٤٧-٢٤٨، ابن العديم: زبدة الحلب: جـ٢: ١٢٠- ١٢١.

(٢) ابن القلانسي: المصدر ذاته، ٢١٩، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠: ٢٧٦.

(٣) سهيل كار: الحروب الصليبية: جـ٢ (الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية) من تاريخ العظيمي: ٦٦٣، ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٢٧٦.

(٤) ابن القلانسي: المذيل: ٢٣٣.

"Dimashk"; The Encyclopaedia of Islam; ٢٨٢

١ - ظروف تأسيسها وتطورها:

بوفاة شمس الملوك دقاق صاحب دمشق(١). قام الأتابك ظهير الدين بتربية تتش بن دقاق وعمره سنة وخطب في المملكة باسمه(٢) ومات دقاق فاستقام الأمر لظهير الدين(٣). وكان هذا بداية تأسيس الإمارة الأتابكية في دمشق التي لعبت دوراً هاماً في الحياة السياسية في بلاد الشام، وانحصر الحكم في آل طغتكين، حتى قدم نور الدين زنكي ودخل دمشق سنة ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م. وجعلها قاعدة لملكه(٤).

عمل الأتابك ظهير الدين منذ استئثاره بالحكم بالحفاظ على ممتلكات دمشق والبلاد التابعة لها فسعى لتقوية دمشق حتى تكون قادرة على ردع الأخطار المحدقة بها من القوى الصليبية في بلاد الشام ومن أطماع بعض الأمراء المسلمين، فقد ملك حصناً بالقرب من طبريا(٥) رداً على غارات الفرنج في أعمال السواد وحوران، وجبل عوف(٦)، وكان ذلك في سنة، ٥٠٠ هـ/ ١١٠٦م(٧).

---

(١) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠: ٣٧٥، ابن العديم: زبدة الحلب: جـ٢:١٥٠، ابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ٢٦ك تحقيق: أحمد رفعت البدراوي، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٠م.
"Dimashk"; Ibid; ٢٨٢.

(٢) ابن العديم المصدر ذاته: جـ ٢: ١٥٠، ابن كثير: البداية والنهاية: جـ١٢، ١٦٤، ابن خلدون: تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر: جـ٥: ١٥٠، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، بيروت، لبنان؛
"Dimashk"; Ibid; ٢٨٢.

(٣) ابن عساكر: التاريخ الكبير: م٧: ٦٣، تحقيق عبد القادر بدران، ابن القلانسي، المذيل، ٢٣٥، ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٣٧٦، حسن ابراهيم: تاريخ الإسلام: جـ ٤: ٦٣؛
Al Azimi' Journal Asiatique' ٣٧٤.

(٤) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠: ١٩٧-١٩٨.

(٥) هو حصن علعال الذي شيده الملك بلدوين الأول في سنة ٤٩٩هـ، / ١١٠٥م بين السواد والبثنية، انظر: ابن القلانسي، المصدر ذاته: ٢٤١؛
Coner' The lat Kinngdom; ٨٩, Prawer' The lat. Kingdom; ٤٣.

(٦) وهي جبال عجلون التي تشمل على الأراضي بين نهر اليرموك والسواد شمالاً، ونهر الزرقاء جنوباً وتربتها خصبة، ابن شداد، تاريخ لبنان والأردن وفلسطين: ٨٦-٨٨.

(٧) ابن القلانسي: المصدر ذاته، ٢٤٣-٢٤٤.

وتوقفت سيادة إمارة دمشق الأتابكية على مدنها وسائر أعمالها على قوة الحاكم فيها، فعند وفاة تاج الملوك بورى وقيام شمس الملوك إسماعيل بالأمر في دمشق، بلغه أن أخاه شمس الدولة محمد صاحب بعلبك قد راسل مستحفظاً[1] حصن راس[2] وحصن اللبوه[3]، واستمالهما إليه فسلماه الحصنين، مما جعل شمس الملوك إسماعيل يتوجه إلى الحصنين ويتسلمهما بالأمان في ذي القعدة من سنة ٥٢٦هـ/ ١١٣٢م ثم توجه إلى بعلبك فقاتلها حتى تسلم البلد وبقي أخوه في الحصن، لكنه بعد أن رأى شدة القتال أرسل لأخيه يبذل الطاعة والولاء، فأقره على بعلبك وأعمالها وتحالفا، فعاد شمس الملوك إلى دمشق في أوائل المحرم[4]. وهكذا نلمس أن سياسة إمارة دمشق الأتابكية كانت تقوم على ضبط أعمالها وتبعية مستحفظي هذه الأعمال من قبلها، إضافة لاسترجاع ما فقدته لقوة خارجة عنها، وتمثل ذل باسترجاع مدينة بانياس[5] وحصنها من أيدي الفرنج في صفر من سنة ٥٢٧هـ/ ١١٣١م، على يد صاحب دمشق شمس الملوك إسماعيل[6]، كما توجه شمس الملوك في رمضان من نفس السنة لاستعادة حماة من سيطرة عماد الدين زنكي حيث حاصرها وقاتلها في يوم العيد، فدخل البلد بالأمان، وتسلم القلعة من والي زنكي عليها[7].

---

(١) يقال استحفظت فلاناً مالاً إذا سألته أن يحفظه لك. ابن منظور: لسان العرب: جـ٧: ٤٤١ (ط. بيروت، ١٩٥٦م) فهما إذا من ولاهما أمير دمشق على حصني راس واللبوة).

(٢) لم أجده في المرجع التي رجعت إليها.

(٣) حصن قرب منابع نهر العاصي، ابن القلانسي: المذيل: ٣٧٢ الحاشية.

(٤) ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٦٨٠، ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٣٧٢-٣٧٤.

(٥) هو حصن بانياس (الصبية) على مرحلة ونصف غرب دمشق، أبو الفداء: تقويم البلدان: ٢٤٩.

(٦) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠: ٦٨٤- ٦٨٥، ابن القلانسي: المصدر ذاته، ٣٧٥-٣٣٦، ابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ٦٠..

(٧) ابن القلانسي: المذيل: ٣٧٨-٣٧٩، ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٦-٧، ابن الوردي، تاريخ: جـ٢: ٦١.

ولم يكتف شمس الملوك بتقوية قبضته على بلاده واسترجاع ما ضاع منها بل عمد إلى توسيع نفوذه خارج حدود إمارته، فبعد استعادته لحماه من قبضه زنكي توجه إلى قلعة شيزر وصاحبها سديد الملك من بني منقذ فحاصرها ونهب بلدها فراسله صاحبها وأعطاه مالا، فعاد إلى دمشق فوصلها في ذي القعدة سنة ٥٢٧هـ/ ١٢٣٣م(١).

تابع شهاب الدين محمود سياسة والده في تشديد قبضته على أعمال دمشق حيث راسله أهل حمص لتسليمها إليه، لاستمرار عماد الدين زنكي في مضايقتها، وأخذه لحماه فسار شهاب الدين محمود بعسكره إليها وتسلّمها من أولاد خيرخان بن قراجة، وخمارتاش(٢) الوالي بها، وذلك في يوم الأحد الثاني والعشرين من شهر بيع الأول سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م، فقرر ولايتها للحاجب يوسف بن فيروز(٣). واقطاعها إلى مملوك جده معين الدين أنر(٤)، وقد تمكن جيش دمشق من هزيمة الفرنج الذين وصلوا إلى ناحية بعلبك وعاثوا فيها فسادا وذلك في شهر ربيع الآخر من سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م(٥)، ونستدل مما سبق أن إمارة دمشق الأتابكية قد واجهت خصمين قويين هما مملكة بيت المقدس اللاتينية في الجنوب والغرب وعماد الدين زنكي في الشمال.

٢- علاقاتها السياسية بالسلطنة السلجوقية:

بالرغم من انتقال السلطة في إمارة دمشق إلى الأتابك ظهير الدين طغتكين، لم تغير السلطنة السلجوقية والخلافة العباسية موقفهما تجاه إمارة دمشق فاستمرت العلاقات بين الطرفين على أحسن حال، ونستدل على ذلك من موقف السلطان محمد السلجوقي الذي بادر لتلبية نداء ظهير الدين بالدعوة إلى الجهاد لمساندته ضد الصليبيين. فأرسل إليه سكمان

---

(١) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٧، ابن القلانسي: المصدر ذاته، ٣٧٩.

(٢) لم أجد عنهم غير ما ررد.

(٣) هو الحاجب سيف الدولة يوسف بن فيروز كان مقيماً بتدمر. انظر: ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٣٩٨-٣٨٦.

(٤) ابن القلانسي: المصدر ذاته، ٣٩٧- ٣٩٨، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٣٨ (معين الدين أنز).

(٥) ابن القلانسي: المذيل: ٤٣٥.

القطبي[1] صاحب أرمينية وميا فارقين، وشرف الدين مودود[2] صاحب الموصل فحاصرا بصحبة جزء كبيرة من جيش ظهير الدين مدينة الرها[3].

واصل السلطان محمد بن ملكشاه سياسته في جهاد الفرنج، فأرسل الأمير شرف الدين مودود صاحب الموصل وأحمد يل الكردي[4] صاحب مراغة[5] بجيش كثيف في سنة ٥٠٤هـ/ ١١١٠م فجمع ظهير الدين جيشه والتفاهم خارج حلب، لكنه لم ير منهم نيّة صادقة في الجهاد أو حماية البلاد، فحرضهم على قصد طرابلس ووعدهم بتزويدهم بالميرة[6] من دمشق فلم يفعلوا[7]، ونظرا لما قام به ظهير الدين من محاربته للصليبيين وانتصاره عليهم، فقد أصدر السلطان محمد بن ملكشاه باسمه منشوراً، ورد فيه "..... رسمنا أن نجدد له هذا المنشور بإمارة الشام ونقرر عليه جميع ما دلت عليه المناشير المنشأة المتضمنة لأسامي البلاد الموجبة له صارت مصونة من الارتجاع... "[8] وهذا يبين لنا اهتمام السلطان محمد بشؤون الشام وضرورة محاربة الصليبيين فيها تحت راية الجهاد الإسلامي.

وبوفاة السلطان محمد انقطع سلاطين السلاجقة عن الاهتمام بشؤون الشام، وانشغلوا ببعضهم إضافة لمنازعتهم مع الخلافة العباسية. وتولى شؤون السلطنة بعد السلطان محمد

---

(١) هو صاحب ميافارقين وكان قبل ذلك يمتلك أخلاطاً، ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٨٠، حاشية(٢).

(٢) والي الموصل من قبل السلطان غياث الدنيا والدين محمد، قتل في دمشق سنة ٥٠٧ هـ/ ١١١٣م، ابن القلانسي: المذيل: ٢٩٣- ٢٩٨.

(٣) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٧٠- ٢٧٢.

(٤) أحمديل بن إبراهيم صاحب مراغة، وقيل كان اقطاعه في كل سنة أربعمائة ألف دينار، وجنده خمسة آلاف فارس، انظر: سهيل زكاز: الحروب الصليبية: جـ٢ "الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية" تراجم من المجلد الثاني من مجلدات بغية الطلب الموجود في مكتبة أحمد الثالث: ٧١٢.

(٥) بلدة مشهورة عظيمة، أعظم وأشهر بلاد أذربيجان، ياقوت: معجم البلدان: جـ٥: ٩٣.

(٦) الطعام يمتاره الإنسان، ابن منظور: لسان العرب: جـ٥: ١٨٨.

(٧) ابن القلانسي: المذيل: ٢٧٨- ٢٨٠، ٢٨٢، ابن العديم: زبدة الحلب جـ٢: ١٦. ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٤٨٥- ٤٨٧ (حوادث سنة ٥٠٥هـ).

(٨) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٣٠٨- ٣١٣.

ابنه محمود وذلك في سنة ٥١١هـ/ ١١١٧م[١]. ولم يعبأ السلطان محمود بالشام وما كان يجري فيها من أحداث بين المسلمين والصليبيين، حيث وجه جهوده نحو الشرق والأجزاء الشرقية من الإمبراطورية السلجوقية[٢].

٣- علاقاتها السياسية مع حلب والموصل:

كانت الموصل وحلب من أبرز مناطق النفوذ السلجوقية في الشام في مطلع القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. حيث كان لهما دور مؤثر على مجريات الأحداث التي شهدتها هذه المنطقة في تلك الفترة.

وقد اتحدت هاتان الإمارتان معاً بعد ضعف السيادة السلجوقية عليهما واستبداد الأمراء الأتابكة بهما في عهود سيف الدين آق سنقر البرسقي[٣]، وعماد الدين زنكي، وقد بقي هذا الوضع حتى وفاة عماد الدين زنكي في سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م، حيث انقسمت أملاكه بين ولديه، فانفرد سيف الدين غازي بحكم الموصل، واستقل نور الدين بحكم حلب.

وبالرغم من تقريب ظهير الدين إلى رضوان صاحب حلب، إلا أن رضوان لم يكن يف بتعهداته لظهير الدين مما أوجب قطعه للسّكة، والدعوة باسمه في دمشق في ربيع الأول سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م[٤]. بينما توطدت علاقات ظهير الدين بنجم الدين إيلغازي الأرتقي صاحب حلب واتفقا على الجهاد ضد الفرنج[٥] وعندما قدم آق سنقر البرسقي

---

(١) صدر الدين الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية: ٨٨، ابن الأثير: التاريخ الباهر: ٢٠.

(٢) صدر الدين الحسيني: المصدر ذاته: ٩٦-٩٩، سعيد عاشور: الحركة الصليبية – صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى: جـ١: ٥٤٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ/ ٩٩٨١م.

(٣) أبو سعيد قسيم الدولة سيف الدين آق سنقر البرسقي الغازي، صاحب الموصل والرحبة وتلك النواحي، ابن خلكان: وفيات الأعيان: جـ١ ٢٤٢.

(٤) ابن القلانسي: المذيل: ١٨٦، ابن العديم: زبدة الحلب: جـ١: ١٦٣، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة: جـ٥: ٢٠٥-٢٠٦.

(٥) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: جـ٨: ق١: ٧٢- ٧٣، ط١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ١٩٥١م-١٩٥٢م، ابن العديم: المصدر ذاته جـ٢: ١٨٧، حتى: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين: جـ٢: ٣٠٨، ترجمة في كمنال اليازجي، مراجعة: جبرائيل جبور، دار الثقافة بيروت، ١٩٥٩م.

حاكم الموصل لتلبية دعوة أعيان حلب لتسلم المدينة وجهاد الصليبيين، كان بصحبته ظهير الدين طغتكين في سنة ٥٢٠هـ، أواخر كانون أول ١١٢٥م[١]. بينما كانت علاقة إمارة دمشق الأتابكية مع إمارة حلب في عهد عماد الدين زنكي مضطربة وذلك لرغبة عماد الدين في السيطرة عليها[٢]، لتوحيد بلاد الشام في جبهة واحدة مناوئة للصليبيين[٣]. أما عن علاقة إمارة دمشق بحلب في عهد نور الدين محمود بن زنكي فبالرغم من سيره على نفس النهج الذي سار عليه والده عماد الدين زنكي بالسعي لتكوين جبهة إسلامية قوية في بلاد الشام لمواجهة خطر الصليبيين[٤] واسترجاع ما سيطروا عليه من بلاد المسلمين فقد عمل جاهدا على اكتساب إمارة دمشق إلى جانبه ضد الصليبيين خوفاً من لجوئها إلى محالفتهم كما جرى في عهد والده عماد الدين زنكي. فتعاهد مع حكام دمشق على محاربة الصليبيين في سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م[٥]. وتكللت سياسة نور الدين بالاستيلاء على دمشق والأراضي التابعة لها بعد دخوله لها في عاشر صفر سنة ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م[٦] أما إمارة الموصل السلجوقية فكانت العلاقات السياسية بينها وبين إمارة

(١) ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٦٢٣-٦٢٤، ابن القلانسي: المذيل: ٣٣٨، ابن العديم: زبدة الحلب: جـ٢: ٢٢٨، ٢٣٠، ابن العبري تاريخ مختصر الدول: ٣٥١- ٣٥٢، تصحيح وفهرسه الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، الحازمية- لبنان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(٢) ابن الأثير: الباهر: ٥٨-٥٩، ابن العديم: المصدر ذاته: جـ٢: ٢٧٣، أبو الفداء: المختصر: م٢: ٢٣، ابن كثير: البداية والنهاية: جـ١٢: ٢١٦، حسن إبراهيم تاريخ
الإسلام: جـ٤: ٧٥.

(٣) شاكر أحمد أبو بدر: الحروب الصليبية والأسرة الزنكية: ٩٥، بيروت، ١٩٧٢م وسيرد: الحروب الصليبية.

(٤) حافظ حمدي: الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي: ١٠١- ١٠٢، دار الفكر العربي، ١٩٥٠م.

(٥) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٤٥٠.

(٦) ابن الاثير: التاريخ الباهر: ١٠٦-١٠٧، ابن شاكر الكتبي: عيون التواريخ: جـ١٢: ٤٧٩، تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم، بغداد، وزارة الأعلام، ١٩٧٧م، حتى: خمسة آلاف سنة في تاريخ المشرق الأدنى: م١: ٣٦٤، الدار المتحدة للنشر، ط١، ١٩٧٥م شاكر أبو بدر: الحروب الصليبية: ٢٧٩، حتى: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين: جـ٢: ٢٣٤.

"Dimashk; The Encylopaedia of Islam; ٢٨٢.

دمشق الأتابكية متينة وتمثلت بوقوف صاحبها شرف الدين مودود إلى جانب ظهير الدين كما سبق ومر، واستمرت هذه العلاقات بينهما في عهد سيف الدين البرسقي الذي قدم إلى دمشق في سنة ٥١٠هـ/ ١١١٦م وتعاهد مع ظهير الدين على جهاد الصليبيين[١]. أما في عهد سيف الدين غازي صاحب الموصل فقد استمرت العلاقات السياسية قائمة مع إمارة دمشق إلا أنها لم تبلغ المدى الذي وصلت إليه في عهدي مودود وآق سنقر البرسقي. وعندما قدمت الحملة الصليبية الثانية إلى دمشق في سنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م[٢] استجاب لدعوة معين الدين أنر وسار بجيشه إلى حمص لتهديد الفرنج، الذين رفعوا الحصار عن دمشق[٣].

٤- علاقاتها السياسية مع الفاطميين في الشام:

بالرغم من العداء القائم بين الفاطميين والسلاجقة، فقد لبّى ظهير الدين أتابك الملك دقاق طلب الوزير الفاطمي الأفضل بن بدر الجمالي بالمساعدة ضد الصليبيين في سنة ٤٩٢هـ/ صيف ١٠٩٩م، وأرسل إليه عدداً غير قليل من الفرسان، فكانت تلك أول مرة يشترك فيها السلاجقة مع الفاطميين في حرب الصليبيين[٤]. كما أرسل ظهير الدين أتابك فرقة من جيشه لمساعدة الفاطميين في معركة الرملة سنة ٤٩٩هـ/ ١١٠٥م[٥].

(١) ابن القلانسي: المذيل: ١٩٧-١٩٨، سبط ابن الجوزي: مرأة الزمان: جـ٨: ق١: ٧٢-٧٣.

(٢) البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق: ٢٠٧.

(٣) ابن الأثير: المصدر ذاته: ٨٨-٨٩، الكامل: جـ١: ١٢٩-١٣١، ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٤٦٧، أبو شامة، الروضتين: جـ١، ق١: ١٣٨، ابن الجوزي: المنتظم: جـ١٠: ١٣٠-١٣١، أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر: ٣٠، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٤م.

(٤) علي عبد الحليم محمود: الغزو الصليبي والعالم الإسلامي: ٩١، جدة، دار عكاظ ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م.

(٥) ابن القلانسي: المذيل: ٢٤٠، حوادث سنة ٤٩٨هـ) وكوتب ظهير الدين أتابك بالاستدعاء للمعونة والاعتضاد إلى جهاد الكفرة الأضداد، فلم يتمكن من الإجابة إلى المراد. الحاشية: ١٨٣ ;Fucher; Expedition سميل: الحروب الصليبية: ٨٢.

ووقف إلى جانب صيدا في سنة ٥٠١هـ/ ١١٠٧م[١] وسائد صور عندما حاصرها الصليبيون في سنة ٥٠٥هـ/ ١١١١م[٢] وفي سنة ٥٠٦هـ/ ١١١٢م[٣]. كما وقف إلى جانب صور عند حصار الصليبيين لها في سنة ٥١٨هـ/ ١١٢٤م. فأمدّ ظهير الدين المدينة "بعسكر وسيّر إليهم ميرة ومالاً فرقه بينهم وطابت نفوس أهل البلد"[٤] لكن تلك المساعدات التي قدمها ظهير الدين لم تكن كافية إضافة لقلة المساعدات الفاطمية لهذه المدن مما عجل في استلام بقية مدن الساحل الفاطمية للصليبيين باستثناء عسقلان[٥] كما لم توفق الجهود المشتركة التي بذلها فيما بعد كل من مجير الدين أبق صاحب دمشق ونور الدين زنكي من أجل نجدة مدينة عسقلان الفاطمية ضد الصليبيين إثر وقوع الخلاف بينهما[٦].

٣- مواقف حكام الإمارات الصغيرة، والقبائل العربية في الشام من الصليبيين:

رافق دخول التركمان "الغز[٧] إلى الشام أعمال نهب وتخريب شملت كافة أرجائها مما كان له أكبر الأثر في نجاح الصليبيين عندما وصلوا إلى مشارف الشام سنة ١٠٩٨م[٨] وضعفت بذلك السيادة السلجوقية على الشام مما أدى إلى انفصال الأمراء كل في منطقته،

---

(١) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٦٠، ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٤٧٩- ٤٨٠، ابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ٣٤.

(٢) سهيل ابن الجوزي: مرآة الزمان: جـ٨: ق١: ٤١-٤٢، ابن كثير: البداية والنهاية: جـ١٢: ١٧٣، فيليب حتي: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين: جـ٢، ٢٠٨.

(٣) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٩٠-٢٩١.

(٤) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠: ٦٢٠ (حوادث سنة ١٨ هـ).

(٥) ابن القلانسي: المذيل: ٢٠٧.

(٦) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٤٩٦.

(٧) لفظ يقع على ما يتوالد بين العجم في المدن من نسائهم، وقيل الغز: لفظ يقع على جنس العجم كله، وقيل الغز في جنس العجم كما لمولده في العرب، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك: جـ١، ق١: ٣١ هامش (٧)، صححه محمد مصطفى زيادة، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٢٤م – ١٩٧٢م، وسيرد: السلوك.

(٨) سهيل زكار: الحروف الصليبية: جـ١ (مدخل عام): ٥٢.

وسنحاول أن: نبين مواقف هؤلاء الأمراء من الحملة الصليبية الأولى وما تلاها من تطورات، وسنتناول في المقام الأول مواقف حكام الإمارات الصغيرة في شمال ووسط الشام من الصليبيين.

١- موقف ياغي سيان (صاحب أنطاكية):

في الوقت الذي دخلت فيه الحملة الصليبية الأولى إلى شمال الشام وتقدمت لحصار أنطاكية باشر ياغي سيان بتحضين المدينة فأخرج من فيها من النصارى[١] وأرسل إلى سائر أمراء الشام يستنجدهم للدفاع عن أنطاكية ضد الصليبيين فهبو جميعاً لنجدته لكن الصليبيين تمكنوا من دخول البلد وعادت جيوش المسلمين إلى الشام والجزيرة والموصل[٢].

٢- موقف أمراء الأراتقة من الصليبيين:

سار سقمان بن ارتق مؤسس الإمارة الأرتقية في ديار بكر على سياسة حليفة رضوان أمير حلب، فانتهز فرصة انشغال الملك دقاق أمير دمشق بحرب الصليبيين المحاصرين لأنطاكية وقام بغزو ديار بكر التابعة لإمارة دمشق السلجوقية، وأسس فيها أول إمارة أرتقية في هذه المنطقة[٣] لكن ذلك لا يعني بالضرورة انحيازه إلى جانب الصليبيين فقد قاد جيشاً من التركمان قوامه سبعة آلاف فارس بصحبة (جكرمش) أمير الموصل، لقتال الفرنج على حرّان، وكان ذلك في سنة ٤٩٧هـ/ ١١٠٣م[٤] وتابع ايلغازي جهاده للصليبيين حتى بلغ الذروة في انتصاره عليهم في معركة ساحة الدم سنة ٥١٣هـ/ ١١١٩م، وسروج في سنة ٥١٨هـ/ ١١٢٤م[٥].

---

(١) ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٢٧٤.

Gibb; The Damascus Chronicle; ٣٢.

(٢) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ ١٠: ٢٧٦.

ابن القلانسي: المذيل: ٢١٨-٢٠

(٣) Gibb; Ibid; ٣٢.

(٤) ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٤٠٨- ٤٠٩.

(٥) ابن القلانسي: المذيل: ٣١٩- ٣٢٠، عماد الدين خليل: الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام، ١٩، الدار العلمية، ط١، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، بيروت.

٣- موقف فخر الملوك رضوان بن تتش أمير حلب من الصليبيين:

في الوقت الذي توجه فيه ياغي سيان إلى أنطاكيا للدفاع عنها، رجع فخر الملوك رضوان إلى بلده حلب، وتحصن بها لكنه لم يخرج مع سائر الأمراء المسلمين للدفاع عن أنطاكية[١]، غير أن علاقة رضوان بالصليبيين لم تكن حسنة إذ كثيراً ما نجده يحاربهم أو يصد عدواناً صليبياً، فعندما تقدم الصليبيون إلى طرابلس لحصارها في سنة ٤٩٨هـ/ ١١٠٤م توجه لنصرة صاحب طرابلس فخر الملك بن عمّار لكن تانكرد (صاحب أنطاكية قد قصد أرتاح لاستعادتها من رضوان، فوقع القتال بين الطرفين وانهزم جيش رضوان، كما أنه اضطر فيما بعد إلى دفع مبلغ عشرين ألف دينار في كل سنة إلى تانكريد (Tandcted) لقاء الهدنة وإطلاق أسرى المسلمين، وكان ذلك في سنة ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م[٢].

٤- موقف بني منقذ (أمراء شيزر) من الصليبيين:

ينتمي بنو منقذ إلى قبيلة كنانة من كلب التي أقامت في وسط الشام، ويعتبر مقلد بن نصر والد سديد الملك أبو الحسن علي مؤسس الإمارة في شيزر، وأضاف إليها كفر طاب[٣] وعندما دخلت الحملة الصليبية الأولى إلى الشام أرسل سديد الملك رسالة إلى الصليبيين الذين دخلوا كفر طاب طلب فيها الأمان مقابل مساعدته لهم ببعض الخيول والعتاد والأدلاء يرشدونهم إلى الطريق المؤدي إلى القدس، وقد حذا حذوه أصحاب القلاع الواقعة بين شيزر ورفنية وكذلك فعل صاحب حمص[٤].

(١) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠: ٢٧٦:

Gibb; The Damascus Chronicle; ٣٢.

(٢) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٣٩- ٢٤٠، ٢٧٢- ٢٧٣.

(٣) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة: جـ٥: ١١٣، محمد محمد مرسي الشيخ: الإمارة العربية في بلاد الشام في القرنين الحادي عشر والثاني الميلاديين ٢٨٢-٢٨٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م، الإسكندرية.

(٤) سهيل زكار: الحروب الصليبية: جـ١ (الحملة الصليبية الأولى – يوميات صاحب أعمال الفرنجة) الكتاب العاشر: ٢٧٢- ٢٧٤.

٥- موقف ابن عمار أمير طرابلس:

حذا فخر الملك بن عمار حذو سائر الأمراء في موادعة الصليبيين حيث أرسل إلى الأمير ريموند يسأله الموادعة. وأرسل إليه بعض الخيل والبغال والأموال، كما أطلق ثلاثمائة حاج (من الصليبيين) كانوا أسرى لديه حتى قبل موادعته[(١)]. لكن ابن عمار تمكن من الاستيلاء على الحصن الذي بناه ريموند الصنجيلي على طرابلس[(٢)] وأحرقه في سنة ٤٩٧هـ/ ١١٠٣م[(٣)] لكن الصليبيين استطاعوا محاصرة طرابلس والاستيلاء عليها في سنة ٥٠٢هـ/ ١١٠٩م[(٤)]. أما القبائل العربية في بلاد الشام، فكانت لها مواقف متباينة تجاه الصليبيين:

١- موقف قبيلة طي العربية تجاه الصليبيين:

كانت قبيلة طي من أهل القبائل العربية في فلسطين وشرق نهر الأردن، وكان لها مجموعات من الفرسان، وتمكن أمراؤها من بني الجراح من الاستقلال في فلسطين[(٥)]. وأقامت قبيلة ربيعة من طيء في مناطق البلقاء وحوران ودمشق وكانت قبيلة كلب في وسط الشام أما قبيلة كلاب فكانت في شماله. وكانت ربيعة من أقوى هذه القبائل[(٦)]. وقد أدى الصراع بين البيتين الرئيسيين من ربيعة، آل مرا[(٧)]. وآل فضل على الزعامة، إلى انتقال

---

(١) سهيل زكار: المصدر ذاته: الكتاب العاشر: ٢٧٤-٢٧٧.

(٢) أقيم هذا الحصن على تلة أبي سمرة الحالية الواقعة على الضفة اليسرى من نهر قاديشا وهي التي كانت تعرف بتلة الحجاج، أنظر: عبد العزيز سالم: طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي: ٩٥- ٩٦. مطابع رمسيس، ١٩٦٧.

(٣) ابن القلانسي: المذيل: ٣٦، ابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ١٧.

(٤) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٦٢.

(٥) Cibb; "The Caliphate and the arab states, The Crusades; val. I. ٩٠.٩١;
Gibb; The Damascus Chronicle; ١٧.

(٦) مصطفى الحياري: الإمارة الطائية في بلاد الشام: ٦١-٦٢، وزارة الثقافة والشباب، عمان، ط١، ١٩٧٧م المملكة الأردنية الهاشمية.

(٧) القلقشندي: صبح الأعشى: جـ١٢: ١٢٤ (الأمراء) وورد عند ابن القلانسي في المذيل: ٣٧٥ (مرة).

آل فضل إلى الشمال من دمشق بمحاذاة المناطق المأهولة، وقرب حمص وحماه، أما آل علي من آل فضل فقد بقوا في منطقة دمشق إلى الجنوب والشرق منها[١] وقد وقف مر ابن ربيعة مدة تزيد على ربع قرن إلى جانب آل طغتكين أصحاب دمشق في حروبهم مع الصليبيين[٢] كما تمكن مرا من هزيمة الصليبيين في سن ٥١٢هـ/ ١١٢٨م[٣]، وناصر تاج الملوك بوري ضد الفرنج في سنة ٥٢٣هـ/ ١١٢٨م[٤] واستمر أبناؤه وأحفاده، من بعده في تأييد ملوك دمشق من الأيوبيين فقتل من ربيعة أربعة من الأمراء في موقعه مرجعيون سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م[٥] أما موقف فضل بن ربيعة، فقد كان حيناً مع الفرنج وحيناً آخر مع المسلمين، فطرده طغتكين من الشام فسار إلى الحلة بالعراق[٦] وكان الغالب على مساعدة القبائل العربية للمسلمين أو الصليبيين هو الحصول على الغنائم من ناحية، والمكافآت من ناحية أخرى، وبالرغم من مشاركتهم في قتال الصليبيين إلا أنهم كانوا يقفون إلى جانبهم أحياناً وتقتصر مساعدتهم لهم عن طريق التجسس إذ لم يقاتلوا في صفوفهم ضد المسلمين[٧]. أما في مجال قطع طرق القوافل ونهبها فكانوا لا يميّزون بين قوافل المسلمين أو الصليبيين[٨].

---

(١) فضل الله العمري: مساكل الأبصار: جـ٣: ٤٥ كما وردت عند د. مصطفى الحياري في كتاب الإمارة الطائية: ٦٢.

(٢) مصطفى الحياري: المرجع ذاته: ٥٦.

(٣) سهيل زكار: الحروب الصليبية: جـ٢: (الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية) من تاريخ العظيمي: ٦٧١، ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٥٠٦.

(٤) ابن القلانسي: المذيل: ٣٥٧، سهيل زكار: المصدر ذاته: جـ٢: (الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية) من تاريخ العظيمي، ٦٧٩.

(٥) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٢: ٣١، مصطفى الحياري: المرجع ذاته: ٥٦.

(٦) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠: ٤٤٣.

(٧) ابن شداد النوادر والسلطانية: ٣٤٨- ٣٥٠، أبو شامة: الروضتين: جـ٢: ١٩٨، ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٣٦، مصطفى الحياري: الإمارة الطائية، ٥٦- ٥٧.

(٨) مصطفى الحياري: المرجع ذاته: ٥٧.

٢- موقف الأمراء الشهابيين[١] من الصليبيين:

أصل هؤلاء الأمراء بن بلاد الحجاز هاجروا خلال حكم عمر بن الخطاب وأقاموا في حوران، وكانوا موالين لصلاح الدين في مصر في خلافه مع نور الدين سلطان الشام، وشاركوا صلاح الدين في حربه ضد الصليبيين، وانتقلوا من حوران إلى وادي التيم خشية من نور الدين غير أن نور الدين قد غضّ عنهم وخيّرهم في المقام حيثما شاؤا، وبلغه أن الأمير منقذ الشهابي قد أحرز انتصاراً على الصليبيين وأسر منهم خمسمائة أسير وتملك حاصبيا منهم، فقتل الأسرى وأرسل رؤوسهم إلى نور الدين الذي ولاه على تلك البلاد[٢].

٣- موقف الأمراء الأرسلانيين والتنوخيين:

كانت أول مواجهة بينهم وبين الصليبيين عندما أرسل الأمير عضد الدولة[٣] في سنة ٤٩٦هـ/ ١١٠٠م رجالاً إلى نهر الكلب يكمنون لبلدوين صاحب الرها وهو في طريقه إلى القدس لكنه تمكن من هزيمتهم ثم مهاجمة الصليبيين لمركزهم وهو مدينة صيدا وكان أميرها مجد الدولة الذي صالحهم على دخولها سلماً مقابل أن يدفع لهم عشرين ألف درهم. ثم خرج سالماً إلى الغرب[٤]. وكان خراباً فرمّمه وأعاد سكانه، وفي سنة ٥٢١هـ/ ١١٢٦م كتب إليه ظهير الدين طغتكين كتاباً يوليه فيه الإمارة ويقطعه قرى معلومة. وفي سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م كتب مجير الدين أبق امير دمشق إلى الأمير الجديد أبو العشائر بحتر بن عضد الدولة علي بن عمر كتاباً يأمره أن يبقى على رسومه المستمر في القرى المعلومة[٥]،

---

(١) أصلهم من آل قريش في الحجاز، انتقلوا من الحجاز إلى حوران ونسبوا إلى شهاب ابن الحارث.

(٢) الأب بطرس ضو: المرجع ذاته: ٥٠٠- ٥٠١.

(٣) ابن شجاع الدولة الأرسلاني أمير الغرب.

(٤) الأب بطرس ضو: تاريخ الموارنة: ٤٨٦- ٤٩١ (وهي منطقة جبل بيروت).

(٥) صالح بن يحيى: تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البحتريين من بني الغرب.

تحقيق فرنسيس هورد اليسوعي وآخرون، المطبعة الكاثوليكية، بيروت لبنان، ١٩٩٨م، وسيرد: تاريخ بيروت.

وفي سنة ٥٤٦هـ/ ١١٥١م تمكن أبو العشائر من هزيمة الصليبيين وقتل منهم خلقاً كثيراً، وتحصن من سلم منهم بمدينة بيروت[(١)]، وبقيت علاقاتهم حسنة مع نور الدين زنكي وابنه الملك الصالح إسماعيل، والسلطان صلاح الدين من بعدهم[(٢)]، وقد أقام التنوخيون في منطقة الغرب وتبعوا لحكام دمشق[(٣)].

٤- موقف الأمراء المعنيين[(٤)]:

قدموا إلى لبنان في سنة ٥١٤هـ/ ١١٢٠م، وحاربوا إلى جانب إيلغازي الأرتقي ضد الصليبيين قرب أنطاكيا في سنة ٥١٣هـ/ ١١١٩م لكنهم بعد أن هزموا: قدموا إلى لبنان، حيث أمرهم ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق أن يقيموا بالبقاع ثم ينتقلوا إلى جبال الشوف المشرفة على الساحل، ومنحهم العطايا الوافرة فأقاموا علاقات حسنة مع أمراء الغرب التنوخيين فمال أمير المعنيين (معن) إلى محالفة الأمير بحتر التنوخي ضد الصليبيين[(٥)].

وهناك بعض المواقف الفردية لبعض الأعراب منها ما كان ضد الصليبيين ومنها ما كان ضد المسلمين، ففي سنة ٤٩٦هـ/ ١١٠٣م اجتمع العربان في نواحي اللد وقطعوا الطرقات وقتلوا كل من استفردوا به، فهاجمهم الملك بلدوين الأول وهزمهم[(٦)] كما وقفت قبيلة كنانة التي هاجرت من عسقلان بعد سقوطها في يد الصليبيين إلى جانب السلطان صلاح الدين في غزوته لغزة وعسقلان سنة ٥٧٢هـ/ ١١٧٧م حيث ولته على المسالك والطرق. أما عرب جذام وثعلبة فأقاموا بمديرية الشرقية بمصر، وعملوا على تهريب

(١) الأب بطرس ضو: المرجع ذاته: ٤٨٨-٤٨٩.
(٢) صالح بن يحيى المصدر ذاته: ٤٥-٤٦.
(٣) الأب بطرس ضو: المرجع ذاته: ٥١٢-٥١٣.
(٤) ينتسب الأمراء المعنيون إلى الأمير معن ربيعة، قدموا إلى لبنان في سنة ٥١٤هـ/ ١١٢٠م، الأب بطرس ضو: تاريخ المرارنة: ٥٠٥.
(٥) الأب بطرس ضو: تاريخ الموازنة: ٥٠٥-٥٠٧.
(٦) أسطفان الدويهي: تاريخ الأزمنة: ٩٢، نشر الآباتي بطرس فهد القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٣م.

الغلال إلى الإمارات الصليبية والاتجار مع العدو عن طريق البحر. فصادر السلطان إقطاعاتهم، ورحّلهم إلى مديرية البيرة الحالية في سنة ٤٧٧هـ/ ١١٨١م[١] أما العرب الزريقيون من بلدة عسقلان فقد أعلموا الملك بلدوين بمسير القافلة الدمشقية من بصرى إلى بلاد مصر وساروا معه إلى تلك القافلة، ونهبوا ما استطاعوا منها[٢].

٤- الجيش في إمارة دمشق في عهودها (السلجوقية والأتابكية والزنكية والأيوبية):

١- الجيش في إمارة دمشق السلجوقية:

ساهمت الظروف العسكرية والاقتصادية والسكانية بدور كبير في تشكيل القوة العسكرية في إمارة دمشق السلجوقية وتحديد أعداد العاملين في إطار هذه (المؤسسة) وأجناسهم، فنجد أن الجيش فيها كان يتكون من:

أ- القوة النظامية:

وتسمى "العسكر"[٣] وكانت مؤلفة من المماليك وبعض المحرّرين منهم وكانت تقوم بالواجبات الروتينية والعمليات الضيقة النطاق وكانت نواة هذه القوة مكونة من "الحرس" وكذلك أفرادها أيضاً من المماليك ممن يباعون ويشترون، أو ممن اعتبروا كغنائم حرب، أو الموروثين من قبل الأمراء الحاكمين، وكانت غالبيتهم من الترك، من أواسط آسيا والمماليك المنقولين من شرق أوروبا، وكذلك بعض اليونانيين (البيزنطيين)، وبعض الأسرى من الأناضول وأرمينيا وجورجيا. وقد نظمت هذه القوة في أفواج إحداها شكلت "الحرس الخاص". للأتابك حيث كانت تقوم بتنفيذ المهمات الشخصية،

---

(١) سعداوي: جيش مصر في أيام صلاح الدين: ١٣-١٤ مكتبة النهضة المصرية، ط٢: ١٩٥٩: القاهرة.

(٢) ابن القلانسي: المذيل: ٢٩١.

(٣) معرب لشكر وهو مجمع الجيش ويسمى به الجيش نفسه: أحمد الخفاجي المصري: شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل: ٧٨٢، تصحيح ومراجعة: محمد عبد المنعم الخفاجي: ط١: ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م طبع ونشر مكتب الحرم الحسيني التجارية الكبرى، المطبعة المنيرية بالأزهر، وسيرد شفاء الغليل.

والطقوس الرسمية[١]. ودربوا على رمي السهام من على ظهور الخيل، وللقتال القريب استعملوا السيوف والحرابن ودعوا "بالعسكر" وكان لها نظام خاص للترقية تبعاً لطول الخدمة كما تميزت كل رتبة بنوع من اللباس الخاص بها. ودعي قائد الفوج بـ (الأمير)، والقائد العام بـ (الحاجب)، وهؤلاء يختارون من بين قواد الحرس الخاص[٢].

أما القسم الثاني من القوة النظامي لجيش إمارة دمشق السلجوقية، فتكون من العساكر التابعة للأمراء أصحاب الإقطاعات، الذين كلفوا بتجهيز عدد من الرجال بالسلاح وتدريبهم عليه لوقت الحاجة، خاصة عند القيام بحملة كبيرة، وكانت مواقع هذه العساكر في الصف الثاني عند القتال[٣].

أما القسم الثالث من جيش إمارة دمشق السلجوقية فتكون مما يطلق عليه اسم (الأجناد)[٤] وكانوا من قبائل التركمان، وهم فئة مدربة ومنظمة يقاتلون بالرمح والسيف (جنوده مشاه) وهذا ما يجعلهم في الصف الثالث من الجيش ويشك في اشتراك رجال القبائل العرب في الأجناد[٥].

ويمكن القول بأن جميع هذه الأقسام من العساكر تكونت من نوعين من المقاتلة[٦].

أولا: الفرسان: وكانوا يركبون الخيول فيقفون في الصف الأول عند القتال، وكان أغلب الفرسان من عناصر تركمانية وكردية[٧]، وكانت خيولهم سريعة وهم أكثر مرونة من

(١) سميل: الحروب الصليبية: ٧٠-٧١.

(٢) Gibb; The Damascus Chronicle of the Crusades; ٣٢-٣٣.

(٣) سميل: الحروب الصليبية: ٧١.

(٤) Gibb; Ibid; ٣٤.

(٥) لفظة أطلقت على الفرسان المحليين الذين يختلفون عن العساكر في أنهم لم يكونوا من الرماة الخيالة بل من حملة السيوف والرماح، جنب: دراسات في حضارة الإسلام: ١٠٩، تحرير ستانفورد شؤ ووليم بولك، ترجمة إحسان عباس، آخرون، ط٢، ١٩٧٤م، دار العلم للملايين: بيروت.

(٦) Gibb; Ibid; ٣٦-٣٨.

(٧) Gibb; The Damascus chronicle, ٣٥-٣٦.

الرفنج في الحركة، وأسلحتهم خفيفة، وكان سلاحهم الرئيسي القوس ولكنهم كانوا يحملوا أيضاً الترس والرمح والسف والهراوة[١].

ثانياً: الرّجالة (المشاة): وتكونت هذه القوة في إمارة دمشق السلجوقية من سكان المناطق التابعة لها، وممن أجبروا على الخدمة لأغراض عسكرية محدودة، أو ممن خدموا فيها كمتطوعة أو مرتزقة في فترات محددة[٢]، وتمثلت وظائفهم في فرض الحصارات والقيام بواجبات الخدمة في المعسكرات وتزويد العساكر بالمؤن[٣].

وقد ألحق بعساكر إمارة دمشق السلجوقية جماعات من المرتزقة سجلت في الديوان وأخذت ما تعاقدت عليه من العائد، وكانوا من الديالمة والعرب ومن أرمينيا، والقبائل التركمانية وبعض القبائل الكردية، إضافة لبعض القادمين من المغرب (الإسلامي) الذين نقلوا أخبار الحروب الصليبية الجارية في بلاد الأندلس، كما نقلوا أخبار المشرق الإسلامي عند عودتهم إلى بلاد المغرب والأندلس.

وأما الفئة الأخيرة فهم (أتباع المعسكرات) وكانوا من جميع الأجناس والديانات وكانت تدريباتهم وأسلحتهم قليلة، أما مشاركتهم في الحرب فمحصورة في فعاليات ثانوية مثل أعمال بناء عسكرية ودفاعية، وزرع الحسك[٤] خلال الحصارة وحماية المعسكرات خلال القتال وشحن الحصون والقلاع[٥].

---

(١) سميل: الحروب الصليبية: ٧٧.

(٢) Gibb; Ibid; ٣٨.

(٣) سميل: الحروب الصليبية: ٧٧.

(٤) الحسك: أداة الحرب تعمل على مثال شوكة من حديد، قال في البرهان القاطع "خسك محجن مثلث القرون على مثال شوكة من حديد بأي جهة ألقي تنتصب إحدى قرونه إلى ما فوق وحيث أن رؤوس القرون حادة نظير حربه يلقى حول الحصن المحاصر فينشب في رجل من يدوسه من الخيل والناس ويمنعهم من الدنو منه، أدى شير: معجم الألفاظ الفارسية المعربة: ٥١ مكتبة لبنان، ١٩٨٠م بيروت.

(٥) Gibb; The Damascus chronicle, ٣٨.

أما القوة العددية لعساكر إمارة دمشق السلجوقية بعناصرها وأقسامها المختلفة فليست هناك معلومات تحدد عدداً معينا لها. وقد ذكر (جب) أن عدد العرب الذين كانوا مع رضوان صاحب حلب ومع دقاق صاحب دمشق، لم يتجاوز عدة آلاف لكل منهما فضلا عمن هم من صغار الأمراء. وقد أورد ابن القلانسي أن عددها من (٤-٥) آلاف[1]. وقد ورد عند ابن الأثير أن رضوان صاحب حلب كان في عساكره "كثير من الخيّالة، وسبعة آلاف من الرجالة منهم ثلاثة آلاف. من المتطوعة"[2] وهذا يعني أن رجالته (المشاة) إمارة دمشق في عهد الملك دقاق كانت مثل هذا العدد.

٢- الجيش في أتابكية دمشق:

فجل البحث في القوة العسكرية لأتابكية دمشق يجعلنا أكثر إدراكاً للظروف والسياسات التي فرضت شكل العلاقات السياسية التي قامت بينأتابكية دمشق ومملكة بيت المقدس. وتكون الجهاز العسكري فيها من:

١- القوة النظامية:

وكان عمادها العنصر التركي حتى أن غالبية سكان دمشق كانوا من الأتراك، كما شكل الأتراك العنصر الأكبر من سكان مدينة حمص[3] وكان الأتابكة أنفسهم من الأتراك[4]، ونستدل على ذلك من الروايات التي أوردها ابن القلانسي، ففي سنة ٥٠٥هـ/ ١١١١م "أرسل ظهير الدين أتابك دمشق مائتين من فرسانه الأتراك"[5] وذكر أن خيل الأتراك المقاتلين في جيش ظهير الدين في سنة (٥٠١هـ/ ١١٠٧م) قد هزمت جيش جرفاس بوسوك صاحب طبرية وتمكنت من أسره. كما ذكر أن حامية جبيل في عهد ظهير الدين

(١) Gibb; Ibid; ٣٤-٣٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٣٩٣.

(٣) ابن القلانسي: المذيل: ٢٣٠.

(٤) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٦٥.

(٥) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٨٤.

كانت من الأتراك الدمشقيين. واستمر كون الأتراك العنصر الوحيد للقوة النظامية في جيش دمشق الأتابكية بداية عهد شهاب الدين محمود، فقد ورد أنه نهض في سنة ٥٣١/ ١٣٦١م في فريق آخر من العسكر الدمشقي من التركمان إلى ناحية طرابلس[١].

وهذه الإشارة المستقاة من مؤرخ دمشق الذي عاصر أحداث هذه الفترة وشغل منصب رئاسة ديوانها مرتين. لا بد وأن تعني بكل وضوح دخول أفراد بعض القبائل التركمانية المقيمة بجوار دمشق[٢] في جيشها النظامي. وهذا يعني دخول عنصر جديد من غير الأتراك للقوة النظامية. وعلى هذا الجيش يعوّل في الدفاع عن أراضي الأتابكية بشكل رئيسي.

ويضاف إلى هذا الجيش الحرس الدائم للأتابك والذي تكون من الخراسانية والديلم والغلمان والسلاحية والقزغندية[٣] والجاووشية[٤] والأحداث الحفظة له وكان ذلك في عهد تاج الملوك بوري، أما في عهد شمس الملوك إسماعيل فتكون حرسه من الغلمان الأتراك[٥].

أما أعداد هذا الجيش فهو لم تتوفر لنا إحصاءات دقيقة عن تعداد القوة النظامية لجيش أتابكية دمشق، ويمكننا الخروج مما يتوافر لدينا من معلومات بتصور تقريبي حول القوة العددية للأتابكية. لفقد أرسل شمس الملوك دقاق ألفي مقاتل لمحاربة ريموند الصنجيلي

---

(١) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٥٨- ٢٥٩، ٢٢٦، ٣٥٨، ٤٠٦.

(٢) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٣٥٨.

(٣) الكزغند: المعطف القصير، يلبس فوق الزردية، وصنع من القطن - أو الحرير المبطن المنجد والجمع كزاغنديات وهو لفظ فارسي (ولعلها تطلق على الفرقة التي ترتديها)، المقريزي: السلوك: جـ١: ق١: ٢٥٣ حاشية (٤).

(٤) الجاووش أو الجاويش أو الشاويش: لفظ تركي وجمعه جاويشية وهم في نظام دولة المماليك التي أعقبت دولة الأيوبيين أربعة جنود يسيرون أمام السلطان، أو النائب لتنبيه الناس والنداء، والجاويش أيضاً جندي من رتبة بسيطة يكلفه مخدومه بحمل الرسائل وتبليغها، وأبو شامة: الروضتين: جـ١: ق: ٥٢٦ حاشية (٥).

(٥) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٣٦٥، ٣٧٨.

المحاصر لمدينة طرابلس[١]. ولما لم تحدد الرواية إن كانوا من الفرسان أو المشاة فيرجح أن ثلثهم من الفرسان لأن أعداد المشاة في أغلب الوقعات الحربية تكون أكبر بكثير من أعداد الفرسان، وإن جاز هذا الرأي فيمكن التوقع أن ما أرسله دقاق إلى طرابلس لا يزيد بحال من الأحوال عن ثلثي إجمالي جيشه لأنه إذا كان هذا العدد نصف جيشه أو أكثر لكان هو على رأسه، ونخلص من ذلك بتقدير جيش دقاق بحوالي ستة آلاف مقاتل ما بين فارس وراجل، ولعل هذه الأعداد تفيد في معالجة أعداد جيش أتابكية دمشق الذين ورثوا إمارة دمشق السلجوقية بكافة مؤسساتها المختلفة، ولعل ما يؤكد صحة هذا العدد ان ظهير الدين طغتكين قد سار في سنة ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م بجيش قوامه ألفا فارس وكثير من الرجالة (المشاة) لمحاربة ابن أخت الملك بلدوين، وصاحب طبرية[٢].

ويمكن القول بان أحداً من المرتزقة أو المتطوعة لم يكن في هذا الجيش لأن هذه الموقعة محدودة الهدف والمدى إذ لم يقابلهم عدد كبير من الصليبيين في هذه الموقعة، ويمكننا مقارنة هذا العدد بحالة اخرى وهي عندما قام ظهير الدين بمهاجمة بالد الفرنج في سنة ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م إذ بلغ جيشه أربعة آلاف فارس وهذا عدد لم يرد في أي موقعة صغيرة سابقة، وتمكن بها من فتح بعض الحصون الصليبية وخاصة حصن الأكمة، هذا في الوقت الذي أرسل فيه ثلاثمائة مقاتل لتولي الدفاع عن عرقه ضد الصليبيين، ويظهر من ذلك وجود أعداد كبيرة من المرتزقة وخاصة. من التركمان والعرب وتمثل ذلك من الزيادة المضاعفة في أعداد الفرسان[٣].

وفي سنة ٥٤٧هـ/ ١١٥٢م بلغ عدد جيش نور الدين زنكي وجيش مجير الدين أبق صاحب دمشق عشرة آلاف بين فارس وراجل[٤] وهنا يمكن الاعتقاد بتساوي أو تقارب

---

(١) ابن القلانسي: الكامل: جـ١٠: ٣٤٤.
(٢) ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٤٦٧.
(٣) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠: ٤٦٧-٤٦٨.
(٤) ابن القلانسي: المذيل: ٤٩٦.

أعداد الجيشين إذ لو كان جيش دمشق أقل بكثير من جيش نور الدين لكان من غير المستبعد أن يهاجم نور الدين بجيشه، جيش دمشق ليقضي على مجير الدين أبق الذي اختلف مع نور الدين وفضل العودة إلى دمشق، إضافة لمعرفة نور الدين بأن أهل دمشق حانقون على مجير الدين لموقفه من مدينة عسقلان، إذ لم يهب لنجدتها، وكذلك فان الفرصة ستكون عندها مواتية لتحقيق حلم نور الدين في السيطرة على مدينة دمشق وما يتبعها إذ حاصرها مرات عديدة، كان آخرها في سنة ٥٤٦هـ/ ١١٥١م.

٢- المرتزقة:

وكانوا يشاركون في المعارك التي يخوضها جيش أتابكية دمشق ضد الصليبيين عندما يتم استدعاؤهم وتكونت هذه الفئة في الغالب من التركمان والعرب.

أ- **التركمان**: وقاموا بدور كبير في مساعدة جيش دمشق ضد الصليبيين مقابل مخصصات يأخذونها، ففي سنة ٥١٩/ ١١٢٥م استجاب التركمان لطلب ظهير الدين أتابك دمشق بالإغارة على بلاد الصليبيين ونهبها[١] واستعان بهم ثانية في سنة ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م ضد الصليبيين فقدموا من ديار بكر لمساندته[٢]، كما وقفوا إلى جانب شمس الملوك إسماعيل في سنة ٥٢٨هـ/ ١١٣٣م ضد الصليبيين بعد فتحه لحصن شقيق تيرون[٣] وذكر (وليم الصوري) آن كونراد ملك ألمانيا تمكن (عند حصار دمشق في سنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م) من "قتل واحد من كبار فرسان التركمان كان يبذل جهوداً مضنية ويظهر شجاعة نادرة في المقاومة"[٤].

---

(١) ابن القلانسي: المذيل: ٣٤٠.

(٢) ابن الأثير: الكامل: جـ١: ٦٣٩.

(٣) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ١١.

(٤) سهيل زكار: الحروب الصليبية: جـ١ "الحملة الصليبية الثانية" من كتاب (تاريخ الأعمال المنجزة فيما لوراء البحار) تأليف وليم الصوري: ٤٣٧.

ب- **العرب**: أقام العرب الفلاحون في ناحية الشعراء المجاورة لبانياس وأقام العربان منهم في منطقة حوران[1] وقاموا بمساندة جيش أتابكية دمشق عندما يستدعون للمساعدة مقابل أعطيات خاصة أو المشاركة في الغنائم، فقد وقف العرب الطائيون والكلابيون والخفاجيون إلى جانب حملة طغتكين ومورود فزودهم بالمؤن والإبل لحمل الماء[2] وساند الأمير مرة (امرا) جيش دمشق عندما قام الصليبيون بحصار مدينة دمشق في سنة ٥٢٣هـ/ ١١٢٨م[3].

٣- المتطوعة:

وهم من عناصر عرقية مختلفة جمعتهم وحدة الهدف الرامي إلى جهاد الصليبيين مع الجيوش الإسلامية، وغالبيتهم العظمى من التركمان ثم العرب، ففي سنة ٥١٩هـ/ ١١٢٥م قدم نحو ألفين من فرسان التركمان لبوا دعوة ظهير الدين لجهاد الصليبيين ومحاربة بلدوين الثاني الذي كان يعيث في منطقة حوران فساداً[4] وعندما سار بزواش مقدم عساكر دمشق بجيشه إلى طرابلس لمحاربة الصليبيين اجتمع لديه عدد كبير من الغزاة المتطوعة[5] وتختلف المتطوعة عن المرتزقة في أنها لا تجاهد مع المسلمين مقابل المال أو الأعطيات الأخرى وإنما تلبية لداعي الجهاد.

٤- جماعة السلب والنهب (من التركمان والحرامية):

وكانت هذه الفئة كثيراً ما تقوم بالإغارة على بلاد الفرنج للسلب والنهب بمبادرة منها مثل إغارة التركمان القادمين من بلاد الجزيرة على بلاد طرابلس في سنة ٥٢٧هـ/

(١) ابن القلانسي: المذيل: ٤٧٩، ٥١٧.

(٢) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٩٦.

(٣) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٣٥٨، سهيل زكار: الحروب الصليبية جـ٢ "الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية" من تاريخ العظيمي: ٦٧٨- ٦٧٩.

(٤) سهيل زكار: المصدر ذاته: جـ٢ "الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية" من (مرآة الزمان) لسبط، ابن الجوزي. مخطوطة مكتبة أحمد الثالث في استانبول رقم ٧: ٢٩س – الجزء الثالث عشر: ٧٦٥.

(٥) ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٥٠.

١١٣٢م حيث غنموا وقتلوا كثيرا من الصليبيين[١]. كما أغاروا في سنة ٥٤٦هـ/ ١١٥١م على ناحية بانياس وهزموا أهلها وغنموا غنائم كثيرة[٢]، وكانت بعض الغارات من قبل هؤلاء تتم بناء على طلب من صاحب دمشق، إذ أرسل ظهير الدين سراياه، ورجاله الحرامية في أعمال الصليبيين عند حصارهم لمدينة صور في سنة ٥٠٥هـ/ ١١١١م[٣].

٣- الجيش في إمارة دمشق الزنكية:

لعل قلة المعلومات العسكرية المتوفرة عن جيش نور الدين زنكي تعيق الخروج منها بتصور دقيق يعطي صورة مفصلة عن (المؤسسة العسكرية) في الدولة الزنكية، ونستدل مما وفرته لنا المعلومات أن الأكراد شكلوا عنصراً أساسياً في جيش نور الدين زنكي النظامي، كما ضمت العساكر النظامية عدداً من الخيالة العرب أبرزهم بنو منقذ أصحاب شيزر[٤]. وأنضاف إلى العساكر النظامية جماعة من مقدمي التركمان[٥] إضافة إلى المماليك السلطانية، ويتضح ذلك من أسماء الأمراء النورية فمنه (ملوك السلطان) غز الدين جورديك، وعز الدين قلج، وشرف الدين بزغش، وعين الدولة الياروقي، وقطب الدين ينال بن حسان المنبجي، وصلاح الدين يوسف بن أيوب ابن أخي شيركوه[٦] بينما كان أسد الدين شيركوه مقدم العسكر وصاحب إقطاع حمص والرحبة وغيرهما[٧].

وتبع العساكر النظامية أعداد من الغزاة والمجاهدين والمتطوعة والأحداث[٨] من داخل الإمارة وخارجها[٩]، وكانت من عناصر مختلفة، وأعداد مختلفة من حين لآخر.

---

(١) ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٧.

(٢) ابن القلانسي: المذيل: ٤٩١.

(٣) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٨٤.

(٤) جب: دراسات في حضارة الإسلام: ١٠٨.

(٥) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٥٢١١- ٥٣٣.

(٦) ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٣٣٨.

(٧) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٣٤٢.

(٨) يفهم من ورودها عند دخول نور الدين لدمشق في سنة ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م بأنهم صغار الشبان.

(٩) ابن القلانسي: المذيل: ٥٢١.

وأما القوة العددية لجيش نور الدين فتزودنا الروايات التاريخية بأعداد عامة تشمل الجيش النظامي والمتطوعة والمرتزقة إضافة لعدم ذكر العساكر التي تبقى في البلاد للدفاع عنها عند الحديث عن غزوة أو موقعة ما. فحتى قبل دخوله إلى دمشق وخلال حصاره لها في سنة ٥٤٦هـ/ ١١٥١م أرسل فريقا من عسكره "يناهز أربعة آلاف فارس مع جماعة من المقدمين ليكونوا في أعمال حوران مع العرب لقصد الفرنج" وهذا يعني أن هذا الفريق يقل عن نصف عدد الجيش الذي أقام نور الدين به محاصرا لمدينة دمشق، لكن عدداً كبيراً من هذا الجيش كان من التركمان وممن وفدوا من الأطراف (البلاد المحاورة). كما سبق وقدّرنا جيش نور الدين الذي شارك جيش أتابكية دمشق في حصار بانياس بخمسة آلاف مقاتل بين فارس وراجل[١]. وهذا لا يعني أنها القوة النظامية للعساكر النورية. أما بعد أن تمكن نور الدين من دخول دمشق وضمها إلى حلب إضافة لسيطرته على بلاد الجزيرة الفراتية فمن المتوقع زيادة أعداد العساكر النورية لانضمام العديد من أبناء هذه البلاد لها إضافة لقدوم جيوش هذه البلاد التي أصبحت تابعة لنور الدين عندما يطلب منها ذلك.

وقد أورد ابن الأثير أن عدد جيوش الموصل والجزيرة أقل قليلاً من (٦٥٠٠) مقاتل منها (٤٠٠٠) للولايات التابعة للموصل و (٢٠٠٠) فارس من الموصل ذاتها[٢].

وعندما أرسل نور الدين مقدم جيشه أسد الدين شيركوه لمصر في سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٩م أشار عليه أن يختار ألفي فارس[٣] إضافة لعساكر إقطاعه الذي بلغ عددهم خمسمائة مقاتل من المماليك والأكراد[٤] ومن استطاع تجنيدهم في عسكره إذ بلغوا ستة آلاف فارس من التركمان[٥]. كما أضاف نور الدين إلى عساكر شيركوه جماعة أخرى من

(١) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٤٨٦-٤٨٧، ٤٩٦.

(٢) جب: دراسات في حضارة الإسلام: ٢٠٦.

(٣) ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٣٣٨، جب: المرجع ذاته: ٩٧.

(٤) جب: المرجع ذاته: ٩٧.

(٥) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٣٣٨، جب: المرجع ذاته: ٩٧.

الأمراء[١]. ونظراً لخطورة المهمة التي كلف بها أسد الدين شيركوه فيمكن أن يكون نور الدين قد أرسل معه نصف جيشه النظامي على أن يبقى النصف الآخر للدفاع عن البلاد من غارات الصليبيين، وعلى هذا يكون تقدير جيش نور الدين في هذه الفترة بحوالي أربعة آلاف فارس إضافة إلى المشاة التي لم تتوفر لدينا معلومات عنها.

٤- الجيش في عهد السلطان صلاح الدين:

تعود الفتوحات الكبيرة التي تمت على يد السلطان صلاح الدين إلى سياسته الحكيمة التي قامت على الجمع بين مصر والشام بوحدة قوية امتدت لتشمل بلاد الجزيرة والموصل، ولم يكن ذلك ليتم لولا التنظيم العسكري الذي اتبعه صلاح الدين منذ أن ولي الأمر في مصر، وتعود بدايات هذا الجيش إلى الحملة التي أرسلها نور الدين زنكي تحت قيادة أسد الدين شيركوه إلى مصر وكان قوامها (كما مر سابقاً) ألفي فارس من خيرة العساكر النورية بالإضافة، إلى خمسمائة فارس من مماليكه، وستة آلاف فارس من التركمان[٢].

تمكن صلاح الدين من الفوز بمنصب الوزارة الفاطمية رغم الخلاف الذي وقع بين الأمراء النورية عليه فانسحب التركمان وعدد من الأمراء[٣] التابعين لنور الدين مع فرسانهم وبقي الأسدية (نسبة لأسد الدين شيركوه)[٤] وغيرهم من الفرسان الأكراد التابعين لأسد الدين، في خدمة صلاح الدين[٥] فشكل صلاح الدين حرساً من العساكر

---

(١) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٣٣٨.

(٢) ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٣٣٨، أبو شامة: الروضتين: جـ١: ث١: ٣٩٢- ٣٩٣. جب: دراسات حضارة الإسلام: ٩٧، وربما كان التركمان (من القبيلة الياروقية).

(٣) وعلى رأسهم الأمير "عين الدولة الياروقي" انظر: ابن الأثير: المصدر ذاته جـ١١: ٣٤٤. ولمزيد من التفصيل، انظر: أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١: ٤٠٦-٤٠٧، ٤٣٨- ٤٣٩.

(٤) أحمد سبانو: مملكة حماه الأيوبية: ٣٥، رسالة ماجستير بالآداب – قسم التاريخ بنشر وتوزيع دار قتيبة، دمشق مطبعة خالد بن الوليد، ١٩٨٤م.

(٥) جب: دراسات في حضارة الإسلام: ٩٧-٩٩.

عرفوا بالصلاحية تحت إمرة أبي الهيجاء الهذباني (الذي كان صاحب إربل) [١] وازداد عدد جيش صلاح الدين حتى أنه جهز في سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م أخاه نور انشاه بحملته على اليمن بجيش من ألف فارس سوى من سيّرهم معه من حلقته الخاصة[٢].

وقام السلطان صلاح الدين بالتخلص من الأمراء الفاطميين والعربان والأرمن والعبيد السود وأسس جيشاً جديداً من الأتراك وأكراد خاصة أصحاب الإقطاعات[٣].

١- الجيوش النظامية:

تكونت القوة النظامية لجيش صلاح الدين الأيوبي من ثلاث فئات:

أ- **المماليك السلطانية**: وتكونت من الأرقاء الذين اشتراهم السلطان إضافة إلى ما تبقى عنده من مماليك من سبقه في السلطنة، ومن هذه الفئة المماليك الخاصكية وهم من صغار المماليك يعمل السلطان على تربيتهم وعتقهم وعددهم يتوقف على رغبة السلطان في الزيادة أو النقصان[٤].

ب- **أجناد الحلقة**: وتتكون من ممتهني الجندية من مماليك السلاطين السابقين وأولادهم وهي أقرب الفئات إلى نظام الجيش الثابت في العصور الحديثة ومرتباتهم من ديوان الجيش[٥].

ج- **مماليك الأمراء**: وتشبه المماليك السلطانية حيث يتبع أفرادها مباشرة لأمرائهم ومنهم تكونت الوحدات الحربية التي انضم بها الأمراء إلى جانب السلطان في

(١) ابن الأثير: التاريخ الباهر: ١٧٣. أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق١: ٤٠٦، جب: المرجع ذاته: ٩٨.

(٢) جب: المرجع ذاته: ٩٨.

(٣) المقريزي: الخطط: جـ١: ٩٤ (دار صادر بيروت).

نظير حسان سعداوي: جيش مصر في أيام صلاح الدين: ٦، سميل: الحروب الصليبية: ٨٢.

(٤) المقريزي: السلوك: جـ١: ق١: ١٢ (حاشية:٢).

القلقشندي: صبح الأعشى: جـ١٥: ٤-١٦.

(٥) المقريزي: المصدر ذاته: جـ١: ق١: ١٢٢ (حاشية: ٢).

القلقشندي: المصدر ذاته: ١٦.

حروبه. هذا إضافة لمن يلتحق بالحملات الحربية من الفقهاء والمقرئين والصناع والأتباع[١] كما ضمت العساكر النظامية عدداً من الخيالة العرب أبرزهم بنو منقذ أصحاب شيزر[٢] ويخدم الجيش النظامي بصورة دائمة يتقاضون راتباً منتظماً إما نقداً أو عيناً، وتكونوا من الأكراد والترك والتركمان[٣].

وتتألف القوات النظامية في جيش السلطان صلاح الدين من:

١ - **الفرق الشامية**: وهي العساكر التي كان أمراء الشام يعدونها لمساعدة السلطان صلاح الدين في حروبه وهذه الفرق:

أ- جيش دمشق: بلغ عسكرها في ولاية فرخشاه عليها أقل من ألف مقاتل وكانت كذلك فرقة شمس الدين بن المقدم الذي انتقل إلى بعلبك وتحصّن فيها، لذا يمكن تقدير جملة عسكر دمشق بألف أو أكثر قليلاً[٤].

ب- جيش حمص: وهم إقطاعها الرحبة، وبلغ عدد جيشها في عهد أسد الدين شيركوه خمسمائة، فيمكن اعتماد هذا العدد بصورة تقريبية[٥].

جـ- جيش حماه: وضم إقطاعها حصن بعرين وبلد كفرطاب وحصن رعبان، وقدّر عدد جيشها من خلال حملة تقي الدين عمر (ابن أخي صلاح الدين) لصد سلطان سلاجقة الروم عن حصن رعبان، بألف رجل[٦]. ويمكن اعتبار هذا

---

(١) المقريزي: السلوك: جـ١: ق١: ١٢٢ (حاشية: ٢).

(٢) جب: دراسات في حضارة الإسلام ج ١٠٨.

(٣) سعداوي: جيش مصر في أيام صلاح الدين: ٨، ٢٥-٢٦، (وتعتبر الطوائف النورية والأسدية الصلاحية عصبة الجيش... وتفرع من الطائفة الكردية طوائف أخرى مثل الهكارية والمهرانية والحميدية والزرزارية) وذكر ابن سناء الملك في شهره: ٦٧ (تحقيق محمد إبراهيم نصر أن الأتراك كانوا عنصراً فعالاً في جيش صلاح الدين)، القاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

(٤) جب: المصدر ذاته: ١٠٣-١٠٤.

(٥) ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٣٣٨، جب: دراسات في حضارة الإسلام: ١٠٤.
سعداوي: جيش مصر في أيام صلاح الدين: ٢٥.

(٦) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٥٠١، جب: المرجع ذاته: ١٠٤.

الرقم يمثل قوة عسكر حماه وعساكر أمراء الحصون في ولاية حماة بما في ذلك شيزر[1].

د- جيش حلب: أدى فصل حماه في الجنوب عن حلب ومناطق أخرى على الفرات إلى قلة مواردها، مما قلل من إمكانية إيواء أحد من غير فرقة حرس نور الدين التي بلغت في الأصل ألف فارس، ولم تزد أعدادها في عهد السلطان صلاح الدين[2].

٢- الفرق الجزرية: (الموصل والجزيرة):

وبلغت أعداد العساكر فيهما حسب رواية ابن الأثير عن الحملة التي قادها سيف الدين غازي بن مودود (صاحب الموصل) ضد السلطان الصلاح الدين عند حلب في سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٦م بما فيها عساكر الإمارات التابعة لها في بلاد الجزيرة يزيد على ستة آلاف فارس، أقل من خمسمائة[3] وكانت جملة هذه الجيوش التابعة للولايات والتي ستكون تحت إمرة صلاح الدين باستثناء الموصل حوالي أربعة آلاف على وجه التقدير، بينما بلغ عدد جيش الموصل الذي أصبح تحت إمرة صلاح الدين بموجب معاهدة سنة ٥٨١هـ ١١٨٦م حوالي ألفي فارس[4].

٣- الجيش المصري: قدر عدد فرسان صلاح الدين بعد دخوله مدينة دمشق في سنة (٥٧٠هـ- ٥٧١هـ/ ١١٧٦م) بستة آلاف[5].

ولما كان هذا العدد يضم عسكر دمشق وحرسه الخاص فيمكن تقدير الفرقة المصرية بما لا يزيد عن أربعة آلاف[6]. واستناداً إلى رسالة فاضلية في سنة ٥٧٧هـ/ ١١٨١م يقول

---

(١) جب: المرجع ذاته: ١٠٤.

(٢) جب: المرجع ذاته: ١٠٥.

(٣) ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٤٢٩ (ط. بيروت- ١٩٦٦م) وذكر العماد في البرق أنهم كانوا "عشرين ألف فارس" جب: دراسات في حضارة الإسلام: ١٠٥.

(٤) جب: المرجع ذاته: ١٠٦.

(٥) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٤٢٩، جب: المرجع ذاته: ١٠٢.

(٦) جب: المرجع ذاته: ١٠٢، ١٠٦.

فيها "... استقرت العدة على ثمانية آلاف وستمائة وأربعين فارساً وأحد عشر أميراً، طواشيه ستة آلاف وتسعمائة وست وسبعين، قراغلامية[1] ألف وخمسمائة وثلاثة وخمسين.. وذلك – خارج عن المملوكين من الأجناد الموسمين بالحوالة[2] على العشر، ومن عدة العربان المقطعين بالشرقية والبحيرة وعن "الكنانيين" والمصريين والفقهاء والقضاة والصوفية"[3] بينما كان جيش مصر في سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م، كما ورد في متجددات القاضي الفاضل "وكانت عدتهم مائة وسبعة وأربعين طلباً[4]، وتقدير ذلك يناهز أربعة عشر آلف فارس أكثرهم طواشية وقراغلامية"[5].



(١) هم جماعة الضبطية، وعملهم مراقبة الطرق في أثناء سير الجيوش، المقريزي: السلوك: جـ١: ق١: ٧٥، وهم من العساكر النظامية كانوا أقل مرتبة من الطواشية. جب: ذات: ١١٥ حاشية (٣٢).

(٢) نوع من الضرائب المؤقتة، كانت تفرضها الحكومة في مناسبات مختلفة، ومن أمثلتها حوالة الأسواق وحوالة الأجناد. أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق١: ٣٠٢ حاشية (٣).

(٣) جب: دراسات في حضارة الإسلام: ١٠١. سعداوي: جيش مصر في أيام صلاح الدين: ٨-٩.

(٤) الطلب جمع أطلاب والطلب، بلغة الغز هو الأمير المقدم له علم معقود وبوق مضروب وعدة (٢٠٠) أو (٧٠) فارسا، المقريزي: الخطط: جـ١: ١٣٩.

(٥) سعداوي: المرجع ذاته: ٨-٩.

جيش صلاح الدين في حطين (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م).

بلغ عدد الجيش النظامي للسلطان صلاح الدين عند عرضه للعسكر قبل خوض معركة حطين (اثنتي عشر ألف فارس ممن له الاقطاع والجامكية[١]، سوى المتوطعة)[٢] منها ألف وهم حرس السلطان صلاح الدين، وأربعة آلاف من العسكر المصري[٣] وألف من دمشق، وألف من حلب وشمالي (سورية) و (بقي هناك ألف لحماية البلاد)[٤] وخمسة آلاف من الجزيرة والموصل وديار بكر[٥]، ظل السلطان صلاح الدين محافظاً على هذا العدد من المعسكر، ويظهر ذلك في وقعة أرسوف في سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩١م إذ بلغ جيشه حينئذ نفس العدد[٦].

٢- الجيوش الاحتياطية:

ضم جيش صلاح الدين إلى جانب قواته النظامية أعداداً تزيد وتنقص من العساكر الاحتياطية من خيّالة ورجالة.

أ- التركمان: وقفوا إلى جانب السلطان صلاح الدين عندما قام بهدم حصن بيت الأحزان، كما هاجمت قبيلة الياروقية جيش الحملة الصليبية الثالثة وخطوط

(١) الجامكية والجومك رواتب خدّام الدولة، أدى شير: الألفاظ الفارسية المعربة: ٤٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٥٣١، المقريزي: الخطط: جـ١: ٩٤.

(٣) جب: المرجع ذاته: ١٠٧، سعداوي: المرجع ذاته: (وثلاثة آلاف من عساكر مصر).

(٤) جب: دراسات في حضارة الإسلام: ١٠٧، سعداوي: جيش مصر في أيام صلاح الدين: ١٠(وألفان من عساكر حلب وشمال سوريا).

(٥) جب: المرجع ذاته: ١٠٧، سعداوي: المرجع ذاته: ١٠.

(٦) سعداوي: المرجع ذاته: ١٠.

إمداداتها وراء القدس، إذ كانت سبباً رئيسياً في تراجع رد ملك إنجلترا عن القدس[1].

ب- الأكراد: شكل الأكراد عصب الجيش الأيوبي (كما سلف)، وكان هناك جنود ينتقلون حسب أهوائهم وخاصة في خدمة الأمراء الأيوبيين، وخلال حصار السلطان صلاح الدين، الثاني للموصل في سنة (٥٨١هـ/ ١١٨٥م) سيّر سيف الدين المشطوب وغيره من أمراء الأكراد إلى كردستان لاحتلال القلاع[2].

جـ- العرب من (العساقلة والكنانية والثعالبة والجذاميين):

شكل العرب مصدر قوة إضافية لجيش السلطان صلاح الدين فقد بلغ عددهم في جيش السلطان في سنة ٥٧٢هـ/ ١١٧٧م "ستة وعشرين ألف مقاتل منهم ثمانية آلاف طواشية بما في ذلك ألف مملوك بقمصانهم الصفراء، وثمانية عشر آلاف قراغلامية من السودان"[3] وكانت عدة العرب الجذاميين سبعة آلاف فارس فاستقرت على ألف وثلاثمائة فارس لا غير وأخذوا بهذا الحكم عشر الواجب، وكان أصله ألف ألف دينار، وكلف الثعالبة مثل ذلك فامتعضوا ولوحوا بالتحيز إلى الصليبيين"[4] وفي سنة ٥٧٤هـ/ ١١٧٩م سير السلطان

---

(١) ابن شداد: النوادر السلطانية: ٢٣١. جب: المرجع ذاته: ١٠٨.

(٢) جب: المرجع ذاته: ١٠٨.

(٣) Lane poole, Stanley, ١٨٥٤-١٩٣١; saladin and the fall of the Kingdom of Jerusalem, ١٥٤, New York. G.P. Putmans,

وسيرد: Saladin١٨٩٨.

سعداوي: جيش مصر في أيام صلاح الدين: ١٣ (ومنهم قبيلة كنانة التي أرشدته إلى الطريق).

(٤) المقريزي: السلوك: جـ١: ق١: ٤٧، سعداوي: المرجع ذاته: ١٢. جب: دراسات في حضارة الإسلام: ١٠٨ (صادر صلاح الدين أراضي الجذاميين في الشرقية وألزمهم بالانتقال إلى البحيرة بسبب تهريبهم القمح إلى الفرنج).

صلاح الدين قبائل العرب إلى بلدة صيدا وبيروت حتى يحصد غلات العدو، وما يبرح مكانه حتى يعودوا بجمالهم وأحمالهم موثقة بأثقالها[(١)].

د- الأجناد: هو اصطلاح له مدلولات مختلفة استخدم في هذه الفترة ليدل على الفرسان المحليين الذي يختلفون عن العساكر في أنهم لم يكونوا من الرماة الخيالة بل من حملة السيوف والرماح[(٢)]. ومن المشكوك فيه اندماج قبائل العرب الرحل في الجند ولعلهم كونوا جنداً مستقلاً[(٣)].

هـ- الترك: واشتركوا مع جيش السلطان في معركة أرسوف في سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩١م في أكثر من عشرين ألف رجل[(٤)].

---

(١) ابن شداد: النوادر السلطانية: ٢٢٩.

(٢) جب: المرجع ذاته: ١٠٩.

(٣) Gibb; The Damascus chronicle; ٣٦-٣٧.

(٤) Lane pool; Saladin; ٣١٥.

٣- المتطوعة:

وكانوا من البدو وسكان القرى والأمصار وغيرهم. ولم يكن لهم اسم في ديوان الجيش كالجند من المرتزقة[١] وأدى اهتمام الخطباء من المشايخ في المساجد بحث الناس وترغيبهم على التطوع في الجيش، فيقلبون جماعات وأفراداً من جميع الجهات إلى معسكر صلاح الدين[٢].

وبرز العنصر العربي بين صفوف المتطوعة في جيش السلطان فكانوا إلى جانب الغزاة العجم قرب صيدا في المصاف مع الصليبيين، في سنة، ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م، كما حملوا على الصليبيين الذاهبين للاحتطاب قرب عكا في السنة ذاتها فقتلوهم عن آخرهم[٣].

٤- جماعات أخرى:

وكانت جميعها من المشاة، وارتبط ذكرهم بأعمال الحصار فمنهم الحجّارون الذين يقومون على المجانيق والعرّدات، والنقابون الذين كانوا ينقبون حفراً تحت الأسوار، والخراسانية الذين كانوا يحاربون في الدبابات. ويرد معهم الجاندارية[٤] الذين كانوا يشرفون على أعمال الحصار[٥] إضافة إلى النشّابين الذين يرمون بالنشاب، والنفّاطين الذين يرمون النفط لإحراق حصون الأعداء ويلحق هؤلاء أتباع العسكر والأوباش والرعّاع، ويسمون سوقه أو حواش[٦].

---

(١) النويري: نهاية الأرب: جـ٦: ١٥٣.

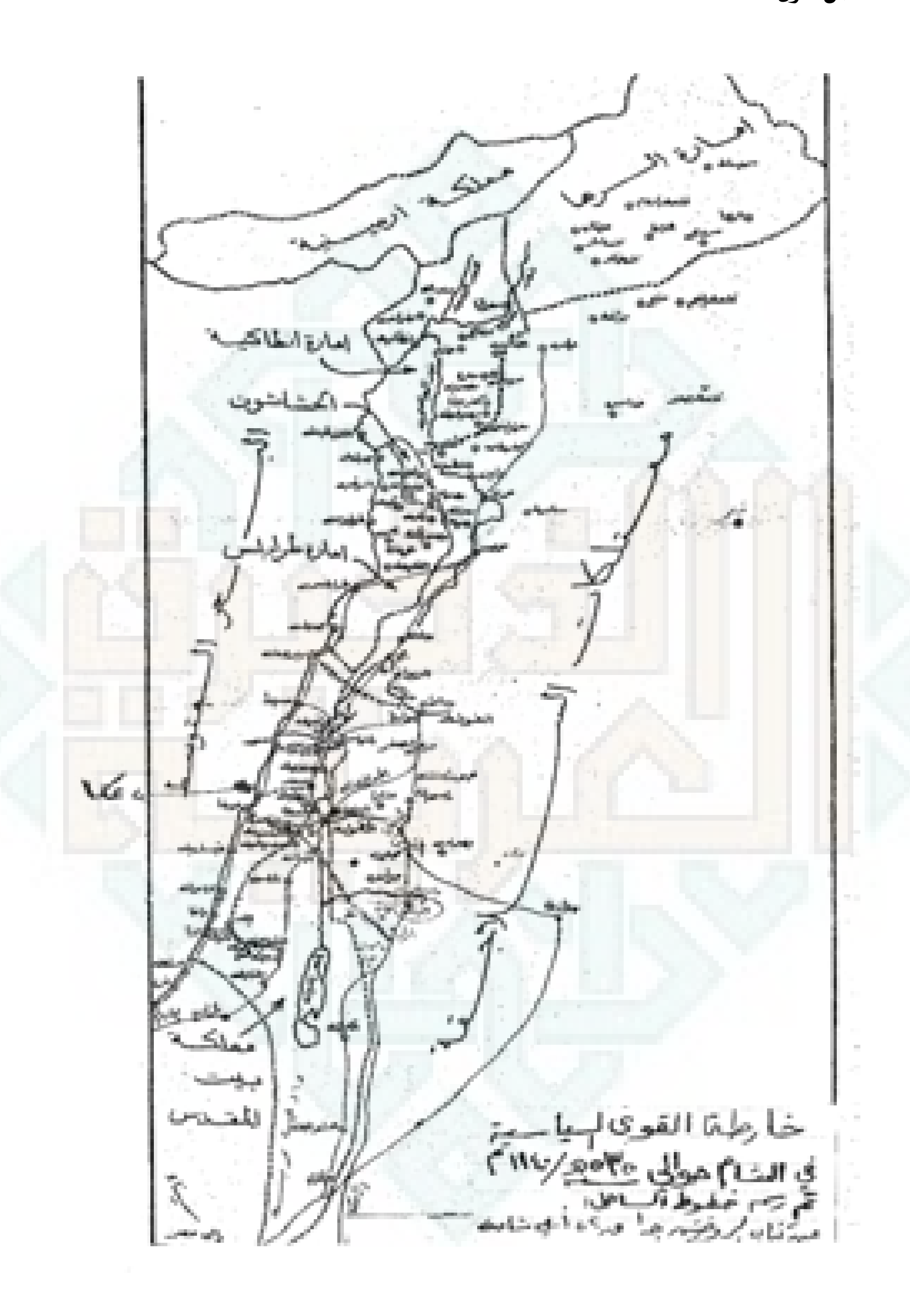
(٢) سعداوي: جيش مصر في أيام صلاح الدين: ٢٠، جب: دراسات في حضارة الإسلام: ١٣٧.

(٣) ابن الأثير: الكامل: جـ١٢: ٣٦، ٧٩.

(٤) فئة من مماليك السلطان أو الأمير، ومثلها الخاصكية وهي مركب من لفظين فارسيين "أحدهما جان ومعناه سلاح، والثاني دار ومعناه ممسك، أما الجدار فهو الذي يتصدى لإلباس السلطان أو الأمير نيابة، القلقشندي: صبح الأعشى: جـ٥: ٤٥٩.

(٥) جب: المرجع ذاته: ١١٠.

(٦) سعداوي: المرجع ذاته: ٢٠.


مملكة أرمينية
إمارة الرها
إمارة أنطاكية
الحشاشون
إمارة طرابلس
عكا
مملكة بيت المقدس
خارطة القوى السياسية
في الشام حوالي ٥٣٠هـ/١١٣٦م
تم رسم خطوط الساحل



الفصل الثاني

تأسيس مملكة بيت المقدس

واللاتينية وتوسيعها



أولا : قدوم الحملة الصليبية الأولى إلى القدس :

قدمت إلى الشام حملة صليبية منظمة، وتمكن بلدون شقيق جود فري من دخول الرّها وتأسيس إمارة لاتينية فيها في سنة ٤٩١هـ/ حزيران ١٠٩٨م[١]. فكانت الإمارة الأولى التي أسسها الصليبيون في شمال الشام. أما القسم الأكبر من الجيش الصليبي فقد تقدم من آسيا الصغرى جنوباً نحو أنطاكية فوصلها في سنة ٤٩١هـ/ ٢٠ تشرين أول ١٠٩٨، وحاصروها، واستمر حصارهم لها حتى ٣ حزيران من السنة[٢]، حيث استطاعوا اقتحام المدينة وقتلوا من المسلمين خلقاً كثيرا[٣]، أقام الصليبيون فيها مدة أربعة شهور أعادوا فيها تنظيم المدينة[٤] وأصبح بوهيمند سيداً على أنطاكية وجميع المناطق المجاورة[٥].

---

(١) ابن القلاسي: المذيل: ٢٢٠، (وحوادث سنة ٤٩١هـ)، ابن الأثير: الكامل: جـ١: ٢٧٤-٢٧٥ك
W. of Tyre; A Hist of Deeds; vol, I:٢٠٦
ابن كثير: البداية والنهاية: جـ١٢:١٥٥، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب: جـ ٣، ٢٩٦، دار الميسرة، بيروت، ط٢ منقحة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م وسيرد: شذرات الذهب، عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، التاريخ السياسي، ٤٤٨، الإسكندرية، ١٩٦٨م دار المعارف بمصر، تيسير بن موسى: نظره عربية على غزوات الإفرنج: ٧٥، حتي: تاريخ الشرق الأدنى: م١: ٣٦٧، المرجع ذاته: جـ٢: ٢٢٦.

(٢) Fulcher; Expedition; ٩١.
أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية – دراسة تحليلية لتاريخ الإسلام كله من مطلع الإسلام حتى الآن، جـ٥: ٤٤٥، القاهرة مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٤، وسيرد: موسوعة التاريخ الإسلامي.
حتي: تاريخ الشرق الأدنى: م١: ٣٦٣، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين: ب ٢: ٢٢٥،
حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام: جـ٤: ٢٤٧، عبد الأمير محمد أمين: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى: ٢٣٧، طبع في جامعة بغداد، ١٩٨٠م.
J. Prawer; The Lat. Kindom; ١٣.

(٣) ابن القلانسي: المذيل: ٢١٩-٢٢٠، سهيل زكار: الحروب الصليبية:جـ٢: (الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية) من تاريخ العظيمي: ٦٦٣.
W. of Tyre; A Hist of Deeds; vol, I:٢٠٦; Fulcher; ٩٥
أحمد شلبي المرجع ذاته: جـ٥: ٤٤٥ عمر عبد السلام تدمري: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور العربي والبيزنطي والحروب الصليبية، جـ١: ٣٣٨، مؤسسة الرسالة، دار الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م، ط٢، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، طرابلس لبنان.

(٤) Conder: The Latin Kingdom of Jerusalem, ١٨٩٩-١٩٢١; ٥٠, Pub, By the Committee of Palestine Exploration fund. ٢٤. Hanover square, London ١٩٨٧. Ams press, New York
وسيرد. Conder: The Latin Kingdom

(٥) W. of Tyre; Ibid;; vol, I:٢٠٦-٢٦٧; Fulcher; ١١٢-١١٣
ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٢٢، مؤلف مجهول: أعمال الفرنجة: ١٠٧.

سارت القوات من أنطاكية في طريقين الأولى على طول نهر العاصي في الجانب شرقي منه، والثانية الطريق المحاذية لشاطئ البحر المتوسط[١]، وكان التقاؤهما على مدينة عرقة في سنة ٤٩٢هـ/ ١٤ شباط ١٠٩٩م فحاصروها حتى ١٣ نيسان في السنة ذاتها[٢]. ثم سلكوا طريق الساحل فمروا في طرابلس وبيروت وصيدا وصور وعكا ومنها إلى حيفا ثم إلى قيسارية ومنها إلى أرسوف، فالرملة ومنها إلى اللد[٣]. حيث انقسموا إلى ثلاث فرق للإطباق على القدس من الشمال والجنوب الغرب، فاتجه ريموند للجنوب من نابلس خيم في بلدة سنجل[٤]، بينما سار مائة من الفرسان بقيادة تانكرد إلى بيت لحم فدخلوها بدون قتال، في الوقت الذي قاد فيه جود فري بقية الجيش وسار إلى النبي صموئيل[٥] ولفتا[٦] حتى وصل أسوار القدس في صباح ٧ حزيران فالتقى بتانكرد وريموند ومن معهما[٧].

---

(١) Conder; Ibid; ٥٥.

(٢) W. of Tyre; A Hist of Deeds; vol, I:٣١٦; Fulcher; Expedition; ١١٣. Steven Runciman; "Antioch of Ascalon ", setton, The Crusades"; vol. I. ٣٢٨.

المعاضيدي: الحياة لا السياسة في بلاد الشام: ١٢٦، عبد المنعم حسنين: إيران والعراق في العصر السلجوقي: ١١٣.

(٣) ابن القلانسي: المذيل: ٢٢٢ مؤلف مجهول: أعمال الفرنجة: ١٤هـ.

W. of Tyre; Ibid;; vol, I:٢٦٨-٢٦٧; Fulcher; ١١٤-١١٥

مونروند مكسيموس، تاريخ الحروب المقدسة في المشرق المدعوة حرب... جـ١: ١٥٢، ترجمة كريركيريو مكسيموس مظلوم، أورشليم، دير الرهبان الفرنسيسكانيين، ١٩٦٥ م، وسيرد مكسيكوس: تاريخ الصليبيين.

(٣) قرية تبعد (٢١) كم إلى الشمال الشرقي من رام الله، ويبلغ ارتفاعها (٨٠٠م) فوق سطح البحر، محمد أحمد اليعقوب: ناحية القدس الشريف: ٥١؛ ٨٣ Conder; Ibid;

(٤) قرية تقع على بعد (٧ كم) إلى الشمال الغربي من القدس عند خط طول ٣٥.١٨ وخط عرض ٣١.٨٣ ويبلغ ارتفاعها (٨٨٥م) عن مستوى سطح البحر: محمد اليعقوب: المرجع ذاته: ٥٣.

(٥) قرية تقع على بعد (٥كم) إلى الغرب من القدس، محمد اليعقوب: المرجع ذاته: ٦٨.

(٦)

(٧) Michel Joint Lambert; Jerusalem; ٢١٢, Trans Lated by, Charlote Halden. Elek Book LM.T.D. Britain c ١٩٥٨.

W. of Tyre; A Hist of Deeds; vol, I, ٣٣٥-٣٦, Fulcher; Expedition; ١١٥-١١٨.

حصار القدس:

حاصر الصليبيون القدس من كافة نواحيها فكان روبرت كونت نرمنديا مواجهاً لسورها من الشمال، والى جانبه روبرت كونت فلاندر مقابل باب العمود، وحاصرها من الناحية الشمالية والغربية، الدوق جود فري وتانكريد مقابل باب يافا، أما الكونت ريموند الصنجيلي فقد أقام بجزء من قواته في الناحية القبلية على جبل صهيون[(١)] في حين تركزت بقية قواته في الغرب قبالة برج داود[(٢)].

وهاجم الصليبيون أسوار المدينة في سنة ٤٩٢هـ/ ١٣ حزيران ١٠٩٩م، لكن هجومهم فشل[(٣)]. وفي يوم الثلاثاء من نفس السنة ١٤ تموز ١٠٩٩م دفع الصليبيون أبراجهم ثانية إلى أسوار المدينة فاستمر القتال طوال ذلك اليوم، وفي اليوم التالي نجحت محاولة جود فري ورجاله في دخول المدينة، ففتحوا أبوابها[(٤)]، دخلت بقية الجيش وكان ذلك في ١٥ تموز ١٠٩٩م وقتلوا سكانها من المسلمين حتى بلغ عدد القتلى سبعين ألفاً[(٥)].

---

(١) مؤلف مجهول: أعمال الفرنجة: ١١٤ D. Lambert; Ibid; ٢١٢١-٢١٣

(٢) W. of Tyre; A Hist of Deeds; vol, I. ٣٥٩; Conder, The Lat Kingdom; ٦٣.

(٣) W. of Tyre; A Hist of Deeds; vol. I. ٣٥٠-٣٥١; Lambert Ibid; ٢١٣, Fulcher, Expedition. ١١٩.

(٤) W. of Tyre; A Hist of Deeds; vol, I. ٣٦٧-٣٦٩; Fulcher; Ibid; ١٢١, Conder; Ibid;٦٦.
ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٢٢، ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٢٨٣. ابن ميسر: المنتقي: جـ٢: ٦٦ مكسيموس تاريخ الصليبيين: جـ١: ١٦٧.

(٥) ابن القلانسي: المذيل: ٢٢٢، السيوطي: تاريخ الخلفاء: ٢٨٣، ابن الوردي: تاريخ جـ٢: ١١، عمر تدمري: تاريخ (طرابلس: جـ١: ٣٩٧، عبد الأمير محمد: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى: ٢٣٧.

ثانياً: تأسيس مملكة بيت المقدس وتوسعها:

١- في عهد الدوق: جود فري: (٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م - ٤٩٣هـ/ ١١٠٠م).

عند تسلم جود فري زمام الأمور، لم يزد امتداد مملكة بيت المقدس على خمسين ميلاً من الساحل إلى الداخل، حيث شملت معظم أجزاء المنطقة الممتدة من البحر المتوسط حتى نهر الأردن، ومن أهم مدنها الناصرة[١]، وبيت لحم ونابلس والخليل ويافا واللد والرملة[٢].

ولم تكد تستقر الأمور في مملكة بيت المقدس حتى دخلت المملكة في صراع مع الفاطميين الذين شكلت قواعدهم عل ساحل البحر المتوسط تهديداً مباشراً لمركز المملكة اللاتينية في القدس وتمثل ذلك بالحملة التي قادها الأفضل[٣]، ووصل بها عسقلان في ١٤ رمضان سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م حيث أرسل إلى الفرنج ينكر عليهم ما فعلوا ويتهددهم[٤] بالمسير إلى القدس فجمع جود فري قواته وخرج بها من القدس نحو عسقلان[٥]، ورافقه

(١) قرية بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلاً، ياقوت: معجم البلدان: جـ٥: ٢٥١.

(٢) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٢٤-٢٢٥،

H. Fink "Foundation"; Setton; "The crusades" ; Vol. I. ٣٧٥

عبد الأمير محمد: المرجع ذاته: ٢٤٨، تيسير بن موسى: نظرة على غزوات الفرنج: ٨٣.

(٣) ابن القلانسي: المذيل: ٢٢٣.

W. of Tyre; A Hist of Deeds; vol, I. ٣٩٦. Conder; Ibid; ٧٠. W.B. Stenensons; The Crusaders in the east; A brief History if the wars of Islam with the Lation in Syria during the twelfth and Thirteenth Centuries. Beirute, Librairie do liban, ١٩٥٨. Pub. By. Cambide University Press.

وسيرد: (The Crusaders)

(٤) ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٢٨٦، ابن ميسر: المنتقى: جـ٢: ٦٧.

(٥) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٢٣

W. of Tyre; A Hist of Deeds; vol, I. ٣٩٤, Fulcher; Expedition; ١٢٥

(٤) Conder; the Lat, Kingdom; ٧٠.

من القواد تانكرد وروبرت الترمندي وروبرت فلاندرز[١]، وكان وصلهم عسقلان في ١١ آب لكنهم انشغلوا بجمع المواشي في اليوم الأول، وتمكنوا من إحراز نصر على الأفضل بعد معركة وقعت في سنة ٤٩٢هـ/ ١٢ آب ١٠٩٩م، فتراجع بجيشه إلى أسوار عسقلان[٢] ودخلوا إحدى بواباتها[٣]، ولما رجع الأفضل إلى مصر تزل الفرنج عسقلان وضايقوها فبذل لهم أهلها مبلغ عشرين ألف دينار (٦) فأخذه الملك ثم عاد بجيشه إلى القدس[٤]. وقد كان انتصار الصليبيين في هذه المعركة أثر بارز في ارتفاع معنويات[٥] جيشهم الذي لم يكن يتجاوز من حيث العدد ثلثماية مقاتل وأتباعهم[٦] ولشعور جود فري بما يتهدد مملكة بيت المقدس من أخطار حقيقية من مدن الساحل المصرية، وجه جهوده للسيطرة على هذه المدن التي تشكل القواعد الرئيسية التي يستخدمها المسلمون للإغارة على الصليبيين[٧]. فابتدأ بيافا وحيفا، حتى أصبحت السيطرة على هذه الموانئ جزءا من سياسته[٨] خاصة وأن أملاكه لم يكن لها طريق إلى البحر إلا الممر المؤدي إلى مدينة يافا، فحاصر أرسوف في ١٥ كانون أول[٩]، ثم تراجع عنها إلى عسقلان حيث قطع طرق إمدادها ونهب المواشي[١٠] لكنه عاد فاحصرها بمساعدة أسطول بيزاوي[١١] وهذا

(٥) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٢٣، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠: ٢٨٦. سميل: الحروب الصليبية: ١٦٧.
H. Fink; "Foundation" Setton "The Crusades", Vol, I. ٣٧٦.

(٣) ابن ميسر: المصدر ذاته: جـ٢: ٣٧، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ ١٠: ٢٨٦ (سبب الهزيمة هو مفاجأة الفرنية لجيش الأفضل).

(٤) ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٢٨٦، أورد (اثني عشر ألف دينار، وقيل عشرين ألف دينار)، ابن القلانسي: المذيل: ٢٢٣، ابن ميسر: المنتقى: جـ٢: ٦٧ (تراجع الفرنج عن عسقلان لوقوع الخلاف بينهم).

(٥) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١: ٣٨٦، ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٢٣:
Fucher; Ibid; ١٥٨.

(٦) Fucher; Ibid; ١٨٨.

(٧)H. Fink; "Foundation" Setton "The Crusades", Vol, I. ٣٨٤.

(٨) H. Fink; Ibid: Settom; Ibid, vol. I, ٣٧٥.

(٩) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٢٤-٢٢٥

(١٠)W. of Tyre; A Hist of Deeds; vol, I. ٤٠٨-٤٠٩.
رنسيمان: تاريخ: جـ١: ٤٣٥-٤٣٦.

(١١) ابن القلانسي: المذيل: ٢٣ Fulcher; Ibid; ١٢٥-١٢٦

ما جعل أهل أرسوف يرسلون في ٢٥ آذار إلى جود فري مفاتيح المدينة ويعرضون عليه دفع جزية سنوية فقبل جود فري إذ عانهم[١] وقد وقع جرد فري اتفاقيات مشابهة مع كل من عكا وعسقلان ودمشق وقيسارية وحلب، وكان ذلك في سنة ٤٩٣هـ/ ١١٠٠م[٢]، حيث أرسل أمراء هذه المدن هدايا إلى جود فري وعرضوا عليه تأدية إتاوه[٣] قدرها خمسة الآلف بيزنتاً (ديناراً) مقابل سماحه لهم بفلاحة أراضيهم في أمن وسلام[٤]. في إطار خطة جود فري في توسيع المملكة اللاتينية[٥] في الشمال أرسل قوة لمساندة تانكرد في السيطرة على الجليل حتى بانياس[٦] كما عمر يافا وسلمها إلى تانكرد[٧].

وفي أواخر عهده بالحكم اتبع سياسة تقوم على التعامل التجاري والاقتصادي بين مملكته والسكان المقيمين إلى الشرق من نهر الأردن، ومحاولة ربطها بمعاهدات اقتصادية يسمح لهم بموجبها بنقل بضائعهم إلى القدس ويافا، وكذلك يحق لتجار عسقلان بالقدوم إلى القدس، كما يحق لتجار القدس الذهاب إلى عسقلان، وأراد جود فري الخطوة جعل المسلمين المقيمين داخل مملكته من ناحية والمقيمين في شرق نهر الأردن معتمدين عليه في النواحي الاقتصادية والسياسية، وليس على مصر[٨]. وقتل جود فري خلال حصاره لعكا في سنة ٤٩٤هـ[٩] ١٨ تموز سنة ١١٠٠م إثر سهم إصابه[١٠].

---

(١) H. Fink; "Foundation" Setton "The Crusades", Vol, I. ٣٧٦. Conder; The Lat Kingdom; ٧٢-٧٣.

رنسيمان: تاريخ: جـ١: ٤٣٥.

(٢) Conder; Ibid; ٧٣

(٣) H. Fink; Ibid; Setton "Ibid; Vol. I.٣٧٦.

(٤) كل ما أخذ بكره أو قسم على موضع من الجباية، وغيرها إتاوة، ابن منظور: لسان العرب: جـ١٤: ١٧-١٨.

(٥) رنسيمان: المرجع ذاته: جـ١: ٤٣٦.

(٦) Conder; Ibid; ٧٣

(٧) ابن الأثير: المصدر ذاته: ٢٢٤، ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٣٢٤.

(٨) H. Fink; "Foundation" Setton "The Crusades", Vol, I. ٣٧٦.

(٩) ابن القلانسي: المذيل: ٢٢٤، ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٣٢٤.

(١٠) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٢٤.

W. of Tyre; A Hist of Deeds; vol, I. ٤١٤. H. Fink; Ibid; Setton; Ibid; vol. I ٣٧٩. Steneson; The Crusaders; ٤٢

٢- التوسع زمن الملك بلدوين الأول: (٤٩٣هـ/ ١١٠٠م-٥١٢هـ/ ١١١٨م)

بعد وفاة جود فري، قدم شقيقه بلدوين صاحب الرها إلى القدس فوصلها في سنة ٤٩٤هـ/ تشرين الثاني ١١٠٠م، وبعد ستة أيام من وصوله القدس، سار مع (١٥٠) فارساً وخمسمائة راجل إلى عسقلان، ثم اتجه شرقاً إلى منطقة البحر الميت لإخضاع البدو في تلك الناحية، وعاد إلى القدس في سنة ٤٩٤هـ/ ٢١ كانون الأول سنة ١١٠٠م، حيث تّوج ملكاً لبيت المقدس في كانون أول من السنة ذاتها[1].

اتبع بلدوين الأول ملك القدس نهج جود فري في توسيع حدود مملكة فاستولى، على حيفا عنوة وأرسوف بالأمان، وقيسارية بالسيف وضمّها لدولته وتم ذلك بمساعدة أسطول جنوي[2]. وذلك في ربيع سنة ١١٠١م، وكانت وفاة الخليفة الفاطمي المستعلي في

---

(١)ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٢٤-٢٢٥ "فلما قتل كند فري (جود فري) سار أخوه بغون (بلدوين) القمص صاحب الرها إلى بيت المقدس في خمسمائة فارس وراجل، صبحي عبد الحميد: معارك العرب الحاسمة: (١٦٥، منشورات مكتب المنار للتوزيع، ط١، ١٩٦٧، الكويت، علي عبد الحميد محمود: الغزو الصليبي والعالم الإسلامي ١٢٩، رنسيمان: تاريخ: جـ١، ٤٦،

Fulcher; Expedition; ١٣٧, ١٤٣-١٤٥, ١٤٨, W. of Tyre; Ibid, Setton; Ibis; vol, I ٤٢٥-٤٢٧, H. Fink; Ibid; Setton; Ibid. vol.I ; ٣٨١.

(٢) ابن القلانسي: المذيل: ٢٢٥، ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٣٢٥؛

W. of Tyre; A Hist of Deeds; vol, I. ٤٣٤-٤٣٥.

"تسلم بلدوين أرسوف في ٢٩ نيسان ١١٠١م، وحاصر قيسارية من الجمعة ٢-٧ أيار ١١٠١م.

(الحاشية). Fulcher; Expedition, ١٥٢-١٥٣.

ابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ١٣؛

H. Fink; "Foundation" Setton "The Crusades", Vol, I,٣٨٧.

Stovenson: The Crusaders; ٤٤

رنسيمان: تاريخ: جـ١: ١٢٠-١٢١، فايد عاشور: العلاقة بين البندقية والشرق الأدى الإسلامي في العصر الأيوبي: ٥٤، تقديم، جوزيف نسيم، دار المعارف، ١٩٨٠م.

علي عبد الحليم محمود: معارك العرب الحاسمة: ١٢٩.

Conder The Lat. Kingdom; ٨٣.

١٧ صفر ٤٩٥هـ/ ١١٠١م ومبايعة ابنه المنصور وقيام الأفضل بن أمير الجيوش بتدبير دولته[١]، بداية لمرحلة جديدة من تاريخ الصراع بين الفاطميين ومملكة بيت المقدس حيث قام الأفضل بإرسال عدة حملات عسكرية إلى عسقلان لمحاربة الصليبيين، وكانت الأولى منها بقيادة سعد الدولة[٢] المعروف بالطواشي[٣]. ووصلت عسقلان في أول رمضان، وأقام فيها إلى ذي الحجة سنة ٤٩٤هـ[٤]/ ١١٠١م ولعله أقام طوال هذه الفترة منتظراً وصول إمدادات جديدة أو بهدف استطلاع أخبار العدو واختيار الوقت المناسب لمباغتته وإما لأنه كان يخشى مواجهة الصليبيين، فخرج الطواشي من عسقلان متجهاً إلى منطقة الرملة بعد أن وصلته الإمدادات العسكرية، عندها قرر الصليبيون مهاجمة المسلمين[٥]. وكان عددهم مائتين وستين فارساً وتسعماية راجل[٦] والتقى الطرفان يوم ١٦ أيلول ١١٠١م فكسرت ميمنة المسلمين وميسرتهم وثبت سعد الدولة في القلب حتى استشهد،

---

(١) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠: ٣٢٨، ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٥٢٢٨، ابن ميسر: المتنقى: جـ٢: ٦٩-٧٠.

(٢) ابن الأثير: المصدر ذاته: ب. ١: ٣٦ (العواسي)، ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٢٧، ابن ميسر: المصدر ذاته: جـ٢: ٦٨ (القواسمي) Fulcher; Ibid; ١٥٨
رنسيمان: المرجع ذاته: جـ٢: ١٢٢.

(٣) الطوشي: في هذه الفترة كلمة تدل على العسكر الذي ينتمي إلى الطبقة الأعلى في العسكر النظامي، جب: دراسات في حضارة الإسلام: ١١٥ (حاشية ٣١).

(٤) ابن القلانسي: المذيل ٢٢٧ (كانت فترة الانتظار من / ١٧ حزيران ٢٥ آب ١١٠١م) (الحاشية) Fulcher; Expidition; ١٥٨
ابن الميسر: المنتقى: جـ٢: ٦٨.

(٥) ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٣٦٤ ك فايد عاشور: جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، العصر الفاطمي، والسلجوقي والزنكي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، وسيرد: جهاد المسلمين.

(٦) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٤٧:
Stevenson "The Crusaders"; ٤٤-٤٥; Fulcher; Ibid; ١٥٦.
رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ١٢٢، ابن ميسر: المنتقى: جـ٢: ٦٨ (عدد الصليبيين كان ١٠٠٠" فارس و ١٠.٠٠٠ راجل).

وعاد المسلمون لمهاجمة الصليبيين فهزموهم إلى يافا(١) وفي اليوم الثاني استدعى ملك القدس قوات من بيت المقدس للإنجاد فقدمت فرقة عسكرية اتجهت إلى يافا والتقت بمجموعة من المسلمين تقدر بخمسمائة عند ينبي (Ibelin) كانوا قد انطلقوا في أثر الصليبيين الفارين إلى يافا، فهاجمهم الصليبيون وأوقعوا بهم الهزيمة في سنة ٤٩٥هـ/ ٧ أيلول ١١٠١م. وأتجه الصليبيون إلى الملك في يافا(٢) بعد أن انهزم الفاطميون إلى عسقلان(٣) وعلى أثر ذلك جمع الأفضل العساكر وأرسلها إلى عسقلان بقيادة ابنه شرف المعالي فالتقت بعساكر(٤) حملة الطواشي، وسارت إلى الرملة فوصلتها في سنة ٤٩٦هـ/ ١٦ أيار ١١٠٢م، وكانوا زهاء عشرين ألف فارس وعشرة آلاف راجل(٥). وسار الجيش الفاطمي من الرملة إلى اللد ويازور(٦) لتهديد مدينة يافا وبيت المقدس، فخرج بلدوين الأول ملك القدس في ١٧ أيار من السنة ذاتها متوجهاً إلى الرملة(٧) بعد أن عاد إليها المصريون وكان في سبعمائة بين فارس وراجل، والتقى الطرفان فانهزم الملك بلدوين

---

(١) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٢٧، كان الصليبيين (١٠٠٠ فارس و ١٠.٠٠٠ راجل) (حوادث ٤٩٤هـ) فايد عاشور: المرجع ذاته: ١٣٠ أورد عاشور (هرب ملك القدس لأرسوف لكنه استجمع قواه وأعاد السيطرة على الرملة).

Conder; The. Kingdom; ٨٣-٨٤.

(٢) ابن القلانسي: المذيل: ٢٢٧؛ Fulcher; Excodition; ١٦٠-١٦١.

(٣) سعيد عاشور: "شخصية الدولة الفاطمية" المجلة التاريخية المصرية، المجلد الخامس عشر: ٢٨، وسترد: م. ت. المصرية، م١٥.

(٤) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٢٩ (حوادث سنة ٤٩٢هـ)، ابن ميسر المتنقى: جـ٢: ٧٤، ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٣٤٥ (حوادث سنة ٤٩٥هـ).

(٥) (الحاشية) Fulcher; Ibid; ١٦٣-١٦٤

رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ١٣٥ (٢٠ ألف من العرب والسودانيين)، فايد عاشور: جهاد المسلمين: ١٣٠.

(٦) بليدة بسواحل الرملة من أعمال فلسطين، ياقوت: معجم البلدان: جـ٤٢٥: ٥ (لم أجد غير ذلك).

(٧) ابن الأثير: الكامل: جـ١٠:٣٦٤ (حوادث سنة ٤٩٦هـ)، (كان عدد الصليبيين مائتي فارس، أما المصريون فبلغ جيشهم عشرين ألف فارس)، Fulcher; Expedition; ١٦٨

فايد عاشور: جهاد المسلمين. ١٣٠، رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ١٢٦.

والتجأ إلى الرملة، ثم هرب منها إلى يافا(١). وحمل بعض أصحابه إلى مصر مأسورين في آخر رجب ٤٩٦هـ/ ١١٠٢م(٢) بعد أن سقطت الرملة بأيدي المسلمين في السنة ذاتها ١٩ أيار ١١٠٢م، وتابعت القوات الفاطمية سيرها من الرملة إلى يافا في (٢٠ أيار (٣)) التي تركها الملك بلدوين والتجأ إلى أرسوف في السنة ذاتها ١٩ أيار ١١٠٢م في غفلة من الجيش الفاطمي المحاصر للمدينة(٤). ثم قدم هيو فولكنبرغ أمير الجليل بصحبة (٨٠) فارساً لبلدوين الأول إلى أرسوف لكن الملك بلدوين غادر أرسوف إلى يافا، وأرسل إلى الخليل والقدس يستدعي المقاتلة إلى يافا التي تعرضت لحصار من قبل الفاطميين، وتبعه هيو بفرسانه في ٢١ أسار من السنة ذاتها، وقدم من القدس تسعون فارساً، لكنهم تعرضوا لمهاجمة المسلمين قرب أرسوف فتركوا خيولهم ونجوا عن طريق البحر سباحة، حتى وصلوا إلى يافا، فجهز الملك بلدوين جيشه وسار بهم في سنة ٤٩٦هـ/ ٢٧ أيار ١١٠٢م على بعد ثلاثة أميال عن يافا(٥)، حيث حاصرتهم القوات الفاطمية، لكنهم استطاعوا النفاذ من الحصار وإيقاع الهزيمة في صفوف الفاطميين وتركوا خيامهم وانهزموا نحو عسقلان، وعاد الملك منتصراً إلى يافا(٦). في هذه الأثناء وصلت أعداد كبيرة من الحجاج قاصدين زيارة بين المقدس فاستعان بهم بلدوين في حصار عسقلان وبها شرف المعالي، ولما رأى الفرنج حصانة المدينة رحلوا عنها إلى يافا، وعاد شرف المعالي إلى أبيه الذي بادر

---

(١) ابن القلانسي: المذيل: ٢٢٩، ابن الأثير: المرجع ذاته: جـ١٠: ٣٦٤-٣٦٦.

Fulcher, Ibid. ١٦٤. Stevenson; The Crusafers; ٤٥.

رنسيمان: المرجع ذاته: جـ٢: ١٢٦ (كان عدد الصليبيين خمسمائة فارس).

(٢) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٢٩ (حوادث سنة ٤٩٥هـ) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠:٣٦٤ (حوادث سنة ٤٩٦ هـ) ابن ميسر: المنتقى: جـ٢: ٧٤ (سير إلى مصر تسعماية أسير).

(٣) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٢٩ Stevensons: Ibid;

(٤) ابن القلانسي: المصدر ذاته: جـ٢: ١٢٩. Fulchr; Ibid; ١٧٠

(٥) Fulchr; Expedition; ١٧-١٧٢.

رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ١٣٠

(٦) ابن القلانسي: المذيل: ٢٤٠. Fulchr; Ibid; ١٧٢-١٧٤

بإرسال حملتين أحداهما برّية بقيادة تاج العجم في أربع آلاف فارس نزل بهم على عسقلان وأخرى بحرية بقيادة القاضي ابن قادوس الذي نزل بأسطوله على يافا في آخر شوال ٤٩٦هـ/ ١١٠٣م فوقع الخلف بينهما حيث لم يستجيب تاج العجم لطلب ابن قادوس في التعاون معه على حصار يافا قائلاً: "ما يمكنني أن أنزل إليك إلا بأمر الأفضل، ولم يحضر عنده ولا أعانه فأرسل القادوسي إلى قاضي عسقلان وشهودها وأعيانها وأخذ خطوطهم بأنه أقام على يافا عشرين يوماً، واستدعى تاج المعجم، فلم يأته ولا أرسل رجلاً"[١]، وكان الأفضل قد كتب إلى دمشق حاثاً على المعونة والجهاد فأجيب إلى ذلك لكن ظروفاً معينة حالت دون إنفاذ المساعدة للفاطميين[٢] وربما كان خوف شمس الملوك دقاق من معاودة الصليبيين النزول على حمص ومحاصرتها هو أحد هذه الأسباب[٣].

تحول هدف الملك بلدوين الأول في سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠٢م إلى السيطرة على بقية مدن الساحل الفاطمية مثل عسقلان وعكا وصور وصيدا وبيروت[٤] ليؤمن المواصلات البحرية مع أوروبا[٥]. فشرع في حصار عكا في جمادي الآخرة من سنة ٤٩٥هـ/ ربيع ١١٠٣م، ولكن الصليبيين اضطروا لترك الحصار لشدة مقاومة المسلمين في عكا وإحراق[٦] منجنيقاتهم[٧] لكن الملك بلدوين عاود حصار عكا في سنة ٤٩٧هـ/ نيسان

---

(١) ابن الأثير: الكامل: جـ: ٣٦٥، ابن القلانسي: المصدر ذاته:٢١٣، سعيد – عاشور: "شخصية الدولة الفاطمية"، م.ت المصرية: م١٥،٢٨.

(٢) ابن القلانسي: المذيل: ٢٣١، ابن ميسر: المتنقى: جـ٢: ٧٤، (وكتب الأفضل إلى شمس الملوك دقاق، صاحب دمشق، يستنجده على الفرنج فاعتذر عن ذلك ولم يحضر).

(٣) ابن القلانسي: المصدر ذاته::٢٣٠.

(٤) ابن الأثير: الكامل: جـ٣٤٥: ١٠، فايد عاشور: جهاد المسلمين: ١٣٢.

(٥) حتي: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، جـ٢: ٢٣.

(٦) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠: ٣٤٥ (حوداث سنة ٤٩٥هـ)، (دامت فترة الحصار الصليبي لعكا من ٦ نيسان – ١٦ أيار لسنة ١١٠٠م). Fulcher; Expection; ١٧٤-١٧٥. رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ١٤٢.

(٧) منجنيق: آلة لرمي الحجارة. أحمد الخفاجي المصري، شفاء الغليل: ٢٤٠.

١١٠٤م بمساعدة الأسطل الجنوي المكون من سبعين سفينة[١] لمدة عشرين يوماً حتى استسلمت للملك سنة ٤٩٧هـ/ ٢٦ أيار ١١٠٤م[٢]. وكان الوالي بها الأمير زهير الدولة بن الجيوشي[٣]، وقد شعر بعجزه عن حفظ البلد، فتركها لتسقط في يد الصليبيين بعد مسيره إلى دمشق[٤] ولفقده الأمل بوصول الإمدادات من قبل الفاطميين إلى عكا[٥].

وبسقوط مدينة عكا حرم الفاطميون من أهم قواعدهم البحرية على ساحل الشام، كما حرص الأفضل على إرسال حملة جديدو في ذي الحجة سنة ٤٩٨هـ/ ١١٥ قوامها خمسة آلاف فارس وراجل[٦] بقيادة ولده سناء الملك حسين في جماعة من الأمراء منهم جمال الملك، نائب الفاطميين على عسقلان، وأدرك الأفضل أهمية تحالف القوى الإسلامية فأرسل إليهم أصبهبذ صباوة ومعه ألف وثلاثمائة فارس"[٧] وكان ظهير الدين قد حاول الاعتذار عن المساعدة في البداية لكنه رأى أن من مصلحته دعم الفاطميين الشيعة ضد الصليبيين لانضمام أرتاش بن تاج الدولة تتش، وايتكين الحلبي ببصرى إلى

---

(١) ابن القلانسي: المذيل: ٢٣٢ "في نيف وتسعين مركباً، رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ١٤٣، (٤٠ قطعة من الأسطول الجنوي) Stevenson; The Crusaders; ٥٥

(٢) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٣٢. Fulchr; Expediton; ١٧٦

ابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ١٥، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب: جـ٣: ٣٠٤،

حافظ حمدي: المشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي: ١١٩، أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي: جـ٥: ٤٤٩، رنسيمان: المرجع ذاته: جـ٢: ١٤٣.

(٣) لم أجد تعريفاً أكثر مما ورد.

(٤) ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٣٧٣، ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٣٢، ابن ميسر: المنتقى: جـ٢: ٧٥.

(٥) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٣٢، فايد عاشور: جهاد المسلمين: ١٣٣.

(٦) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠: ٣٩٤، ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٤٠ خرج من مصر عسكر كثيف يزيد على عشرة ألاف فارس وراجل".الحاشية. Fulcher: Ibid; ١٨٣

سعيد عاشور: "شخصية الدولة الفاطمية".م.ت. المصرية، م١٥: ٢٩.

(٧) ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٣٩٤ (كان فرسان دمشق أكثر من ألف)،

Fulcher; Expedition, ١٨٣; H. Fink; "Foundation". Setton "Crusades", Vol. I. ٣٨٦

رنسيمان: تاريخ جـ٢، ١٤٥.

جانب الصليبيين مما جعله يرسل هذه المجموعة من الفرسان[١]، التى وصلت إلى مشارف عسقلان في ١٤ ذي الحجة سنة ٤٩٨هـ/ ١١٠٥م[٢] فتجمع الفرنج بقيادة الملك بلدوين الأول في ألف وثلاثمائة فارس وعشرة آلاف راجل وساروا إلى عسقلان، فالتقى الفريقان بين يافا وعسقلان في رابع عشر ذي الحجة من سنة ٤٩٨هـ[٣]/ ٢٧ آب ١١٠٥م[٤]. وكان مع الفرنج أرتاش بن تتش في جماعة من المسلمين من أتباعه، ولما انتهى القتال تراجع المسلمون إلى عسقلان بعد أن قتل من المسلمين ألفاً ومائتين، منهم جمال الملك أمير عسقلان عاد صباوة إلى دمشق[٥] وسار عسكر دمشق إلى بصرى التي غادرها كل من أرتاش وأيتكين الحلبي متجهين إلى ناحية الرحبة[٦].

وكان من نتيجة هذه الحملة أن يئس الفاطميون من حرب الصليبيين، حيث تضاءلت جهودهم العسكرية الموجهة ضد الصليبيين وتحولت إلى غارات ثانوية من قبل حامية عسقلان[٧]، ومن هذه الغارات هجوم القوات الفاطمية سنة ٥٥٠هـ/ ١١٠٦م على قافلة حجاج صليبية بين يافا وأرسوف كما هاجموا في سنة ٥٠١هـ/ ١١٠٧م مدينة الخليل. وفي سنة ٥٠٤هـ/ ١١١٠م تقدم الفاطميون في هجماتهم السريعة حتى وصلوا إلى أسوار مدينة بيت المقدس[٨] كما وقعت محاولة أخرى لجيش الفاطميين وصلوا فيها أسوار القدس

---

(١) ابن القلانسي: المذيل: ٢٤٠، (الحاشية). Fulcher; Ibid. ١٨٣

(٢) ابن الميسر: المنتقى: جـ٢: ٧٥

(٣) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٤٠، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠: ٣٩٥. رنيسمان: المرجع ذاته: جـ٢: ٤٥.

(٤) (الحاشية) Fulcher; Ibid; ١٨٢

H. Fink Ibid; Setton; Ibid; Vol/I. ٣٦٦.

(٥) ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٣٩٥؛ ابن القلانسي: المذيل: ٢٤٠، ابن ميسر: المنتقي: جـ٢: ٧٥ (وعاد عسكر دمشق إلى بصرى) رنسيمان: تاريخ: جـ١٤٥: ٢.

(٦) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٤٠-٢٤١.

(٧) ر.س. سميل: الحروب الصليبية: ٨١.

(٨) رنسيمان: المرجع ذاته: جـ٢: ١٤٧-١٤٨، فايد عاشور: (شخصية الدولة الفاطمية): م.ت. المصرية: م١٥: ٣١.

وذلك في سنة ٥٠٧هـ/ ١١٣م. إضافة للمحاولة الفاشلة التي قامت بها حامية عسقلان بالاعتداء على يافا في سنة ٥٠٩هـ/ ١١١٥م[١]. وبعد أن صد بلدوين الأول بنجاح الحملات المصرية التي هددت مملكة بيت المقدس أكثر من مرة، واصل سياسته في إخضاع مدن الساحل الفاطمية، فوجه أنظاره نحو صيدا وهاجمها في سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م، لكن حاكمها أسرع بإرسال ألفي دينار إلى الملك بلدوين من أجل مساهمته، فأجل احتلالها[٢] ونزل إلى جانب ثغر صور وعمر بقربها حصناً على تل المعشوقة ومكث فيه شهراً كاملاً حتى أرسل إليه واليها[٣] سبعة آلاف دينار فأخذها ورحل عن صور وذلك في سنة ٥٠١هـ/ ١١٠٧م[٤] لكن أطماعه امتدت إلى رغبته في الاستيلاء على طرابلس مستفيداً من وصول سفن من بيزا وجنوا والبندقية حيث عمل على استغلال هذه القوة في حصار صيدا، لكن وصول الأسطول الفاطمي فجأة، وانتصاره على الأساطيل الفرنجة، إضافة لقدوم نجدة من دمشق أدت إلى صعوبة تحقيق بلدوين لهدفه فتحول الصليبيون من صيدا إلى طرابلس[٥] التي حاصروها وقاتلوها بمساندة تلك الأساطيل حتى سقطت بأيديهم في يوم الاثنين ١١ ذي الحجة سنة ٥٠٣هـ/ [٦] ١٢ تموز وسار

---

(١) سعيد عاشور: المقالة ذاتها، المجلة ذاتها، م ١٥:٣٥.
(٢) ابن القلانسي: المذيل: ٢٦٩، فايد عاشور: جهاد المسلمين: ١٣٥.
(٣) سعد الملك والي صور من قبل الوزير الفاطمي الأفضل. ابن ميسر: المنتقى: جـ٢: ٢٧.
(٤) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٥٥، ابن ميسر: المصدر ذاته: جـ٢: ٧٨.
(٥) ابن القلانسي: المصدر ذاته، ٢٦٠، فايد عاشور: المرجع ذاته: ١٣٥.
(٦) ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٤٧٦، ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٦٢، (حوادث سنة ٥٠٢ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب: جـ٤: ٥٦)

Prawer; The Lat Kingdom; ٤١; Fulcher; Expedition; July ٢٦

حافظ حمدي: المشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي: ١١٩.

Fink: Foundation"; Setton; The Crusades; vol. I. ٢٩٨.

فايد عاشور: العلاقات بين البندقية والشرق الأدنى: ١٠٤،

Conder, The Lat Kingdom;٨٦. (July ٢١)

(وفتح الفرنج طرابلس ثاني ذي الحجة): Al_Azimi; Journal Asiatique, ٣٧٩

تنكريد صاحب أنطاكية إلى بانياس فملكها بالأمان في شوال، ثم قاتل جبيل حتى ملكها في ٢٢ ذي الحجة من السنة ذاتها[١]. وقام الصليبيون بمحاصرة بيروت وصادف ذلك وصول تسعة عشر مركباً حربياً من مصر فانتصرت على مراكب الفرنج وملكوا بعضها فقويت بها نفوس الرعية فأنفذ الملك بلدوين إلى السويدية يستنجد بالأساطيل الجنوية، فوصل بيروت أربعين مركباً مشحونة بالمقاتلة فهاجموا المدينة من البر والبحر حتى سقطت بأيديهن عنوة في يوم الجمعة ٢١ شوال سنة ٥٠٤هـ[٢]/ ١٣ أيار ١١١٠م[٣] ثم عاد بلدوين ثانية إلى صيدا في ربيع الآخر سنة ٥٠٤هـ/ ١١١٠م[٤] وحاصرها فاستمهله أهلها، فأجابهم (بعد أن قرر عليهم ستة آلاف دينار ورحل عنها لبيت المقدس)[٥].

ووصول أسطول حجاج البندقية الى الساحل اجتمع بهم بلدوين الأول وأرسل بهم إلى صيدا فوصلوها في ثالث ربيع الآخر وحاصروها براً وبحراً، وكان الأسطول المصري في ميناء صور، فضعفت نفوس أهلها وطلبوا من الملك بلدوين الأمان، فأمنهم على أنفسهم وأموالهم وخيرهم بين الإقامة والمسير إلى دمشق، وذلك في سنة ٥٠٤هـ/ ٤ كانون ثاني ١١١٠م[٦] ورحل بلدوين بعد أن دخل صيدا، إلى القدس ثم رجع إليها ثانية

(١) ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٤٧٦، ابن القلانسي: المذيل: ٢٦٢؛

Stevenson; The Crusades; ٣٧.

(٢) ابن القلانسي: المصدر ذاته، ٢٦٨-٢٦٩.

Fulcher; Expedition; ١٩٧; Fing "Foundation"; Setton; "The Crusades" Vil. I.٣٨٦-٣٩٩.

(٣) ابن القلانسي: المصدر ذاته، ٢٦٩.

(٤) (كان ذلك في نيسان)، Cander; The Lat. Kingdom; ٩٠

(٥) ابن القلانسي: المصدر ذاته، ٢٦٩.

(٦) ابن القلانسي: المذيل: ٢٧٤ (سنة ٥.٣هـ).

Al_Azimi; Journal Asiatique, ٣٨٠

ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب: ٧، حتي: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين: جـ٢: ٢٣، رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ١٥١.

فقرر على مسلميها عشرين ألف دينار[١]، وفي سنة ٥٠٥هـ/ ١١١١م جمادى الأولى إلا أن مقاومة أهل صور ومساعدة ظهير الدين ظغتكين صاحب دمشق لهم قد جعلا هجومه بلا جدوى فرحل عنها نحو عكا في العاشر من شوال من السنة ذاتها بعد حصار دام أربعة شهور ونصف[٢].

وبعد أن أخضع بلدوين الأول مدن الساحل الفاطمية من غزة جنوباً إلى بيروت شمالاً باستثناء مدن صور وعسقلان، كثف جهوده للتوسع في شمال المملكة بالغزو حيناً وعن طريق المعاهدات حيناً آخر، فقد شيد حصن علعال[٣]. في سنة ٤٩٩هـ/ ١١٠٥م من أجل التوسع في الجولان شرق بحيرة طبرية[٤] بين السواد والبثنية[٥]، فباشرهم ظهير الدين ظغتكين على حين غرة فأوقع بهم القتال والأسر وملك الحصن وعاد إلى دمشق في ١٥ربيع الآخر سنة ٤٩٩هـ/ ١١٠٦م[٦].

وعندما تمكن ظهير الدين من هزيمة ابن أخت ملك القدس عند طبرية قرر الملك بلدوين أن يؤجل غاراته طالما أمكنه تحقيق نفس النتائج بدون قتال إذ اتفق مع ظهير الدين

---

(١) ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٤٧٩-٤٨٠، ابن القلانسي، المصدر ذاته: ٢٧٣-٧٤؛

Conder; The Lat. Kingdom; ٩٠

المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ٣١٦٥، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة، دار الفكر العربي: ٣٦هـ/ ١٩٤٨م، مطبعة لجنة التأليف والترجمة

النشر، وسيرد: اتعظ الحنفا Fink; "Foundation"; Setton; The Cusaes; Vol. ٣٨٦.

(٢) ابن القلانسي: المصدر ذاته، ٢٨٤-٢٨٨، ابن الأثير، المصدر ذاته: ٤٨٨-٤٩٠.

(٣) يعرف هذا الموقع الآن باسم "العال" وهو واقع في محافظة القنيطرة، منطقة فيق، ويبعد عن فيق ٧ كم، انظر: التقسيمات الإدارية في الجمهورية العربية السورية: ٤٠، طبعة دمشق ١٩٦٨، ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٤١ (الحاشية).

(٤) ذكر (أن بناء هذا الحصن جزء من سياسة بلدوين في التوسع؛

Conder; The Lat. Kingdom; ٨٩.

(٥) أما البثنية اليوم فتدل على السفح الشمالي الغربي، لجبل الدروز والسهل المنبسط، ناحية الشمال، دائرة المعارف الإسلامية: جـ٣: ٣٤٤.

(٦) ابن القلانسي: المذيل: ٢٤١.

في سنة ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م على وضع القتال لمدة أربع سنين[1] كما اتفقا على تقسيم السواد وجبل عوف أثلاثاً ثلث للملك بلدوين، والباقي لدمشق والفلاحين[2]، وقد شجعت هذه السياسة بلدوين الأول على نقض الهدنة التي عقدها مع حكام دمشق من أجل المطالبة بالمزيد، وتمثل ذلك في الإتفاق على رفنية سنة ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م[3] كما أنه أكد على حقه في صفر من سنة ٥٠٣هـ/ ١١٥٩م[4]. وتم ذلك كله دون الحاجة إلى المغامرة بعمليات عسكرية واسعة، ولكن هذا الوضع لم يستمر طويلاً حيث بادر الملك بلدوين بالإغارة على بلد دمشق "ونهبه وخرجه أواخر سنة ست وخمسمائة"، مما جعل صاحبها ظهير الدين يستنجد بالأمير مودود صاحب الموصل[5] الذي سار بجيشه إلى دمشق حيث اجتمع طغتكين والتقوا بجيش بلدوين عند الأقحوانة غربي جسر الصنبرة فانهزم الجيش الصليبي إلى طربية (وألفت الملك بعدما قبض عليه وأخذ سلاحه وكان ذلك في يوم السبت ١١ محرم سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م)[6] وتعتبر هذه المعركة من أهم المعارك في تاريخ مملكة بيت المقدس إذ شارك فيها جيش بيت المقدس بكل ثقله، ويدل على ذلك رواية ابن الأثير (فسار المسلمون إلى بيسان ونهبوا بلاد الفرنج بين عكا إلى القدس، وخربوها)، وكان بعد هزيمة جيش المملكة والتقائه بجيش روجر صاحب انطاكية وبونز صاحب

---

(١) ابن الأثير: الكامل: ب. ١: ٤٦٧، نيسيمان: تاريخ: جـ٢: ١٥٧. (أورد أن مدة الهدنة عشر سنوات).

(٢) ابن القلانسي: المصدر ذاته، ٢٦٤، رنسيمان: المرجع ذاته: جـ٢: ١٥٧.

Prawer ; The Lat Kingdom ; ١٧.

Conder ; Ibid ; ٨٩، (أعطي بلدوين نصف عائدات هذه المنطقة).

(٣) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٦٤، سبط ابن الجوزي: مرأة الزمان: جـ٨: ق١: ٣٠ – ٣١ (سيرد هذا الاتفاق مفصلا في الفصل الثالث).

(٤) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٧٣.

(٥) ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٤٩٥.

(٦) ابن القلانسي: المذيل: ٢٩٤– ٢٩٥، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠: ٤٩٥– ٤٩٦.

H. Fink " Foundation" ; The Crusades. Vol. I. ٤٠٣.

طرابلس[(١)] وتانكريد[(٢)] لكن هذا النصر لم يكن حاسماً حيث عاد كل من ظهير الدين ومودود إلى دمشق لإجراء الاستعدادات لقتال الصليبيين في الربيع المقبل.

وفي إطار سياسته الدفاعية قام الملك بلدوين الأول ببناء مجموعة من الحصون والقلاع للدفاع عن أطراف المملكة وأهم هذه الحصون، حصن علعال وقلعة الشوبك، وقلعة العقبة[(٣)].

وبعد أن سيطر بلدوين الأول على سائر أرجاء المملكة وجه أنظاره من جديد على ما تبقى من مدن الساحل وهما صور عسقلان، ونظراً لأهمية ميناء صور وحصانتها وقع عليها الخيار. فالمعروف أن صيدا تتحكم في منافذها من الشمال، بينما تسيطر قلعة تبنين على مسالكها من الشرق، فأتم بلدوين الأول تطويق مدينة صور ببناء قلعة بالقرب منها وهي قلعة سكاندليون. وتبعد عن المدينة خمسة أميال، وأنزل فيها حامية، لتقييد حرية السكان في صور والتحكم في المدينة[(٤)] بقطع الإمدادات وحركة التجارة التي تربطها بدمشق مما كان له أثر سلبي على المدينة من ناحية، وعلى تجارة دمشق من ناحية أخرى.

واعتبر عصر بلدوين الأول بداية عصر التوسع في تاريخ المملكة اللاتينية[(٥)] حيث امتدت هذه المملكة في عهده امتداداً كبيراً حتى أنها شملت المناطق الممتدة من بيروت

---

(١) ان الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠ : ٤٩٦ ك

H. Pink ; " Ibid ; Setton ; Ibid ; Vol. I. ٤٠٢.

(٢) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٩٦.

(٣) ابن القلانسي: المذيل: ٢٤١، ٢٥ ; Fulcher ; Expedition

رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ١٦٠، حسين مؤنس: نور الدين محمود (سيرة مجاهد صادق: ١٣١: ط٢، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م، الدار السعودية للنشر والتوزيع، وسيرد: نور الدين،

H.Fink; " Foundation " ; Setton ; The Crusades ; Vol. I; ٤٠٦. Coner ; The Lat. Kingdom ; ٨٩

(٤) يحلل فولشر هذا الاسم بمعنى حقل الأسد: "Field of lion" Fulvcher; Ibid; ٢٢٠

ولم يذكر وليم الصوري في كتابه الأعمال بأنها سميت بالاسكندر الكبير فدعيت "Scandar" رنيسمان: المرجع ذاته: جـ٢: ١٦١.

(٥) La Monte; Feudal Monarchy of the Kingdom of ٦. Jerusalem.

شمالاً إلى البحر الأحمر جنوباً، فشملت بذلك كل فلسطين، ما عدا صور وعسقلان اللتين كانتا خارج حوزته[1] وامتدت في الجنوب الغربي إلى العريش على الحدود المصرية[2]، ووصلت حدود مملكته شرقاً إلى نهر الأردن، فضالاً عن المعاقل، الواقعة في أقصى الجنوب الشرقي التي تتحكم في الطريق بين دمشق و الحجاز[3]، ويعد تحصين المملكة وتقويتها وجه أطماعه إلى مصر فجهز حملة عسكرية[4] سار بها جنوباً فاجتاز العريش حتى وصل إلى الفرما[5] بجانب تنيس حيث أصيب بالحمى فعاد إلى العريش وتوفي بها[6] سنة ٥١١هـ/ ٢ نيسان ١١١٨[7].

(١) ١١٠٠ to ١٢٩١: the Madaival Academy of America, Cambridge, Massachusetts. ١٩٣٢. Karaus Reprint CVo. New York. ١٩٧٠. La Mante: Feudal Manarchy

وسيرد: Philip, Hitti, The Nast in History; ٣١٢

حسين مؤنس: نور الدين: ١١٠-١١١ (من جبيل شمالاً)، حتى تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين: جـ٢: ٢٣١.

(٢) ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٦٦٤.

زكي النفاش: العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والفرنج خلال الحروب الصليبية: ٢٦، بيروت، دار الكتاب اللبناني: ١٩٥٨م.

(٣) رنيسمان: تاريخ: جـ٢: ٦١، حتي: المرجع ذاته: جـ٢: ٢٣١.

(٤) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠: ٥٤٣، رنسيمان: المرجع ذاته: جـ٢: ١٦٣ (تكونت من مائتين وستة عشر فارساً وأربعمائة راجل).

(٥) جزيرة في بحر مصر قريبة من البرما بين الفرما ودمياط، ياقوت: معجم البلدان: جـ٢: ٥١.

(٦) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠: ٥٤٣.

Conder; The Lat Kingdom; ٩١; Fulzher; Ibid; ٢٢٢, W of Tyre; A hist. Of Deeds; vol. ١.٥١-٥١٦.

(٧) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠: ٤٥٣، رنسيمان: المرجع ذاته: ١٧٢، سهيل وكار: الحروب الصليبية: جـ٢: ٤٧٧.

٣- التوسع في عهد الملك بلدوين الثاني (٥١١هـ/ ١١١٨م - ٥٢٦هـ/ ١١٣م)

بعد وفاة الملك بلدوين الأول تم اختيار بلدوين لي بور (ابن عم بلدوين الأول وجود فري) ملكاً على بيت المقدس في ٥١١هـ/ ١٤ نيسان سنة ١١١٨م[١] ودعي باسم بلدوين الثاني[٢] فمنح جوسلين كورتنيناي إقطاع الرها الذي أصبح كونتاً لها[٣].

شهدت مملكة بيت المقدس في بداية عهد بلدوين الثاني تطورات عسكرية هامة فما أن حلّ صيف ٥١٢هـ/ ١١١٩م حتى انعقد التحالف بين الأفضل وزير مصر وظهير الدين صاحب دمشق ضد مملكة بيت المقدس ليردا على الغارة التي قام بها سلفه بلدوين الأول على مصر، وهذا ما جعل بلدوين الثاني يستدعي جيوش انطاكية، وطرابلس خاصة لما علم بتوجه ظهير الدين بجيشه عبر الأردن إلى عسقلان حيث يتواجد جيش مصري كثيف[٤]، إذ توفى طغتكين قيادة الجيش بناءً على رغبة الأفضل[٥] ورابط خارج أسدود[٦] وقدم قبالتهم بلدوين الثاني، وانتظر الطرفان ثلاثة شهوراً[٧] وعاد كل منهم إلى

---

(١) Fulcher; Expedition; ٢٢٥; W. of Tyre: A hist. of Deeds; vol. I; ٥٢٢.

رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ٢٣٠-٢٣١.

H. Fink; "Foundation"; Setton; The Crusades; Vol. I; ٤٠٧.

(٢) Fulcher; Ibid; ٢٢٥

(٣) Fink; Ibid; Setton; Ibid; vol. I. ٤٠٧. رنيسمان: المرجع ذاته: جـ٢: ٢٤٢.

(٤) (خمسة عشر ألف فارس وعشرين ألف راجل) Fulcher; Ibid; ٢٢٦

ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٥٤٣. كانت شروط طغتكين لمهادنة الفرنج "ترك المناصفة التي بينهم من حبل عوف، والحنانة والصلت، والغور، فلم يجب إلى ذلك، وأظهر القوة، فسار طغتكين إلى طبرية فنهبها وما حولها، وسار منها نحو عسقلان"

Nicholson; "Growth; Setton; Ibid; vol. I. ٤١٢"

(٥) ابن الأثير: ذاته: جـ١٠: ٤٥٣. Nicholson; Ibid; Setton; Ibid; Vol. I. ٤١٢.

(٦) ميناء يقع إلى الشمال من المجدل يتبع غزة، محمد أحمد اليعقوب: ناحية القدس الشريف: ٢١٧.

(٧) Fulcher; Ibid; ٢٢٦.

بلاده[١] وأرسل طغتكين ابنه بوري إلى حصن الحبيس[٢] إثر سماعه عن سقوطه بيد الصليبيين ثم تبعه فقاتلا الفرنج لكنهما هزما فعادا إلى دمشق[٣].

عمل بلدوين الثاني على حماية أراضي مملكة بيت المقدس فقد أغار الملك بلدوين على قبيلة ربيعة العربية في منطقة نهر اليرموك وأجبرها على دفع تعويض عما سلبته من بعض أمراء الفرنج وكان ذلك في سنة ٥١٢هـ/ ربيع ١١١٩م[٤]. كما أغار في سنة ٥١٥هـ/ ٥ تموز ١١٢١م على المناطق الواقعة شرق الأردن فسيطر على حصن جرش وأخربه[٥] وذلك لقلة أعداد المشاة في جيشه[٦] ثم سار إلى الجولان فنهبها[٧].

اعتقل الملك بلدوين الثاني في سنة ٥١٧هـ/ نيسان ١١٢٣م[٨] في موضع يبعد كثيراً عن كركر الواقعة على نهر الفرات[٩]. فانعقد مجلس المملكة في عكا حيث وقع الاختيار على يوستاس جارنيه، سيد قيسارية والجليل لوظيفة كند سبطل[١٠] المملكة، ونائباً عن الملك[١١] وهنا اشتغل الفاطميون فرصة اعتقال ملك القدس، وطلب صاحب دمشق

---

(١) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١: ٥٤٣، رنسيمان: المرجع ذاته: جـ٢: ٢٣٣.

(٢) حبيس جلدك: قلعة بالسواد (من حوض اليرموك الجنوبي) من أعمال دمشق. ياقوت: معجم البلدان: جـ٢: ٢١٦.

(٣) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠: ٥٤٣-٥٤٤.

(٤) رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ٢٣٤.

(٥) Fulcher; Expedtition, ٢٣٤ رنسيمان: المرجع ذاتخ: جـ٢: ٢٥٢.

(٦) (ذكر أن سقوط حصن برش في يد الصليبيين كان في سنة ١١١٩م)

J. Prawrt; The Lat. Kingdom; ٢٨٢.

(٧) رنسيمان: المرجع ذاته: جـ٢: ٢٥٢.

(٨) ابن القلانسي: المذيل: ٣٢٢. fulcher; Ibid; رنسيمان: المرجع ذاته: جـ٢: ٢٥٨.

(٩) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٣٢. رنسيمان: المرجع ذاته: ٢٥٨.

(١٠) وظيفة إدارية هامة عرفت في مملكة بيت المقدس تلي وظيفة الصنجيل أعلى وظائف الدولة وكان صاحبها يلي الملك في قيادة الجيش: رنسيمان: المرجع ذاته: جـ٢: ٤٨٦-٤٨٧

(١١)Fulchr; Ibid. ٢٤٠

مساعدته ضد الفرنج[١]، حيث تقدم جيش مصري كثيف من عسقلان إلى يافا في أيار من السنة ذاتها وأقام عليها ستة أيام لكنه تراجع عنها بعد أن خذله أمراء المسلمين بالشام، والتقى بجيش الصليبيين بقيادة جارنييه عند يبنى في ٢ ربيع الآخر سنة ٥١٧هـ/ ٢٩ أيار ١١٢٣م الذي أحرز انتصاراً على الفاطميين[٢].

وحاول بلدوين الفرار من سجنه في سنة ٥١٧هـ/ آب ١١٢٣م[٣] لكن بلك ابن أرتق أعاد اعتقاله في ١٦ أيلول من السنة ذاتها[٤].

كان الملك بلدوين الثاني قد كتب إلى جمهورية البندقية يلتمس منها المساعدة وذلك في أعقاب معركة ساحة الدم سنة ٥١٣هـ/ ١١١٩م[٥]، لكن الأسطول الجنوي قد تأخر حتى أنه وصل عكا في آخر شهر أيار سنة ١١٢٣م أي بعد وقوع الملك بلدوين الثاني في الأسر ولما تم إبرام معاهدة بين الطرفين[٦] شرعوا في حصار صور في ٢ ربيع الأول سنة ٥١٨هـ[٧]/ ١٦ شباط ١١٢٤م ولما بدأ الصليبيون في منازلة صور أرسل واليها المصري بخبر الخليفة الفاطمي بعدم قدرته على مواجهة الصليبيين لقلة الجند والميرة، مما دعا الخليفة الفاطمي لأن يرسل إلى طغتكين صاحب دمشق برد صور إليه[٨]، فبادر طغتكين

---

(١)ابن ميسر: المصدر ذاته: جـ٢: ٩٥ رنسيمان: المرجع ذاته: جـ٢: ٢٦٤. Fulcher; Ibid; ٢٨

(٢) الحاشية، Fulcher; Expedtition ٢٤٦ ابن القلانسي: المذيل: ٣٣٣.

(٣) الحاشية Fulcher; Ibid; ٢٥٤ ابن قلانسي: المصدر ذاته: ٣٣٤- ٣٣٥، ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٦١٣.

(٤) رنسيمان: المرجع ذاته: ب ٢: ٢٦٥، ٢٦٦. (بدأ الحصار في ١٥ شباط ١٢٢٤م)، ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٣٣٥.

(٥) وقعت بين نجم الدين إيلغازي صاحب حلب وظهير الدين أتابك دمشق من جانب وروجر صاحب انطاكية ومعه جيوش من سائر الإمارات الصليبية، بما فيهم من الأرمن في مكان يعرف بسرمدا: ابن القلانسي: المذيل: ٣١٩.

(٦) (أي بين الجنوية ومملكة بيت المقدس في غياب الملك بلدوين الثاني)

Fulcher; Ebid; ٢٥٦; (Februasry; ١٦. ١١٢٤)

(٧)W of Tyre; a Hist. of Deeds; Vol. ٢; ٧١

(٨) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٣٣٦-٣٣٧، ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٦٢١.

بإرسال سبعمائة فارس من الترك ومقادير وافرة من المؤن لمواجه الحصار(١). كما سار بجشيه إلى بانياس لتخفيف الضغط على صور منتظراً وصول أسطول مصري خلال ثلاثة أيام لمهاجمة الصليبيين براً وبحراً(٢). وفي هذه الأثناء قام جيش مصري بالتوجه إلى بيت المقدس حتى بلغ المدينة بقصد مهاجمتها(٣). كما أغارت مجموعة مسلحة من المصريين على قرية البيرة(٤) وأحرقوها(٥). ولما لم يستجب الصليبيون لهذه الغارات، مع تشديد حصارهم على مدينة صور، سئم من بها القتال خاصة بعد علمهم بعدم استجابة مصر لاستغاثتهم، فوقع الاتفاق بين طغتكين والفرنج(٦) على تسليم مدينة صور لهم وتم ذلك في ٢٣ جمادى الأولى سنة ٥١٨هـ/ ٧ حزيران ١١٢٤م(٧).

أطلق سراح بلدوين الثاني ملك القدس في ١٧ رجب سنة ٥١٨هـ/ ٢٩ آب ١١٢٤م. مقابل فدية كبيرة وتحرير أسرى مسلمين فسار إلى أنطاكية(٨) وغادرها متوجهاً

---

(١) W of Tyre; A Hist. of Deeds; Vol. ٢; ١١ رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ٢٧٠.

(٢) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٣٣٧، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ: ٦٢١.

(٣) Fulcher; Exprdition; ٢٥٦

(٤) W of Tyre; Vol. ٢; ١٢-١٤

رنسيمان: المرجع ذاته: جـ٢: ٢٧١. البيرة: بين بيت المقدس ونابلس. ياقوت معجم البلدان: جـ١: ٥٢٦.

(٥) Fulcher; Ibid; ٢٦٥.

(٦) تولى القيادة العليا للجيش البطريرك جورمون، وكان كند سبطل المملكة هو وليم بور. أنظر، رنسيمان: المرجع ذاته: جـ٢: ٢٧٠-٢٧١.

W of Tyre; Ibid; Vol. ٢:١٩

(٧) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٣٣٧، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠: ٦٢٢-٦٦٣.

W of Tyre; Ibid; Vol. ٢:١٩; Fulcher; Ibid; ٢٦٦

ابن ميسر: المنتقى: جـ٢: ٩٧. رنسيمان: المرجع ذاته: جـ٢: ٢٧٢.

Conder; the Latin Kingdom; ٩٤.

(٨)ابن العديم: زبدة الحلب: جـ٢: ٢٢٢.

Fulcher; Expedtition; ٢٧٢. (August ٣٠); W. of Tyre; A Hist. of deeds' Conder; The Ka Kingdom; ٩٤. ;

إلى القدس في سنة ٥١٩هـ/ الخامس من نيسان سنة ١١٢٥م[١]، وكان لأسر بلدوين الثاني بيد المسلمين أثر سيء على علاقاته السياسية مع القوى الإسلامية المجاورة، خاصة دمشق، ثم عسقلان التي تجرأت على مهاجمة بيت المقدس نفسها، إضافة لرغبته في تأكيد سطوة وهيمنة بيت المقدس على كافة القرى المجاورة المعادية له ولأجل ذلك فقد عمل على إقامة حصن أسماه "Mons Clavianus" وعرف بدير القلعة قرب مدينة بيروت لغرض تحميل الضرائب من السكان المحليين وكان ذلك في سنة ٥١٩هـ/ تشرين الأول سنة ١١٢٥م[٢]. وقد أغار على بعض أعمال دمشق المجاورة فدمرها وأخذ بعض الأسرى[٣].

واصل بلدوين الثاني توجيه ضرباته ضد أمارة دمشق في مناطق مختلفة خاصة بعد أن قدم بوهيمند الثاني الذي أصبح كونتا لانطاكية في سنة ٥٢٠هـ/ في مطلع شهر تشرين الأول لعام ١١٢٦م حيث أراح عن نفسه عبء تلك الإمارة[٤] فقد أغار على أعمال دمشق في سنة ٥١٩هـ/ في سنة ١١٢٥م[٥] ولكن أطماعه جددت لديه الرغبة في معاودة الإغارة على حوران، حيث جمع جيوشه في بيت المقدس في ١٥ كانون الأول من السنة ذاتها، وسار بها إلى مرج الصفر، بعد أن التقت بالعساكر من يافا والرملة واللد وعكا وصور، في طبرية فخيموا في ١٥ كانون الثاني في أعالي وادي اليرموك ثم ساروا إلى مرج صفر فوصلوه

---

(١) Fulcher; Ibid; ٢٧٥

(٢) Nicholson; "Growth"; Setton; Crusades; vol. ٤٢٥; Fulcher٤; Ibid; ٢٨٢; W.B. Stevenson; The Crusaders; ١٧.

(٣) ابن القلانسي: المزيل ٢٣٩. Fulcher;; Ibid; ٢٨٢; W of Yure; Ibid; vol. ٢; ٢٥

(٤) W of Tyre; Ibid; Vol. ٢:٣٢-٣٣, Fulcher; Ibid; ٣٠٢

رينسمان: تاريخ: جـ٢: ٢٨١ W. of Tyre; Ibid; Vol. ٢: ٢٧, Fulchr; Ibid; ٢٨٨-٢٨٩.

(٥) ابن الأثير: الكامل: جـ١: ٦٣١.

رنسيمان: المرجع ذاته: جـ٢: ٢٧٨.

W of Tyre; Ibid; Vol. ٢:١٩

وخيموا فيه سنة ٥١٩ هـ/ ٢٣-٢٤ كانون الثاني سنة ١١٢٥م[١] وكان ظهير الدين طغتكين قد سبقهم في الوصول إلى مرج الصفر وأقام منتظراً وصولهم[٢] وتبعه ابنه تاج الملوك بوري في ثلاثة آلاف فارس من أعمال دمشق ونواحيها[٣]. والتقى الفريقان يوم الاثنين ٢٧ ذي الحجة سنة ٥١٩هـ[٤]/ ٢٤ كانون الثاني من سنة ١١٢٥م[٥]. فمنهم المسلمون وتبعهم فرقة من عسكر التركمان فعادوا عليها وهزموها ثم قفلوا راجعين إلى أعمالهم[٦].

وعملاً على إضعاف إمارة دمشق سار بلدوين الثاني إلى رفنية وهي من عمل دمشق فحاصرها وتسلمها بالأمان في سنة ٥٢٩هـ[٧]/ ١٤ آذار سنة ١١٢٦م[٨]. ولتوفير الحماية في جنوب المملكة قام بلدوين بالإغارة على وادي موسى فشرد أهله ونهبهم[٩]، لما كانوا يقومون به من غارات على أراضي المملكة، وتزايدت أطماع بلدوين الثاني في دمشق حتى أنه قرر مع المزدقاني[١٠] وزير دمشق، وحليف الباطنية على أن يتسلم منه مدينة دمشق ويعوضه عنها بصور[١١] ولما عَلِم تاج الملوك بوري بن طغتكين الخبر دبر من قتله وأمر بقتل الباطنية في البلد، وكان نائب بهرام ببانياس إسماعيل العجمي الذي خلف من

(١) W of Tyre; A Hist. of Deeds;Vol. ٢; ٢٧. Fulcher; Expedition; ٢٨٨- ٢٨٩,Nicholson; "Growth" Setton; The Crusades; Vol. ١; ٤٢٦. Stevenson; The Crusaders; ١٧.

(٢) ابن القلانسي: المذيل: ٣٣٩، ابن الأثير: الكامل: جـ١: ٦٣٩.

(٣) Fulcher; Expedition; ٢٩٠.

(٤) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٣٣٩، ابن الأثير المصدر ذاته: جـ١: ٦٣٩ "حوادث سنة ٣٠هـ"

(٥) W. of Tyre; Ibid; vol. ٢; ٢٨-٢٩, Nicholson; Ibid; Setton; Ibid; Vol. ١: ٤٢٦ (Jan. ٢٥)

(٦) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٣٤٠، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠: ٦٣٩، رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ٢٧٨.

(٧) ابن الأثير المصدر ذاته: جـ١٠: ٦٣٩، ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٣٤٤.

(٨) W. of Tyre; Ibid; vol. ٢; ٢; ٣٠, Fulcher; Ibid; ٢٩٢

(٩) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٣٤٧ (في شعبان من سنة – ٥٢١هـ).

(١٠) أبو علي طاهر بن سعد المزدقاني الوزير، ابن القلانسي، المصدر ذاته: ٣٥٣.

(١١) ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٦٥٦.

Nicholson; "Growth", Setton; The Crusades; Vol, ١; ٤٣٠.

مواجهة نفس المصير "فانفذ إلى الإنفراج يبذل لهم تسليم بانياس إليهم، ليأمن بها، فسلمها إليهم"(١).فجمع بلدوين الثاني جيش بيت المقدس بكامله وسار بهم إلى بانيـاس في أوائـل شهر تشرين الثاني(٢)، وأردفته جيوش الرها وأنطاكيا وطرابس، إضافة لوصـول الكونـت فولك أف أنجو، فـاجتمعوا ببانيـاس وسـاروا إلى دمـشق ونزلـوا عـلى جـسر الخشب(٣) وخيموا في الميدان في ذي القعدة سنة ٥٢٣هــ/ ١١٢٩م(٤). وأرسـل بلـدوين جماعـة مـن عـــساكره إلى حـــوران لجمـــع المـــيرة والغـــلال، وأقـــام منتظـــراً عـــودتهم قبل أن يباشر القتال، فعلم تاج الملوك بالأمر، فأرسل جماعة من عساكر دمـشق والـتركمان والعرب، لحقت بهم وهزمتهم وأخذت سلاحهم وخيولهم وعادوا إلى دمشق، فما أن حـلّ الصباح حتى وجدوا الفرنج قد حرقوا آلاتهم وعـادوا إلى بلادهـم(٥)، في ٥ كـانون الأول سنة ١١٢٩م(٦) وكانت آخر حملات الملك بلدوين الثاني ضد دمشق، حملـة قادهـا في شـتاء سنة ١١٣٠م لكنها فشلت إثر تراجعه بسبب الشتاء والعواصف(٧). تـوفي الملـك بلـدوين

(١) ابن القلانسي: المذيل: ٣٥٤-٣٥٦، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠، ٦٥٧.

(٢) رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ٢٨٧.

(٣) جنوبي دمشق بينهما وبين منازل العسكر منطقة فسيحة كانت تتجمع فيها الجيوش التي تريد مهاجمة دمشق وكان قريبا منها جسر خشبي أقيم على نهر الأردن أسفل بحيرة طبرية.
أبو شاملة: الروضتين: جـ١: ق٢. ٤٨٥. حاشية (١).

(٤) ابن القلانسي: المصدر ذاته ٣٥٧ ذكر بأن جيوش الفرنج (يزيدون على ستين ألفا، فارساً وراجلاً، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠: ٦٥٧ ذكر أن جيشهم "نحو ألفي فارس وأما الراجل فلا يحصى". أما جيش المسلمين فكان من اجتمع معه ثمانية الآف فارس من العرب والتركمان "يذكر ابن الأثير أن نزول الفرنج على دمشق كان في (ذي الحجة من سنة ٥٢٣هـ).

(٥) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٣٥٨-٣٥٩، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠: ٦٥٧-٦٥٨.
W. of Tyre; A Hist. of Deeds; nol. ٢. ٤٣.

(٦) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٣٥٨.
Nicholson' Ibid; Setton; Ibid; Vol.; ١; ٤٣٠.

(٧) Conder; The Lat. Kingdon; ٩٦

الثاني بعكا في يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ٥٢٣هـ[١]/ في ٢ آب سنة ١١٣١م[٢]. وتولى الحكم من بعده فولك زوج ابنته الكبرى ميليسند[٣].

٤. التوسع في عهد الملك فولك. (٥٢٦هـ/ ١١٣١م-٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)

توج فولك ملكاً لبيت المقدس في ١٤ أيلول سنة ١١٣١م في كنسية القيامة في القدس[٤] لكنه لم يحظ من السيادة والسلطة ما ناله أسلافه الأوائل، بلدوين الأول، بلدوين الثاني[٥].

واجه الملك فولك في أول عهده بالحكم مشكلة داخلية تمثلت في خروج كونت يافا (هيو) عن طاعته، فاتهم فولك بالتآمر، لعقده معاهدة مع أهل عسقلان سمح لهم بموجبها مرور جيش عسقلان عبر أراضيه لغزو أراضي المملكة، فأقام على يافا الحصار وتدخل النبلاء لإصلاح ذات البين بين الطرفين، وفي هذه الأثناء، قام تاج الملوك بوري بالاستيلاء على بانياس بعد حصارها[٦] في يوم الأحد أولى صفر سنة ٥٢٧هـ[٧]/ ١١ كانون أول ١١٣٢م[٨] فتسلم القلعة بالأمان[٩] وأخذ سكان بانياس أسرى[١٠] وعندما

---

(١) ابن القلانسي: المذيل: ٢٦٩

(٢) W. of Tyre; A Hist. of deeds; vol. ٤٦.

(٣) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٣٧٠، رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ٢٩٦، مظلوم: تاريخ الصليبيين: جـ١: ٢٥٠، حسين مؤنس: نور الدين: ٥٣ (فولك الخامس) كونت أنحو.

(٤) W. of Tyre; Ibid; Vol. ٢;٥١.

(٥) رنسيمان: المرجع ذاته: جـ٢: ٢٩٩.

(٦) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٣٧٥. W. B. Stevenson; The crusaders; Tyre; Ibid; Vol,٢; ٧٠- ٧٤.

(٧) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٣٧٥، ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٦٨٤.

(٨) رنسيمان: المرجع ذاته: جـ٢: ٣٠٦ سقطت بانياس بيد نور الدين في ١٥ كانون أول). W.B. Stevenson; Ibid; ١٣١.

(٩) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٣٧٥، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠: ٦٨٥ (في رابع صفر).

(١٠) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٣٧٥-٣٧٦. W. of Tyre; Ibid; vol.٢;٧٤.

سمع الملك فولك نبأ حصارها عقد صلحا مع كونت يافا[١] وأعد جيشه للزحف على بانياس لمساعدتها فما لبث أن وصله خبر فتحها[٢] فكان ذلك تحديا عظيماً من جانب إمارة دمشق لسلطة بيت المقدس وهيبتها.

تبنى الملك فولك سياسة خاصة مع القوى الإسلامية المجاورة لمملكته تقوم على ثلاثة عناصر رئيسية أولها القيام بغارات خاطفة على مصادر الأخطار المحدقة بالمملكة كما وقع حينما أغار الملك على أعمال دمشق في سنة ٥٢٨هـ/ ١١٣٣م. فعاد الملك فولك إلى أعمال، وجدد الهدنة مع شمس الملوك صاحب دمشق[٣]، كما أغار الملك فولك على كهف حصين للمسلمين في جبل عجلون لتأديب جماعة فيه كانت تقوم بالإغارة على أراضي بيت المقدس فحاصره حتى سقط في يده[٤]. وكان ذلك في سنة٥٣٤هـ/ صيف سنة ١١٣٩م[٥] فتوطد الأمن في هذه المنطقة.

وثاني، هذه العناصر هو تشيد القلاع والحصون لتحسين نظام الدفاع عن المملكة وحمايتها من أية أخطار عسكرية تتهددها، فقد أنشأ ثلاثة حصون في جنوب المملكة لقفل الطريق من مصر إلى فلسطين[٦]، ولمواجهة الغارات التي كانت تقوم بها حامية عسقلان على المناطق الداخلية[٧]. كما أقام مجموعة أخرى من القلاع في شمال المملكة اللاتينية وشرقها[٨].

---

(١) W. of Tyre; A Hist. of deeds. Vol. ٢;٧٤.

(٢) ابن الأثير: الكامل: جـ. ٦٨٥.

(٣) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ١١-١٢، ابن القلانسي: المذيل: ٣٨٤-٣٨٥.

(٤)W. pf Tyre; Ibid; Vol. ٢; ١٠٣

(٥) رينسمان: تاريخ: جـ٢: ٣٦٤.

(٦) عبد الرحمن زكي: القلاع: المجلة التاريخية المصرية: م ١٥: ٥٨.

(٧) W. of Tyre; Ibid; Vol.٢; ٨٠-٨١.

J. Prawer; The Lat. Kingdom; ٢٢٩ (تقع جنوب شرق يافا)

رنسيمان: المرجع ذاته: جـ٢: ٣٦٩

Nicholson; "Growth"; Setton; "Crusades" ; vol. I;٤٣٧; " Fulk"; Encyclopedia; Britanica; vol. ٩;٩٩٥

(٨) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٥٥٨، رنسيمان: المرجع ذاته: جـ٢: ٣٧٠. "الكرك". الموسوعة الفلسطينبة: م٣: ٤٥، ط٢، ١٩٨٤م إصدار هيئة. الموسوعة الفلسطينية. دمشق.

زكي: المقالة ذاتها: المجلة ذاته: م١٥: ٥٩.

وانعكست آثار سياسة الملك فولك الدفاعية هذه على الأوضاع الأمنية داخل مملكة بيت المقدس، فأصبح طريق الحجاج المسيحيين من الساحل إلى القدس آمناً، بعد أن كان غير آمن[(١)] وترتب على ذلك أن ازدهرت التجارة في عهده ازدهاراً كبيراً، خاصة بعد حفاظه على التزامات المملكة تجاه المدن الإيطالية التي كانت لها السيطرة على تجارة الصادرات في المملكة، غير أنه رفض أن يجعل لأي من هذه المدن حق احتكار التجارة[(٢)].

وأما العنصر الثالث في سياسة فولك ملك بيت المقدس، فقد قام على محالفة إمارة دمشق لمواجهة الخطر الذي يشكله تقدم عماد الدين زنكي إلى بلاد الشام الجنوبية وخاصة بعد أن حاز ألقاب التشريف الجديدة، من الخليفة العباسي المقتفي، ومن السلطان مسعود السلجوقي[(٣)] حيث أراد السيطرة على إمارة دمشق[(٤)] لتوحيد الجهود الإسلامية ضمن جبهة واحدة مناوئة للصليبيين[(٥)]. حيث حاصرها في سنوات ٥٢٨هـ/ ١١٣٣م و ٥٢٩ هـ/ ١١٣٩م[(٦)] وهذا ما جعل الملك فولك يحافظ على علاقة حسنة مع إمارة دمشق خصوصا بعد توقيع الصلح معها في أعقاب إغارته على حوران في سنة ٥٢٨هـ/ ١١٣٣م، وبعد استعداد زنكي لدمشق عندما جاءها محاصراً في نفس السنة[(٧)] ودخول والي بانياس إبراهيم بن طرغت في طاعته[(٨)].

وقد أدى توصل حكام دمشق إلى الصلح مع عماد الدين زنكي إلى غضب الصليبيين مما جعل جيوشهم تغير على بانياس، في المحرم في سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م، وهذا جعل شهاب

---

(١)W. of Tyre; A Hist. of Deeds; vol. ٢; ٥٨

(٢) ريسنهان: تاريخ: جـ٢: ٣٧٤.

(٣) رينسهان: المرجع ذاته: جـ٢: ٣١٠.

(٤) ابن القلانسي: المذيل: ٣٠١.

(٥) ابن شامة: الروضتين: جـ١: ف١: ٢٠١.

شاكر أبو بدر: الحروب الصليبية والأسرة الزنكية، ٩٥، تيسير بن موسى، نظره عربية على غزوات الإفرنج: ١١٢.

(٦) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٣٩٠، ٤١٤، ٤٢٤، ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٢١، ٧٣.

(٧) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٣٨٥.

(٨) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٤١٣.

الدين محمود يقتفي آثارهم إلى بانياس حتى عادوا عنها[١]. ولكن عند وفاة شهاب الدين محمود قدم زنكي إلى دمشق محاصراً، وكان قد استقر في حكم دمشق الأمير مجير الدين أبق الذي تحالف مع الصليبيين في القدس ضد زنكي[٢] مقابل دفع مبلغ عشرين ألف دينار عن كل شهر[٣] وتسليمهم مدينة بانياس، فوافق أنر (أتابكه) وسلمهم المدينة في٥٣٤هـ/ ١٢ حزيران ١١٤٠م[٤]، فأعاد الفرنج تنصيب رينية بروس والياً عليها[٥]. وتأكد هذا التحالف بين فولك وأنر عندما قام الأخير بزيارة البلاط الملكي حيث احتفل الملك فولد باستقباله[٦].

توفي الملك فولك في سنة ٥٣٨هـ/ ١٠ تشرين الثاني ١١٤٣م[٧]. فاستمرت هذه التحالفات بين دمشق وبيت المقدس بعد وفاته، لاستمرار الخطر الذي شكلته قوة عماد الدين وابنه نور الدين محمود بن زنكي من بعده على الطرفين كما سنبينه فيما بعد.

---

(١) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٤١٨، ابن الأثير: الكامل: المصدر ذاته: جـ١١: ٧١.

(٢) ابن القلانسي: المذيل: ٤٢٥-٤٢٦، ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٦٨ (قتل شهاب الدين محمود في شوال ٥٣٣هـ). Stevenson; The Crusaders; ١٤٣

(٣) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٧٤.

W. of Tyre; A Hist. of Deeds; vol.٢;١٠٥

"وعد أنر بدفع ٢٠ ألف قطعة لملك القدس من كل شهر مقابل التدخل لصحاله".

حسين مؤنس: نور، الدين: ١٦٨. رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ٣٦٤.

(٤) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٤٢٦-٤٢٧ W. of Tyre; Ibid; Vol. ٢;١١١

ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٧٤ Nischolson Fulk Anjou" Encycipaodis Beritanica; ٩٠;٩٥

"Growth' Setton, The Crusades; vol. I.٤٤٣.

ابن شاكر الكتبي: عيون التواريخ: جـ١٢: ٣٥٤، أبو الفدا: المختصر: م٣: ٢٣ ابن العديم: زبدة الحلب: جـ٢: ٢٧٣-٢٧٤

(٥)W. of Tyre; Ibid; Vol.٢; ١١١

رينسمان: المرجع ذاته: جـ٢: ٣٦، فايد عاشور: جهاد المسلمين: ١٩٩.

(٦) رينسمان: المرجع ذاته: ٣٣٦

La-Monte; Feudal Manarch in The Latin Kingdom of Jerusalem ١١٠٠-١٢٩١. The mediaeval academy of America, Cambridge. Massachustts. ١٩٣٢. Kraus reprint co. New York. ١٩٧٠. (Feudal Monarchy)

(٧) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٤٣٣ W. f Tyre; Ibid' vol. ٢;١٣٥

٥. التوسع في عهد الملك بلدوين الثالث: (٥٣٨هـ/ ١١٤٣-٥٥٧هـ/ ١١٦٢م)

بوفاة الملك فولك: ترك وليدن هما بلدوين وعمره ثلاث عشرة سنة، وأمليك وعمره سبع سنين، وتم تتويج بلدوين وأمه ميليسمد معاً، ملكين لمملكة بيت المقدس اللاتينية(١).

ويمكن تقسيم فترة حكم الملك بلدوين الثالث إلى قسمين: الأول، ويتمثل ذلك في وصاية الملكة ميليسند على ابنها، وامتدت من سنة (٥٣٨هـ/ ١١٤م-٥٤٧هـ/ ١١٥٢م) تولت فيها الملكة مقاليد الحكم وأقر ذلك مجلس المملكة(٢) ويشمل القسم الثاني فترة انفراد الملك بلدوين الثالث في السلطة (٥٤٧هـ/ ١١٥٢-٥٥٧هـ/ ١١٦٢م).

شهدت مملكة بيت المقدس أحداثاً جسيمة أضرت بقوة المملكة ومكانتها في فترة الحكم المشترك لبدوين الثالث وأمه ميليسند، فلم تكن للملكة من السيادة على إمارات الشمال ما كان لمن سبقها من ملوك بيت المقدس من أمثال بلدوين الأول - والثاني(٣) إذ شهدت المملكة في عهدها سقوط الرها وانتقالها إلى المسلمين وكان ذلك في ١٥ جمادى الآخرة من سنة ٥٣٩هـ/ ٢٤ كانون أول ١١٤٤م(٤).

---

(١) W. of Tyre; A Hist. of Deeds; vol. ٢; ١٣٥أ١٣٩

ابن القلانسي: المذيل: ٤٣٤، رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ٣٧١

Marchal W. Baldwin; "The Latin States Under Baldwin and Amalric I; Setton; The Crusades; vol. I; ٥٣١.

وسوف يرد فيما بعد:

M.W. Baldwin; The Lat States; Satton; The Crusadesl Vol. ١

(٢) W, of Tyre; Ibid; Vol.٢; ٢٠٤.

(٣) رنسيمان: المرجع ذاته: جـ٢: ٣٧٧.

(٤)Hamilton Gibb; "Zinqe and the Fall of Edssa"; Setton; Ibid; Vol. I; ٤٦١, W. of Tyer; Bid; vol٢;١٤٣.

ابن الأثير: التاريخ الباهر: ٦٦، الكامل: جـ١١: ٩٨-٩٩ "سادس جمادي الأخرة".

ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٤٣٦-٤٣٧. (ملك البلد بالسيف في يوم السبت سادس وعشرين من جمادي الأخرة منها)، ابن الجوزي: المنتظم: جـ١٠: ١١٢، حسين أحمد أمين: الحروب الصليبية في كتابات المؤرخين العرب المعاصرين لها: ٨١-٨٢، تيسير بن موسى: غزوات الفرنج: ١١٥.

وقد أساءت الملكة ميليسند إلى التحالف الذي كان قائماً بينها وبين إمارة دمشق مرتين الأولى عندما ناصرت التونتاس والي دمشق على بصرى وضرخد، ضد إمارة دمشق وقد سبق بيان ذلك[١].

أما الثانية: فكانت توجيه الحملة الصليبية الثانية إلى دمشق بعد أن كان الهدف الأول منها هو استرداد الرها[٢].

وأما القسم الثاني من هذه الفترة فهي انفراد الملك بلدوين الثالث بالحكم في مملكة بيت المقدس، بعد تتويجه رسمياً في عيد الفصح من سنة ٥٤٨ه/ ١١٥٢م ملكاً عليها[٣]. وقد استهل بلدوين الثالث عهده في الحكم بتحقيق انتصار كبير على الفاطميين بسقوط مدينة عسقلان آخر معاقلهم على ساحل الشام في يده في سنة ٥٤٨هـ/ ١٩ آب ١١٥٣م[٤] وبذلك يكون بلدوين الثالث قد وضع حداً نهائياً للوجود الفاطمي في بلاد الشام.

غير أن وقوع دمشق في يد نور الدين زنكي في ١٠ صفر سنة ٥٤٩هـ[٥] / ٢٥ نسيان ١١٥٤م[٦]، وكان بداية لتغيير جذري في سياسة دمشق التي أصبحت مركزاً لمملكة نور الدين المعروف بعدائه للصليبيين. كما أن قربها من مملكة بيت المقدس جعل الإحتكاك بينهما أمراً طبيعياً لضمان سلامة أراض كل منهما. فكانت بانياس إحدى أهم مناطق الإحتكاك تلك، وقد تعرضت مراراً لحصار نور الدين محمود لأجل إخضاعها، خاصة

---

(١) ابن القلانسي: المذيل: ٤٥١ W. of Tyre; A Hist. of Deeds; vol.٢;١٤٧-١٤٨

(٢) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٤٦٢. قدري قلعجي: صلاح الدين الأيوبي – قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الثاني والثالث عشر للميلاد: ١٢٠-١٢١. دار الكاتب العربي.

Virgine; "٢nd Crusade"; Setton. The Crudaders. Vol. I; ٥٠٥-٥٠٦

W. of Tyre; Ibid; vol. ٢;١٨٦.

(٣) برجاوي: الحروب الصليبية في المشرق: ٣١١.

(٤) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٤٩٧.

رنسيمان: المرجع ذاته: جـ٢: ٥٤٧. M. W. Baldwim " The Lat. States" ; Ibid; vol. ١; ٥٣٨

(٥) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٥٠٤، ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ١٩٧.

(٦) M. W. Baldwim " The Lat. States" ; Ibid; vol. ١; ٥٣٨ W. of Tyre; Ibid; vol. ٢;٢٢٤-٢٢٥.

بعد أن نقض أهلها بقيادة همفري صاحب تبنين الهدنة المعقودة بين الطرفين في سنة ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م والتي جددت لسنة ٥٥١هـ/ ١١٥٦م، لاعتدائه على مواشي المسلمين حول بانياس ونهبها[١]. واستنر الصراع عليها سنتي (٥٥١هـ-٥٥٢هـ/ ١١٥٦م - ١١٥٧م)، وانتهى الحال بمراسلة بلدوين الثالث لنور الدين في طلب الصلح لكنهما لم يتوصلا إلى صلح أو مهادنة[٢].

وفي إطار سياستة التوسعية فكر بلدوين الثالث بغزو مصر ولم يمنعه من ذلك إلا ما حصل عليه من وزير مصر، من إتاوة سنوية قدرها مائة وستون ألف دينار[٣] توفي بعدها في سنة ٥٥٧هـ/ ١٠ شباط ١١٦٢م[٤].

٢. بناء القلاع لحماية أطراف المملكة:

حرص الصليبيون منذ بداية تأسيس مملكة بيت المقدس اللاتينية على تحصين أطراف هذه المملكة التي لم يتجاوز أقص امتدادها العرضي خمسين ميلاً، ببناء القلاع والحصون للدفاع عنها، فابتنوا قلاعاً حصينة في الجبال وعلى سيف البحر حماية للبلاد من غارات المسلمين في المناطق المجاورة لها[٥].

اختلف الباحثون في معالجتهم لفكرة بناء القلاع والحصون الصليبية بشكل عام وفي القرن الثاني عشر الميلادي يشكل خاص، فدرسها البعض بشكل مجموعات من القلاع تشكل دفاعية، أو بشكل مجموعة خارجية وأخرى داخلية لتعزيز الدفاع عن المملكة كما

(١) ابن القلانسي: المذيل: ٥١٦-٥١٧.

W. if tyre; A Hist of Deeds; vol.٢;٢٥٥-٢٥٨; M.W. Baldwin, "The Lat. States"; Stto; the Crusaded; Vol. I; ٥٣٩.

(٢) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٥٣٨. أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق١: ٢٧٣.

(٣) رينسمان: تاريخ: جـ٢: ٥٤٧.

(٤) رنسيمان: المرجع ذاته: جـ٢: ٥٨٣. (توفي في شباط ١١٦٣م)

W. of Tyre; Ibid; Vol. ٢;٢٩٣ M. W. Baldwin; Ibid; Setton; Ibid; Vol. I; ١٥٤٧.

(٥) أحد الآباء اليسوعيين: مختصر تاريخ سورية ولبنان: ٦٠، المطبعة الكاثوليكية للآباء السيوعيين/ ١٩٢٤.

فعل بروتز، خاصة وان مملكة بيت المقدس كانت في طور التأسيس والتوسيع[1]. ويخالف سمبل بروتز الرأي حول هذه القضية إذ يرى أن طريقة التحصين في سورية هي لوح كتب عليه عدة مرات بعد مسحه في المرة الأولى كما أن الفرنج قد احتلوا حصوناً كانت قد ميزت الحدود الشمالية الغربية للعالم الإسلامي وجدت من القرن السابع حتى القرن العاشر[2] لكنني أرى أن الدراسة الصحيحة للقلاع والتحصينات في مملكة المقدس، ولا بد وأن تمر في مراحل تتفق تماما والمراحل التي مر بها تأسيس وتوسع مملكة بين المقدس، لأن لكل رحلة دوافع وحاجات تختلف عنها في مرحلة أخرى، لذا يصعب علينا تناول هذه القلاع والتحصينات التي أسست في فترة امتدت إلى قرنين من الزمان تقريباً من زاوية واحدة، وقد سلك هذا المنهج عبد الرحمن زكي، إذ قسم دراسته للقلاع والحصون إلى ثلاث مراحل منذ بداية تأسيس المملكة وتوسيعها في عهد الملك بلدوين الأول وحتى القرن الثالث عشر[3].

أما المؤرخ الفرنسي دوشاب فقد أكد على الدور الوظيفي لهذه القلاع والمتعلق بالدفاع عن المملكة، فذكر أن الجبال المحيطة بها تشكل عوائق طبيعية واقية لمملكة بيت المقدس، غير أن بعض الممرات الطبيعية بينها "تتيح الاتصال لعدو يشن هجوماً من الشرق إلى الغرب" مما جعل بناء هذه القلاع والتحصينات في هذه المنافذ استجابة لتلك الحاجة، ومما يؤكد ذلك كثرة الحصون المقامة في الفجوة الواقعة في شمال لبنان والتي تسهل الاتصال بين حمص وطرابلس، في حين تقل هذه الحصون في سلاسل جبال لبنان نظراً لارتفاعها[4]. ولكن سميل رد على تشدد دو شاب في التأكيد على دور هذه القلاع في الدفاع عن حدود المملكة، فذكر أنه ينبغي التوقع بأن تكون الحدود الشرقية في منطقة طبرية وبانياس محصنة تحصيناً شديداً، في حين نجحت غزوتي مودود وطغتكين في سنة

(١) سميل: الحروب الصليبية: ٢١٠.
(٢) سميل: المرجع ذاته: ٢١٠.
(٣) عبد الرحمن زكي: "القلاع". م. المصرية: ١٥: ٥٥.
(٤) سميل: المرجع ذاته: ٢١١.

تحصيناً شديداً، في حين نجحت غزوتي مودود وطغتكين في سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م في دخول هذه المنطقة من جسر الصنبرة جنوب بحيرة طبرية، كما دخلها صلاح الدين في سنوات (٥٧٧هـ، ٥٧٨هـ، ٥٨٣هـ) (١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٧م)[١]. ويمكن تقسيم دراسة بناء القلاع ووظائفها خلال القرن الثاني عشر الميلادي إلى ثلاثة مراحل أساسية هي:

المرحلة الأولى:

وتشمل الفترة الأولى من تأسيس مملكة بيت المقدس في عهد الملك بلدوين الأول. حيث أهتم بشكل كبير ببناء القلاع والتحصينات في سائر أرجاء المملكة لأغراض مختلفة فقد أقام حصن صافيتا في سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠٢م لحراسة الطريق الشمالي من دمشق إلى عكا[٢] كما أقام في عهده ريموند الصنجيلي في سنة ٤٩٧هـ/ ١١٠٣م قلعة قرب طرابلس على تلة الحجاج لمباشرة حصارها، ثم للسيطرة على الريف المحيط بها[٣] كما شيد الملك بلدوين الأول حصن علعال بين السواد والبشنية للتوسع في الجولان شرقي بحيرة طبرية في ٤٩٩هـ/ ١١٠٦م[٤]. وكان هيوسانت أومر، أمير الجليل قد شيد قلعة تبنين في سنة ٤٩٨هـ/ ١١٠٥م على الجبال المشرفة على طريق (دمشق - بانياس - صور) للتحكم فيها. وتبعد هذه القعلة عن مدينة صور ثلاثة عشر ميلاً[٥].

---

(١) سميل المرجع ذاته: ٢١١-٢١٢.

(٢) H. Prawer; The lat. Kingdom; ٢٨٨.

زكي: القلاع: م. ت. المصرية: م. ١٥: ٥٥.

(٣) ابن القلانسي: المذيل: ٢٣٦، سهيل زكار: الحروب الصليبية: جـ٢: الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية من تاريخ العظيمين: ٦٦٥. W. Stevenson; The Crusaders; ٤٥.

سميل: الحروب الصليبية: ٢١٣.

(٤) ابن القلانسي: المصدر ٢٤١.

Prawer; The Lat. Kingdom; ٤٣, Conder; The Lat. Kingdom, ٨٩, Rpbin Fessen and John Thomson; Crusader Castles; ٢٤. London. J. Marry, ١٩٥٧.

(٥) (شيدت في سنة ١١٠٣م)، رنيسمان: تاريخ: جـ٢: ١٥٥، سميل: المرجع ذاته: ٢١٤. (ذكر أنها شيدت في سنة ١١٠٧م).

كما شيد بلدوين الأول حصنا على تل المعشوقة وذلك للتضييق على صور وحصارها، وكان ذلك في سنة ٥٠١هـ/ ١١٠٧م[١]. كما شيد قلعة الشوبك في سنة ٥٠٩هـ/ ١١١٥م للدفاع عن الحدود الشرقية لمملكة، والتحكم في طرق القوافل الإسلامية التي تسلك الطريق بين دمشق ومصر من ناحية وبين الحجاز من ناحية أخرى، إضافة لتحصيل الضرائب من هذه القوافل[٢] كما اعتنى ببناء قلعة إسكندليون في سنة ٥١٠هـ/ ١١١٦م على الساحل جنوبي مدينة صور بحوالي ستة أميال، وهدف بلدوين من إقامتها تضييق الخناق على مدينة صور الإسلامية[٣]. كما مد بلدوين الأول سيطرته على أيلة على البحر الأحمر جنوباً. وشيد فيها قلعة في نفس السنة، كما شيد أخرى في جزيرة فرعون وذلك لإكمال السيطرة على طريق دمشق مع الحجاز، ومصر وليتعذر على أي جيش إسلامي أن يصل إلى مصر من الشرق[٤]، أو العكس.

المرحلة الثانية:

تشمل المرحلة الثانية فترة حكم الملك بلدوين الثاني والملك فولك (١١١٨-١١٤٣م)، وتتمثل في إقامة سلسلة من القلاع في جبهات مختلفة من المملكة اللاتينية وفق مقتضيات هامة، فشيد في عهد الملك بلدوين الثاني قلعة الشقيف وذلك لتعزيز حصار مدينة صور الفاطمية تسهيلاً لامتلاكها[٥]، كما أقام حصن دير القلعة في سنة ٥٢٠هـ/

---

(١) ابن القلانسي: المذيل: ٣٥٥، ابن ميسر المنتقى: جـ٢: ٧٨.

Prawer; The Lat. Kingdom; ٢٥٢, Fulcher; Expedition; ٢١٥

(٢) تيسير نب موسى: نظرة عربية على غزوات الإفرنج/ ٩٤.

رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ١٦٠ Fink " Foundation"; Setton; Crusades. Vol. I;٤٠٦

(٣) القلانسي: المذيل: ٢٥٩.

Fulcher Expedition, ٢٢٠ , Fedden; Crusader Castles; ٢٤, W. of Tyre; A Hist of Deed, vol. ٢; ٢٢٠-٢٢١.

(٤) رنسيمان: تاريخ: ١٦٠. Fedden; Ibid; ٢٦٠

(٥)Prawer; The Lat. Kingdom. ٢٨٢

١١٢٥م (Clavianus Mons) قرب بيروت إلى الشرق منها لغرض تحصيلها الضرائب من السكان المحليين[١]. بينما طهرت ضرورات أمنية جديدة أدت إلى التوسع في تشييد القلاع والحصون في عهد الملك فولك، ففي سنة ٥٢٨هـ/ ١١٣٣م شيد حصن أرنولد قرب نوبة لحماية الحجاج من يافا إلى القدس[٢]. كما شيد في شمال المملكة قلعة كوكب الهوا (Belvior) لحراسة معبر الصنبرة، حيث تتجمع الجيوش الإسلامية منها إلى أراضي المملكة، حيث عبرتها حملة مودود وطغتكين سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م[٣] وكان تشييدها في سنة ٥٣٥هـ/ ١١٤٠م في السنة التي شيدت فيه قلعة صفد في الجليل الأعلى[٤]. وقد سلم ملك القدس بلدوين الثالث قلعة كوكب الهوى للإستبارية وقلعة صفد للدواية عن أطراف المملكة الشمالية[٥]. أما في جنوب المملكة فقد شيد ثلاثة من أقوي الحصون هي قلعة بيت جبرين في سنة ٥٣١هـ/ ١١٣٦م، وقلعة تل الصافية، وقلعة يبنى في سنة ٥٣٧هـ/ ١١٤٢م. وكذلك لمواجهة الغارات التي كانت تشنها حامية عسقلان على المناطق الداخلية[٦] كما أقام باجان كبير

(١) Prawer; Ibid; ٢٨٧; Fulcher; Ibid; ٢٨٢, Nicholson; Growth Setton; The Crusades; ١; ٤٢٥, Stevenston; The Crusaders; ١١٧

(٢) Nicholson; Growth Setton;Ibid; vol; ٤٣٧.
W. of Tyre; Ibid; vol. ٢;٥٨

(٣) زكي: القلاع: م. ت. المصرية: م ١٥: ٥٩. Prawer; Ibid; ٢٨٥-٥٨٦

(٤) زكي المقال ذاته: م. ت، المصرية: م ١٥: ٥٩.

(٥) ابن الأثيرة الكامل: جـ١١: ٥٥٨، سعيد عاشور: الحركة الصليبية: جـ٢: ٦٧٢.

(٦) J. Pawer; The Lat. Kingdom; ٢٩٩; Nicholson; "Growth"; setton; The Crusades; Vol. ١;٤٣٧; W. of Tyre; A Hist of Deeds, vol. ٢;; ٨٠-٨.
١٣٠-١٣٢, conder; The Lat. Kingdom; ١٠٠٠
رنسيمان: المرجع ذاته: جـ٢: ٣٧٠.،

سقاة الملك فولك في السنة ذاتها حصن الكرك وذلك للتحكم في الطريق الممتدة من مصر إلى الحجاز وبلاد الشام[(١)].

وهنا لا بد من التنويه بأن الكثير من هذه القلاع أسلامية والصليبيون جددوها وزادوا في بنائها كما حدث في قلعة الكرك والشوبك وغيرها.

المرحلة الثالثة:

هي أقل هذه المراحل حظاً في إقامة القلاع والحصون في مملكة بيت المقدس وتمتد من بداية حكم الملك بلدوين الثالث وحتى انهيار مملكة بيت المقدس بسقوط مركزها مدينة القدس بيد صلاح الدين إذ عمّر بلدوين الثالث في سنة ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م خنادق غزة[(٢)] لوقف غارات حامية عسقلان، ثم جعلها حصناً منيعاً في الجنوب للدفاع عن جنوب المملكة ضد المصريين[(٣)].

وانتقلت غاية الصليبين من الاهتمام بالقلاع الداخلية إلى تحصين قلاع الساحل وذلك لسهولة مهاجمة المسلمين لمرافئها، فمنها يمكن للفرنج مراقبة البحر، كما يسرت لهم التمسك بالسهول الضيقة المطلة على البحر، ولذلك رأينا الملك ريتشارد يعيد تحصين يافا قبل رجوعه إلى وطنه في سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م[(٤)].

---

(١) يوسف درويش غوانمة: إمارة الكرك الأيوبية ٦٧ بناها، Conder; Ibid; ١٠ ، رنسيمان: المرجع ذاته: جـ٢: ٣٧٠. Prawer; Ibid; ٢٨٢ "الكرك": الموسوعة الفلسطينية: م ٣:٤٤٥.

Fedden; Crusader Castle; ٢٦.

(٢)W. of tyre; Ibid, vol. ٢; ٢٠٢-٢٠٣.

رنيسمان: المرجع ذاته: جـ٢: ٥٤٤.

(٣) الخندق: (فارسي معرّب) وأصله (كنده) أي محفور. وقد تكلمت به العرب قديما.

أبو منصور الجواليقي: المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم: ١٣١، وسيرد.

الجواليقي: المعرب في طهران: ١٩٦٦.

(٤) دريد عبد القادر نوري: سياسة صلاح الدين الأيوبي في مصر وبلاد الشام والجزيرة: ٣٥٧: مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٦م.

زكي: القلاع: م. ت. المصرية: م ١٥: ٥٨-٥٩.

٣. نظام الإقطاع في مملكة بيت المقدس

ساد مملكة بيت المقدس، والإمارات التابعة لها نظاماً إقطاعياً يشبه ذلك الذي كان سائداً في أوروبا في القرن الثامن عشر للميلاد وقد تركز هذا النظام على التبعية الشخصية لكبار رجال الإقطاع الذين شغلوا السلطات السياسية للدولة ومارسوا الوظائف الحكومية بدلا من الموظفين الحكوميين نتيجة لضعف السلطة المركزية[١]، وقد ساد هذا النظام غرب أوروبا في القرون الحادي والثاني والثالث عشر الميلادية. وامتد إلى الإمارات الصليبية في الشرق الأدنى[٢].

وبالرغم من تباين مفهوم الإقطاع فقد يأتي تعبيراً عما يقتطعه ولي الأمر لنفسه أو ما يمنحه لغيره من أرض أو أي نوع من المال الثابت أو المنقول[٣] وبذلك فهو نظام اقتصادي اجتماعي وسياسي عم أوروبا في العصور الوسطى[٤].

وأكتمل نضوج نظام الإقطاع في أوروبا في الفترة الممتدة من القرن العاشر حتى القرن الثالث عشر الميلادي[٥] فانتقل إلى مملكة بيت المقدس واتخذ الطابع العسكري لكنه اختلف عن مثليه الأوروبي بعض الشيء، فمثلاً نجد أن الخدمة الحربية الإقطاعية في أوروبا كانت مقررة نظرياً بأربعين يوماً لكن هذه المدة لم تحدد في الشرق، وذلك نظراً لوجود التحدي الدائم من جانب المسلمين المجاورين للصليبيين[٦].

---

(١) عبد الأمير محمد: تاريخ الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى: ٣٠٤. طبع في جامعة بغداد، ١٩٨٠م.

(٢) السيد الباز العريني: الحضارة والنظم الأوروبية في العصور الوسطى: ٩-١٠ داؤ النهضة العربية للطباعة والنشر: بيروتز وسيرد: العريني: الحضارة والنظم،

Fedual of the states" Encylopaedia of Islam; vol. ٩; ٢٢٠.

(٣) إبراهيم طرخان: النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى: ٤٧١: الناشر دار الكاتب العربي للطباعة والنشر. القاهرة. ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

(٤) عبد الأمير محمد: المرجع ذاته: ٣٠٣.

(٥) العريني: المرجع ذاته: ٣٥-٣٦، طرخان: المرجع ذاته: ٣٧، إبراهيم العدوي: التاريخ الإسلامي: ٣٧٠.

(٦) العريني: المرجع ذاته: ٤٨، عبد الأمير محمد: المرجع ذاته: ٣١٣.

وكان نظام الإقطاع السائد في مملكة بيت المقدس اللاتينية مطابقاً للنظام الإقطاعي الفرنسي الذي ساد فرنسا منذ القرن الثالث عشر الميلادي[١] وبما أن خدمات التابع شخصية، فقد جرى استخدام أتباع الملك لتأدية أعمال سياسية وقضائية وإدراية، كما أن أتباع الكونتات يؤدون من حين لآخر أعمال مشابهة واعتبر التابع منهم أمام القانون حراً غير مستعبد[٢].

طبق جود فري نظام الإقطاع السائد في غرب أوروبا، فوزع إقطاعاته على البارونات[٣] ومنح تانكرد مدينة طبرية مع إمارة الجليل الداخلية، وفي الوقت ذاته منحه حيفا قبل إخضاعها[٤]. وقد وعد جود فري بإقطاع أرسوف إلى روبرت أوف أبوليا، وأعطى جيرار أوف سنس إقطاع الجليل. وأصبحت لجودفري السيادة على هذه الإقطاعات، حيث امتدت سيادته من مدينة نابلس شمالاً إلى مدينة الخليل جنوباً "بما فيها المدينتين" إلى نهر الأردن والبحر الميت شرقاً، وغرباً إلى يافا على ساحل البحر المتوسط[٥]. وبقيت السيادة الملكية لكل من القدس وعكا وأضيف لهما الداروم[٦].

أعاد الملك بلدوين الأول توزيع إقطاعات مملكة بيت المقدس، فمنح طبرية إلى هيو أوف فولكبيرغ، عند مغادرة تانكرد إلى أنطاكية في ٨ آذار سنة ١١٠١م، ومنح إقطاعية حيفا إلى (Eladnar Carpindall) ومنح إقطاع الخليل إلى (Huge of Robecpue) ومنح

---

(١) لسهيل زكار: الحروب الصليبية: جـ٢: ٨١ (مدخل عام)، هـ.١. ل. فيشر: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى: ١٨٣. Prawer; The Lat. Kingdom; ١٢٨.

(٢) العريني: الحضارة والنظم: ٢٩.

(٣) Conder; The Lat. Kingdom; ٧٢; Boas; Thomas; Kingdom and Steong holds of the Crusaders; ٢٩, London, Thomas and Hudson, ١٩١٧.

(٤) يرى المحقق أن "إقطاع حيفا لتانكرد أمر مشكوك فيه"
W. of Tyre; A Hist. of Deed; Vol. I; ٣٣٩, J. Prawer; Ibid; ١٢٧.

(٥)H. Fink "Foundation"; Setton; Crusades"; Vol. I' ٣٦٧-٣٧٧.
رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ١٧-١٨.

(٦) سعيد عاشور: الحركة الصليبية: جـ١: ٤٩١.

إقطاع صيداً وقيسارية إلى أيوستاس[١] وهذا مؤشر، على أن الإقطاعات لا تكون دائماً موحدة الأجزاء أو متقاربة. وأقر بلدوين الأول جوسلين كورتياني رسمياً على إقطاعات كونتية الرها حيث أصبح كونتا لها وتابعاً لبلدوين. ثم منح بلدوين الأول إمارة الجليل لوليم بولز فظل حكمها بيد أسرته[٢].

كانت أبرز البارونات في ملكة بيت المقدس هي، بارونية صيدا، وبارونية الجليل، وبارونية شرقي الأردن والكرك وهي أهمها[٣]. وكنا في المملكة إثنا عشر إقطاعاً ثانوياً[٤] وكانت البارونات الكبيرة المستقلة، أما الصغيرة منها فكانت تخضع لسيادة بيت المقدس، وربما يعود ذلك إلى حجم الإقطاع ومكانة المقطع بالنسبة لملك القدس وقد حددت حجم هذه الإقطاعات عوامل عديدة منها ظروف الحرب والتوسع، واحتياجات الدفاع الإستراتيجية. ثم قوة النبلاء والفرسان، وينطبق ذلك على إمارة الجليل، حيث أن حيفا التي سقطت في أيدي الصليبيين، والتي كان جودفري قد وعد بمنحها إلى تانكرد أمير الجليل لتصبح جزءاً من إمارته، أصبحت إقطاعية صغير مستقلة، ولم يتوقف الحال عند هذا الحد بل قُسمت المنطقة الغربية لإمارة الجليل إلى إقطاعات صغير مستقلة، أوجد البعض منها من قبل الملك وبقي بعضها تابعاً لإمارة الجليل. لكنها سرعان ما أصبحت مستقلة كحصون تبنين وهونين، لكنها خضعت لسيادة التاج الملكي، كما فقد التاج الملكي إقطاع اسكاندليون[٥]. (Iskandalion)

---

(١) H. Fink; Ibid; Setton: Ibid; vol.I.٢٨٥

(٢) رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ٢٤٢، ٢٤٧.

(٣) "الكرك". الموسوعة الفلسطينية. م٣: ٤٤٥.

(٤) رنسيمان: المرجع ذاته: جـ٢: ٤٧٦.

وهذه الإقطاعات كما وردت عند Conder; The Lat. Kingdom; ٧٨.

وإقطاع جبيل وإقطاعية بيروت، وإقطاع صيدا، وإقطاعية صور، وإقطاعية الشقيف، وإقطاعية ماورن، وإقطاع مونتفرات، وإقطاع قيسارية، ثم إقطاع أرسوف الصغير، وإقطاع الخليل، ثم إقطاع الخليل، ثم إقاع الجولان وأخير إقطاع الداروم".

(٥) هو حصن إسكندليون J. Prawer; The Lat. Kingdom; ١٢٩-١٣١

وتكون مجلس المملكة في عهد الملك بلدوين الثالث من الملك بلدوين نفسه وأمه ميليسند وأساقفة قيسارية والناصرة وعكا وصيدا وبيروت وبانياس وبيت لحم ومقدماً لفرسان الداوية والإسبتارية وكند سبطل المملكة وسادة نابلس وطبرية وصيدا وقيسارية وبلاد ما وراء الأردن وتبنين وبيروت وآخرون كثر[١] وذلك في مجلس عكا المنعقد سنة ٥٤٣هـ/ ٢٤ حزيران ١١٤٨م، ولم يحضره ممثلو أنطاكية والرها وطرابلس[٢] عند بحثهم أمر توجيه الحملة الصليبية الثانية ضد المسلمين أي أن قرروا مهاجمة مدينة دمشق[٣] ونتبين مما ذكر أمرين هامين هما: خضوع جميع أصحاب الإقطاعات الكبيرة والصغيرة التي تقع داخل إطار مملكة بيت المقدس لسيادة الملك بلدوين الثالث، وثانيهما: أن إمارات الشمال الثلاث كانت مستقلة وغير خاضعة لسلطة الملك بلدوين الذي ضعفت في عهده سيادة بيت المقدس على تلك الإمارات وهي أنطاكية والرها وطرابلس. وهذا يدل على أن سلطة الملك كانت متباينة من حين لآخر، فمن الناحية النظرية، كان الملك هو القائد العام للجيش، بينما كانت القيادة مجزأة بين عدد من السادة، ومثال ذلك اتخاذ جاي لرزيجنان ملك القدس، القرار الخطير بالمسير نحو حطين لملاقاة المسلمين بالرغم من معارضة ريموند[٤] بشدة ونصحه بالانتظار في صفورية. وفي سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م رفض الداوية المشاركة في الحملة التي قادها أملريك على مصر، وليم يرسلوا جيشاً، لأنهم اعتبروا أن هذه الحملة غير عادلة لكونها هجوماً على حلفائهم الفاطميين[٥].

---

(١)W. of Tyre; A Hist of deeds; vol. ٢; ١٨٥

الحملة الصليبية الثانية من كتاب وليم الصوري: جـ١ : ٤٣١.

(٢)Virgine; "٢nd Crisaders"; Setton' The Crusades; vol. ١;٥٠٦.

(٣)W. of Tyer; A Hist of deeds; vol. ٢; ١٨٦.

(٤) هو ريموند الثالث كونت طرابلس، انظر. سعيد عاشور " الحركة الصليبية: جـ١٣٠٦ : ٢.

Joseph Dahmus; Seven Decisive Battles of The Middie Ages; ١١٥.

Nelscon-Hall Chicago. C ١٩٨٣.

(٥)Stevenson; The Crusaders; ١٩٣. W. of The Tyre; Ibid; vol. ٢; ٣٥٠-٣٥١, Ls Monte; Feudal Monarchy; ١٤٠.

حددت سلطة الملك في السيادة الإقطاعية بقانون نص على أنه: " ليس للملك أي شرعي بطلب خدمات خاصة من خارج مملكته"، أي من الإقطاعات الخارجة عن نطاق سيادة مملكة بيت المقدس، أما أمر الملك أتباعه لخدمة مصلحة المملكة، فعليهم أن يقدموا تلك الخدمات[١] ولكن على نفقة الملك، وإذا رفض الأتباع ذلك بالرغم من دفع الملك أجرة عالية لهم، اعتبروا مهملين وتصادر إقطاعاتهم[٢] وكانت سلطته فعلية في الأحوال العادية وله سيطرة على جميع القلاع والحصون في المملكة، ويمكن له أن يطلب قلاعاً خاصة عند الحاجة[٣]. وكانت إمارة الجليل إمارة مستقلة حظي أميرها تانكرد بمنزلة كأمير أنطاكية، أما إقطاع ما وراء الأردن فقد بلغ أوج قوته في عهد أسرة ميللني سنة ٥٥٦هـ/ ١١٦١م، وفي عهد رينالد شاتيون (أرناط)[٤].

وراثة الإقطاع:

أجاز نظام الإقطاع السائد في مملكة بيت المقدس بانتقال حقوق الإقطاع بالوراثة للولد الأكبر بعد وفاة والده. وكان هذا النظام معروفاً لدى الأوروبيين منذ نهاية القرن العاشر الميلادي ويحق للسيد في أحوال خاصة أن يسترجع الإقطاع، إن لم يكن هناك وارث للمقطع أو عند وفاة المقطع (الرمزي) في الإقطاعات الدينية، وهو الأسقف أو غيره حتى يتم تعيين شخص آخر مكانه[٥].

(١) سعيد عاشور: المرجع ذاته: جـ١: ٤٩١ (الحاشية). (ومن ذلك أن أمراء صيدا والجليل كان على كل منهم أن يقدم للملك مائة فارس كامل العدة في وقت الحرب. في حين كان على أمير شرق الأردن تقديم ستين فارساً).

(٢) La Monte; Ibid; ١٥٤-١٥٥

(٣) La Monte; Feudal Monarchy; ١٦٥

(٤) J. Prawer; The Lat. Kingdom; ١٢٧\١٣١

(٥) طرخان: النظم الإقطاعية: ٢٧٩. "TKta"; The Encyclopedia of Islam; ١٠٨٩

مظاهر النظام الإقطاعي لمملكة بيت المقدس:

وجد في مملكة بيت المقدس ثلاثة أنواع من الإقطاعات تأثرت جميعها بالناحية العسكرية التي أملتها الظروف التاريخية التي رافقت تأسيس مملكة بيت المقدس. وأولها هذه الأنماط هو: (إقطع الأراضي الزراعية) الذي يقوم بموجبه التابع (المقطع) بتقديم خدمات ذات طابع عسكري، فيقدم البارون مثلاً الفرسان والمشاة عند حاجة المملكة الدفاعية ضد المسلمين ومثال ذلك ما قام به هيوفو لكنبرغ وريث الجليل بعد تانكرد من إرسال ثمانين فارساً نجدة للملك بلدوين الأول في أرسوف بعد هزيمته أمام المصريين في سنة ٤٩٦هـ/ ١٦ أيار ١١٠٢م[١].

وقد أورد لاموت ما كتبه إبلين (Ibelin)[٢] حول عدد الفرسان المطلوبين من إقطاعات مملكة بيت المقدس حوالي سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٣م.

	فارس		فارس
يافا وعسقلان	١٠٠	القدس	٦١
الجليل	١٠٠	نابلس	٧٥
صيدا	١٠٠	عكا	٨٠
الشوبك	٦٠	صور	٢٨
إقطاعية جوسلين	٢٤	الداروم	٢
		بيروت	٢١

(١) Fulcher; Expeotion; ١٧١.

عبد الأمير محمد: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى: ٢٣٩.

(٢) هو أحد قانوني القرن الثالث عشر الميلادي، سميل الحروب الصليبية: ٩٦.

وربما يعود التباين في أعداد الفرسان المعينة من قبل هذه الإقطاعات إلى سعة مساحتها وخصب أراضيها. وقد استنتج لامونت من دراسة لوائح الخدمات لهذه المدن، بأن خدماتها تقدم من قبل البارونات، وليس من أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة فمدينة عكا ترتب ثمانين فارساً، عشرة منهم عينوا من قبل كند سبطل المملكة آموري دي لوزيجان[١].

واجه إقطاع الأراضي مشكلة تتعلق بزيادة أو نقصان عدد الفرسان فيها وفقاً للظروف المحيطة بكل منها، فعندما تقل أعداد العاملين بها من ناحية، وعندما يقوم المسلمون بغزو الأراضي المقطعة من ناحية أخرى، تقل قيمة الإقطاع الزراعي من حيث الدخل وما يقدمه التابع لسيده من الفرسان وذلك عكس إقطاع المدن ذات الموارد المستقرة، مما يؤدي إلى ارتفاع تكلفة الفارس الواحد في الإقطاع الزراعي. وتقل أهمية الفرسان في الأوقات التي يسودها الأمن، أو تصادف مجيء حملات صليبية جديدة تجلب معها أعداداكبيرة من أوروبا للشرق[٢] وقد اعتمد الصليبيون بشكل رئيسي على الكزارعين المحليين في فلاحة الأراضي الزراعية على أساس المقاسمة تارة مثالثة، وأخرى مرابعة[٣]. وكثير منهم مسلمين[٤] وأفضل نماذج الإستطيان الزراعي عرفت في الجهات الساحلية وإقطاعات فرسان الطوائف الدينية[٥] وقاموا بزراعة محاصيل ومزارع كثيرة فزرعوا الحبوب بكافة أصنافها وأشجار الزيتون، وكروم العنب والتين وسائر أشجار الفاكهة، والحمضيات وقام الإستبارية بزراعة قصب السكر قرب طبرية وقد عانى المسلمون والسوريون واليهود من مزاحمة تجار الفرنج لهم[٦].

---

(١) a monte; Feudal monarchy; ١٤٧

رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ٤٧٧-٤٧٨.

(٢) La Monte; Ibid; ١٤٩

(٣) طرخان: النظم الإقطاعية: ٢٤٢.

(٤) سميل: المرجع ذاته: ٥٤.

(٥) Prawer; The Lat. Kingdom; ٢٥٦

(٦) المزيد من التفاصيل انظر: Prawer; The Lat. Kingdom; ٣٥٥-٤١٢

وثاني هذه الأنماط هذا الإقطاع النقدي:

ويقوم بموجبه التابع بالجباية من المدن المقطعة مقابل الالتزام بالقيام بخدمات عسكرية وتجهيز عدد معين من المقاتلين عند الحاجة، وكان هؤلاء من السادة الإقطاعيين العلمانيين الذين حازوا عائداً نقدياً ثابتاً من بعض المدن والقرى، فقدموا في مقابل ذلك عدداً معيناً من الجند للسيد وقت الحاجة[(١)] وهذه المنح والإقطاعات يصح توارثها، ويكاد يكون مستحيلاً على الملك أن يلغيها. وهناك أمثلة عديدة حيث منح الملك فولك في سنة ٥٣١هـ/ ١١٣٦م أهل مرسيليا المقيمين في المملكة (٤٠٠ بيزنت) من ضرائب يافا، وفي سنة ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م منحت ميليسند، الداوية ثلاثة قناطير و (٣٠٠ ليبرة) من إنتاج نابلس من الزيت[(٢)]. وقد بين إبلين قائمة من (Sergeant) في المملكة يصل مجموعها إلى (٦٠٢٥) رقيباً ينتمون إلى الكنائس والأديرة المختلفة والمدن.

(١) رنسيمان: المرجع ذاته: جـ٢: ٤٧٧.

(٢) La Monte' Feudal Monarchy; ١٤٢


الإقطاعات اللاتينية في فلسطين ١١٨٧م
عكا
حيفا
اقطاع حيفا
اقطاع عكا
اقطاع سانت جورج
اقطاع الشقيف
اقطاع مارون
اقطاع قيسارية
قيسارية
اقطاع بيسان
اقطاع نابلس
نابلس
ارسوف
اقطاع ارسوف
يافا
اقطاع يافا وعسقلان
منطقة
القدس
السيادة الملكية
عسقلان
غزة
الخليل
اقطاع غزة
اقطاع الخليل
الداروم
اقطاع الداروم
البحر المتوسط
البحر الميت
الأردن
بحيرة طبرية
صفد

	العدد		العدد
بطريركية بيت لحم	٢٥٠٠	مدينة نابلس	٣٠٠
بطريركية اللد	٢٠٠	مدينة صور	١٠٠
بطريركية عكا	١٥	مدينة يافا	١٠٠
رئيس بطريركية صور	١٥٠	بطريركية وكنيسة القيامة	٥٠٠ لكل منهما
رئيس بطريركية قيسارية	٥٠	أديرة Jopsaphat وجبل صهيون	١٥٠ لكل منها
مدينة قيسارية	٥٠	جبل الزيتون	٥٠[1]

وقد بلغ إقطاع الفرسان النقدي ما بين (٤٠٠-٦٠٠) وربما (١٠٠٠) بيزنت في السنة معتمداً على الحاجة إلى الرجال، وفي بعض الحالات كان جزءاً منها يدفع نقداً والجزء الآخر عينا[2]:

أما الخط الثالث من أنماط الإقطاع فهو (الإقطاع الكنسي):

منحت مملكة بيت المقدس فرسان الهيئات الدينية إقطاعات خاصة بهم تمثلت في إمتلاكهم للعديد من القلاع والحصون ومشاركتهم في الدفاع عن أراضي مملكة بيت المقدس فتسلم الداوية حصون غزة وصفد وحصن الأكرد، كما تسلموا في سنة ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م انطرموس. أما الإستبارية فقد تسلموا حصن بانياس قلعة كوكب الهوى إضافة إلى حصون أفامية أبو قبيس التي منحت لهم من قبل بوهيمند الثالث صاحب انطاكية[3] وفي سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م منح ريموند الثاني كونت طرابلس فرسان القديس يوحنا مساحة واسعة من أراضي بلاده، وفي سنة ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م منحهم بوهيمند الثالث

(١)La Monte; Ibid; ١٥٠.

(٢)طرخان: النظم الإقطاعية: ١٥٣. La monte; Feudal Mouarchy; ١٥٠،

(٣) ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٥٥٨.

W. of Tyre; A Hist of Deeds; vol.٢;٣٧٢, Stevenson; The Crusaders' ١٩٢

صاحب أنطاكية حصن أفامية[(١)]. قد مارسوا دوراً عسكرياً هاماً في تاريخ المملكة، لكنهم لم يكونوا ملزمين بالقتال إلى جانب الجيش اللاتيني[(٢)] إذ بذل فرسان الإستبارية بزعامة جيلبرت كافة جهودهم وأموالهم للمشاركة في حملة الملك أملريك على مصر في سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م، فاتفق معه على تسليمه بلبيس كأقطاع دائم للإستبارية فيما لم تم لها إخضاع مصر[(٣)]. بينما وقفت الداوية موقفاً معارضاً منها، إذ رفضوا مشاركة الملك فيها أو تزويدع بالجنود لأن هذه الحملة تتناقض مع فحوى المعاهدة المعقودة مع مصر، تلك القوة الحليفة، ولأن سيدهم الأكبر جيوفري فولشر هو الذي وقعها عن الصليبيين[(٤)] وهذا يدل على وجود القوة العسكرية لدى هذه الطوائف الدينية.

٤. جيش مملكة بيت المقدس في ظل نظام الإقطاع:

كانت النواة الأولى للجيش اللاتيني في مملكة بيت المقدس لا تزيد عن ثلاثمائة فارس في عهد جود فري عند توجهه إلى عسقلان لملاقاة حملة فاطمية كانت تقصد بيت المقدس[(٥)]. لكن هذا العدد تقلص حتى بلغ أوائل عهد الملك بلدوين الأول، سنة ٤٩٦هـ/ ١١٠٢م (٢٠٠ فارس)[(٦)]. ولكن بعد اتساع مملكة بيت المقدس، وحسب تقديرات إبلين، فقد وصل عدد الفرسان فيها من سائر الإقطاعات (٦٥١) فارساً وحوالي (٦٠٢٥) من المشاة من كافة الرتب)[(٧)].

---

(١)Prawer; The Lat Kingdom;٢٧٠.

(٢) سميل: الحروب الصليبية: ١٠٤.

(٣) حسين مؤنس: نور الدين: ٣٠٦.

Stevenson; The; ١٨٦. W. o TYre; A Hist of Deeds; vol.٢;٣٥٠

(٤) Stevenson; Ibid; W. of Yyre; Ibid; vol. ٢:٣٥٠-٣٥١

(٥) Conder; The Lat Kingdom; ٧٠, H. Fink; "Foundation"; Setton; The Crusades; vol, I; ٣٨٤.

(٦) ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٣٤٦ ساريردويل صاحب القدس إلى عسقلان في سبعمائة فارس (حوادث سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠١م) Fulcher; Expeidition; ١٦٨.

(٧) يرى سميل في كتابه الحروب الصليبية: ٩٦. أن "عدد الفرسان هو (٦٧٥) فارساً.

La Monte; Feudal Monarchy; ١٤٠, ١٥٨.

عناصر الجيش وتشكلاته:

شكل الفرسان الذين كانوا يدينون بالخدمة العسكرية مقابل إقطاعاتهم المؤلفة إما من الأرض أو المال، العمود الفقري لجيش المملكة(١)، كما كان للمشاة دور هام، في الحروب حيث عزا المؤرخ لدلبيك سبب هزيمة بلدوين الأول في الرملة سنة ٤٩٦هـ/ ١١٠٢م إلى أن الملك خاض المعركة بدون جنود مشاة(٢). وضم جيش مملكة بيت المقدس جماعات من عناصر مختلفة فمنهم الموازنة، والفرنج (الحجاج) والأرمن واللاتين القادمون من بيزنطة، وفرقة من الحلبيين المهمرة في تقويض الحصون والأسوار ودكها(٣).

وكان "للطوائف الدينية" وزن كبير في الجيش اللاتيني وهي طائف الدواية(٤) والإسبتارية(٥) وفرسان التيوتون الذي ساعدوا جميعا على بقاء المملكة(٦)، وتسلمت هيئة الإستبارية حراسة قلعة بيت جبرين منذ سنة ٥٣٢هـ/ ١٣٧م وقلعتين في طرابلس وكان الدواية مع جيش بلدوين الرابع حينما انتصر على صلاح الدين في تل الجزر(٧)، وكانت إحدى طائفتي الداوية والإسبتارية أو كليهما تشكلان جزءاً هاماً من كل جيش استدعاه ملوك القدس(٨) وبلغ من شدتهم في القتال أن السلطان كان دوماً يأمر بقتل أسراهم(٩).

---

(١) La Monte; Ibid; ١٣٩.

سميل: المرجع ذاته: ٩٥.

(٢) سميل: المرجع ذاته: ١٢٠.

(٣) الأب بطرس ضو: تاريخ الموازنة: ٤٨٠-٤٨١.

(٤) وهي فرقة دينية عسكرية تأسست على يد هيودي بانيز في سنة ٥١٢هـ/ ١١١٨م وكانت مهمتها الأساسية هي حماية الحجاج المسيحيين ومرافقتهم في طريقهم من الساحل إلى القدس. ومن القدس إلى كافة الأماكن المقدسة في نهر الأردن.

رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ١٥٠. Prawer; The Lat Kingdom; ٢٥٦-٢٥٧

(٥) وهي جماعة من الأتقياء أنشأوا ٧٠ أنزالاً في بيت المقدس يأوي إليه الحجاج الفقراء وتدين للبابا مباشرة بالطاعة. رنسيمان: المرجع ذاته: جـ٢: ٢٤٨-٢٤٩.

(٦)La Monte; Feudal Monarchy; ١٣٩

(٧) حصن من أعمال فلسطين (ويقع بالقرب من الرملة). ياقوت: معجم البلدان: جـ٢: ٤١.

(٨) سميل: الحروب الصليبية: ٩٧، ١٠٠.

(٩) ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٥٣٨.

أما المرتزقة فقد أشار وليم الصوري إلى وجـود الفرسـان والمشاة والمرتزقـة في حاميـة بانياس[١]. وفي سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م وعد الحجاج الذين أرغمهم الملك بلدوين الثالـث على الالتحاق به في حصار عسقلان بمنحهم أجرة عـلى خـدماتهم[٢]، وكـان المرتزقـة مـن السكان المحليين في سوريا، خصوصاً من الأرمـن والمـارونيين. وكـان هنـاك مرتزقـة مـن الفرنج الذين بقوا في سورية وخدموا مقابل مرتبات منتظمـة دفعـت لهـم[٣]، وأكثـر هـذه الفئات أهمية فئة التركبولية وهي فرقة من الفرسان المدرعة بالدروع الخفيفـة، وينحـدورن من آباء من الترك وأمهات مسيحيات من اليونان في الغالب[٤]. وأصـبحت جـزءاً أساسـياً من القوات اللاتينية إلى حـد أن المعـاصرين لهـم كـانوا يـذكرونهم إلى جانـب الفرسـان في الجيش، وقد زود مقدم هيئة الإستبارية الملك أملريك بمجموعة من الجند لغـزو مـصر، إذ وعده بخمسمائة جندي من الأتراك المسلحين تسليحاً جيداً "وبرعوا في اسـتخدام لقـوس، وكان سلاحهم الرئيسي الرمح والسيف"[٥].

وبالإضافة إلى الجيش اللاتيني بعناصره المختلفـة[٦] كانـت أوروبـا مـصدراً للمـوارد البشرية (العسكرية) بما ترسله من جيوش وما يفد منها من الحجاج والتجار إلى مملكة بيت المقدس فمنهم من يلتحق بجيش المملكة، ومنهم من يساهم في تمويل هذا الجـيش، إضـافة إلى ما يفرض على التجار القادمين من الغرب من ضرائب.

أما الموارد المالية: فتمثلت في الضرائب بأنواعها المختلفـة، حيـث أقـر مجلس المملكـة الذي انعقد في نابلس في سنة ٥٤١هـ/ ١١٢٠م ضريبة العشر التـي فـضت عـلى الغـلات

(١) أبو شامة: اروضتين: جـ١: ق١: ٢٦٨-٢٦٩. (أرسل الفرنج إلى بانياس سرية وافرة العدد إلى ناحية بانياس تقوية لم وعدتهم سبعمائة فارس سوى الرجال. سميل: المرجع ذاته: ٩٩-١٠٠.

(٢) W. of Tyre; A Hist of Deeds; vol. ٢; ٢٢٢

(٣) La Monte; Ibid; ١٦٠-١٦١.

(٤) طرخان: النظم الإقطاعية: ١٥٤.

(٥) سميل: الحروب لصليبية: ١١٠.

(٦) Prawer; The Lat Kingdom; ٢٧٨.

الزراعية وكذلك على الغنائم[1]. هذا بالإضافة إلى ما يأخذه النبلاء من الفلاحين والذي يصل إلى ثلث إنتاجهم السنوي، وإصافة لتلك الضرائب فقد دفع الفلاحون الضرائب على أشجار الفاكهة وأشجار الزيتون. أما ضريبة العشر فلم يدفعها المسلمون إلا بعد اجتماع نابلس المشار إليه سابقاً[2] وبالإضافة إلى الضرائب السابقة فقد فرضت على المسلمين ضريبة الرؤوس[3] وقدر متوسط الدخل من القرى بـ (٥٠٠) بيزنت (دينار).

هذا من ناحية الزراعة، وهناك دخول أخرى للمملكة تتمثل في ما ينفقه الحجاج والتجار خلال إقامتهم في المملكة. أما التجارة فلعبت مدن الساحل دوراً بارزاً في تصدير ما ينتج داخل المملكة من الفخار والصناعات اليدوية والسكر والزجاج والمنسوجات واشتهر في هذه الصناعات الحرفيون من السكان المحليين خاصة في صور وبيروت، كما اشتهر اليهود بصناعة الأوعية الزجاجية، وكانت هذه المصنوعات تنقل إلى بلاد أوروبا، ويقوم تجار هذه المدن باستيراد ما تحتاجه المملكة مما تنتج البلاد الأوروبية.

وكانت الضرائب التي تدفعها الجماعات الغنيسية والبيزاوية والجنوبية أقل مما يدفعه السكان المحليون والأجانب، ولعل ذلك راجع إلى تشجيع المملكة للحركة التجارية مع البلاد الأوروبية وكانت السف التجارية تدفع نوعين من الضرائب. الأولى: (Tercitim) وشتكل ثلث تكاليف نقل البضائع، والثانية: (Anchogium) وتدفع على رسو السفن. وكانت تدفع ضريبة (Carates) وتدفع بموجبها ٢٪ من قيمة البضاعة أما ضرائب الأسواق فكانت على نوعين: ضرائب على التجارة والتجار، وأخرى تمثل رسوم استعمال المقاييس والأوزان[4]، وكان لهذه الضرائب دور في تنمية القوة العسكرية للمكلة بيت المقدس. وفي سنة ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م قسم الفونسو الأول ملك أراجون (Aragon)

---

(١) Prawer" Ibid; ٢٥٨

(٢) Prawer; Ibid; ٣٧٠-٣٩٩

(٣) سميل: المرجع ذاته: ٥٤

(٤) Prawer; The Lat Kingdom; ٣٧٨،٣٨٢-٣٩٣.٣٩٥-٣٩٦،٤٠٣-٤٠٤،٤٠٨-٤٠٩.

ونافار (Navarre) جميع مملكته بالتساوي بين الإستبارية والداوية وكنسية القيامة، وكان ثلث عوائد الإستبارية المالية في الخارج تحول إلى مركزها في الأرض المقدسة، وكذلك فعل الداوية[1].

ونستشف مما ورد في هذا الفصل أن قوة مملكة بيت المقدس قد تكاملت، وأبعادها قد اتسعت في النصف الأول من القرن الحادي عشر خلال عهود ملوكها الأوائل الذي تميزت فترة حكم كل منهم بالاستقرار الداخلي والتوسع الخارجي لبناء الدولة القوية. إذ عالجوا كافة المشاكل التي واجهتهم عند تأسيسها. وأقاموا نظاماً دفاعياً قوياً قائم على تشييد العديد من القلاع الوحصون لصد هجمات المسلمين.

وهذا ما يدعونا للبحث في العلاقات السياسية التي واكبت تأسيس المملكة ونضوجها على مدى قرن من الزمان مع إمارة دمشق في عهودها الثلاثة المتوالية، الأتابكية الزنكية والأيوبية.

(١) Prawer; Ibid; ٢٦٢-٢٦٣





الفصل الثالث

العلاقات السياسية بين إمارة دمشق الأتابكية ومملكة بيت المقدس

(٤٩٨هـ/١١٠٤م – ٥٤٩هـ/١١٥٤م)



شهد مطلع القرن الثاني عشر الميلادي قيام مملكة بيت المقدس اللاتينية في القسم الجنوبي الغربي من الشام (فلسطين وجنوب لبنان) وتوطد أركانها في عهد الملك بلدوين الأول وخلفائه، هذا في الوقت الذي استطاع فيه ظهير الدين طغتكين أتابك أن يسطر على الحكم في دمشق بعد وفاة تتش بن دقاق السلجوقي، وأن يؤسس فيها إمارة إسلامية قوية[١]. وتعاظمت قوة أتابكية دمشق في الوقت الذي تمكنت فيه مملكة بيت المقدس من إحراز تقدم اقتصادي تجاري، وتوسع إقليمي حيث بسطت سلطانها على مدن الفاطميين الواقعة على ساحل البحر المتوسط[٢].

ونتج عن هذه التطورات عدم استقرار في العلاقات السياسية بين إمارة دمشق ومملكة بيت المقدس وقد مرت هذه العلاقات في مرحلتين أساسيتين عقدت خلالهما الهدن والاتفاقيات التي نظمت هذه العلاقات بينهما وهما:

أولاً: المرحلة الأولى: مرحلة بناء إمارة دمشق الأتابكية وتأسيس مملكة بيت المقدس اللاتينية.

١. العلاقات السياسية بين الطرفين:

كانت إمارة دمشق القوة الإسلامية الرئيسية في الشام في نهاية القرن الخامس ومطلع القرن السادس الهجري، أي مطلع القرن الثاني عشر الميلادي. ولذلك تصدت لأطماع الصليبيين الذي لم يخدورا جهداً منذ سقوط القدس في أيديهم، في التوسع على حساب مدن الساحل الفاطمية ومدن الداخل التابعة لإمارة دمشق. وهذا جعل العلاقات بينهما سيئة منذ البداية، لكن مصلحة وظروف كل منهما فرضت الموادعة والمهادنة بينهما لمدة معينة وبشروط متفق عليها من الطرفين.

ففي سنة ٤٩٤هـ/ ١١٠١م وقع اتفاق بين ظهير الدين أتباك وبلدوين الأول ملك القدس نص على أن يقسم إنتاج السواد وجبل عوف أثلاثاً، ثلث لدمشق وثلث لبيت

---

(١) ابن القلانسي: المذيل: ١٤٤، خالد معاذ: "دمشق في أيام عساكر" كلمات حول ابن عساكر: ١٣٦.

(٢) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٢٥، ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٣٢٥.

المقدس والثلث الأخير للفلاحين[١]. وقد وقع هذا الاتفاق بعد انتصار الملك بلدوين الأول على الفاطميين عند يبنى في فلسطين في سنة ٤٩٤هـ/ ٧ أيلول من سنة ١١٠١م[٢]، الأمر الذي جعل ظهير الدين أتابك يوقع هذا الاتفاق درءا لشراهم. وعندما شرع بلدوين الأول في سنة ٤٩٩هـ/ ١١٠٥م في بناء حصن علعال بين السواد والبثنية، خشي ظهير الدين أتابك من إتمام بناء هذا الحصن لقربه من أراضي دمشق وتهديده الدائم لها، مما دعاه لمهاجمته فمكله، بعد قتل وأسر من فيه. وكانت بذلك ضربة وقائية لأطماع بلدوين الأول وعاد بعدها إلى دمشق في خامس عشر ربيع الآخر من سنة ٤٩٩هـ/ ١١٠٥م[٣] اتصف ظهير الدين أتابك بحسن معاملته لرعيته وشدة غيرته على الدين، ومواظبته على جهاد الصليبيين، فقد أغار على طبرية في سنة ٥٠١هـ/ ١١٠٧م والتقى صاحبها جرفاس[٤]، فانتصر عليه وحمل جرفاس مع جماعة من أصحابه إلى دمشق أسرى[٥]. وطلب ظهير الدين من الملك بلدوين لقاء إطلاق سراح جرفاس، مدن طبرية وعكا وحيفا، ولما رفض بلدوين هذا الطلب أمر ظهير الدين بقتل جرفاس[٦].

وتنبه ظهير الدين لأهمية القطاع الجنوبي من شرق الأردن بعد أن خضعت غالبية مدن الساحل لبيت المقدس، الذي يعني توجههم نحو الجنوب والشرق، مما يهدد بقطع المواصلات التجارية. وطرق الحج بين دمشق والحجاز، فيعتذر الاتصال مع الديار

---

(١) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة: جـ٥: ١٨٠. J. Prawer; The Lat. Kingdom: ١٧.

(٢) Fulcher; Expedition; ١٦-١٩.

(٣) ابن القلانسي: المذيل: ١٤٩.

(٤) هو جرفاس بوسرك صاحب طبرية، وهو من مقدمي الأفرنج المشهورين بالفروسية، والشجاعة والبسالة يجري مجرى الملك بلدوين في التقدم على الإفرنج "رنسيمان تاريخ: جـ١٥٥:٢، ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٥٨.

(٥) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ١٦١-١٦٢.

(٦) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ١٦٢ "أن ظهير الدين لم يقبل بفديه" سهيل زكار: الحروب الصليبية: جـ٢ "الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية" من تاريخ العظيمي: ٦٦٧، رنسيمان: المرجع ذاته: جـ٢: ١٥٦.

المصرية. فانتهز وصول أحد أمراء التركمان ويدعى الأصفهيد[1] التركماني إلى دمشق في جموع من قواته وأهله. فأكرمه ظهير الدين وأطقعه وادي موسى ومؤاب والشراة، ومنطقة البلقاء، وقد أراد بهذا العمل حماية السكان في هذه المنطقة من غارات الصليبيين في بيت المقدس إضافة للمحافظة على استمرار طرق القوافل التجارية بين دمشق ومصر والحجاز بشكل دائم[2].

أدرك الفرنج خطورة وجود قوة إسلامية في هذه المنطقة، فانتهزوا الفرصة وهاجموا الأصقهيد وفرقوا جموعه فانهزم أكثر جنده، وهو معهم إلى الشمال فتلقاه طغتكين. ولما تحطمت آمال ظهير الدين في السيطرة على هذه المنطقة، اضطر إلى مسالمة الفرنج، فعقد هدنة بين دمشق ومملكة بيت المقدس[3] في سنة ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م وبهذا ضمن الاتصال التجاري بين دمشق والقاهرة والبحر الأحمر[4].

وفي سنة ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م سار ظهير الدين إلى طبرية فالتقى بابن أخت بلدوين[5] ملك بيت المقدس فانكسر الفرنج وأسر ابن أخت الملك، ثم تصالح ظهير الدين مع

---

(١) أصبهبذ: معناه حاكم مقاطعة (فارسية) صدر الدين الحسيني: زبدة التواريخ: ١٣٢: تحقيق محمد نور الدين. دار أقرأ: بيروت ط١. ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ومعناه قائد العسكر وهو أيضاً اسم وعلم لملوك طبرستان: فلعل الأصبهبذانية نسبة إلى اسبهبد. آدي ثير: الألفاظ الفارسية المعربة: ١٠٧.

(٢) ابن القلانسي: المذيل: ٥٤. غوانمة: إمارة الكرك في الصراع الصليبي في الأراضي المقدسة: ٦٩، منشورات بلدية الكرك، ١٤٠٠هـ/ ١٦٨٠م. الأردن، وسيرد إمارة الكرك الأيوبية.

(٣) سهيل زكار: الحروب الصليبية: جـ٢ الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية، من مرآة الزمان لبسط ابن الجوزي. مخطوطة مكتبة احمد الثالث في استانبول رقم ٢٩٠٧س.جـ١٣: ٦٥٠.

Comder; The Lat. Kingdom; ٨٩.

(٤) غوانمة: المرجع ذاته: ٦٩-٧٠.

(٥) أورد أن صاحب طبرية الذي اشترك في معركة سنة ١١٠٧م ضد دمشق هيودي سانت أومر.

W. of. Tyre; A Hist of Deeds; Vol, I.٤٧٠.

أسطفان الدويهي: تاريخ الأزمنة: ٩٨ "فبذل في فداء نفسه إطلاق خمسماية أسير وثلاثين ألف دينار فأبى طغتكين وذبحه".

بلدوين الأول على وضع الحرب مدة أربع سنين[١]، وأستقر أن يكون السواد وجبل عوف أثلاثاً لدمشق الثلث ولبيت المقدس ثلثاً آخر وللفلاحين الثلث المتبقي[٢]. وتعتبر امتداداً لاتفاق سنة ٤٩٦هـ/ ١١٠١م، غير أنها لم تؤدي إلى وقف الاشتباك بين المسلمين والفرنج بأعمال دمشق وما يجاورها من البلاد[٣]. فقد هاجم الفرنج مدينة طرابلس وملكوها بالسيف يوم الاثنين ١١ ذي الحجة من سنة ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م[٤]، وتوجهوا بعدها إلى رفنية التابعة لدمشق فسار ظهير الدين إلى حمص لحامية رفنية، حيث جرت مراسلات بين الطرفين أفضت إلى الاتفاق على أن يكون للفرنج ثلث إنتاج البقاع، وأن يسلم ظهير الدين لملك القدس حصني المنطيرة[٥] وابن عكار[٦] مقابل عدم اعتداء الفرنج على أعمال دمشق وأن يدخل في الموادعة أهالي حصون مصايف والطوبان[٧] والأكراد على أن يدفع أهل كل منها مالاً لبيت المقدس في كل سنة[٨]. لكن الفرنج نقضوا الاتفاق وعادوا إلى الفساد[٩]. حيث أغار ملك القدس بلدوين الأول في صفر سنة ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م على ناحية بعلبك

---

(١) ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٤٦٧ "حمل إلى طغتكين.. وبذل في فداء نفسه ثلاثين ألف دينار وإطلاق خمسمائة سير فلم يطلقه"، محمد كرد علي: خطط الشام: جـ١: ٢٩٣، المطبعة المدينة بدمشق، ١٣٤٣هـ/ ٩٩٢٥م، المعاضيدي: الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي: ١٧٣-١٧٤. "رسالة دكتوراة من جامعة القاهرة ١١٩٧٣م ط١، دار الحرية للطباعة، بغداد: ١٩٧٥-١٩١م.

(٢) ابن القلانيس: المذيل: ٢٦٤، سبط ابن الجوفي: مرآة الزمان: جـ٨: ق١: ٢٨، محمد كرد علي: المرجع ذاته: جـ١: ٢٩٣، المعاضيدي: المرجع ذاته:١٧٤ "وقعت هذه الهدنة كتجديد للهدنة الأولى خشية من تهديد السلاجقة لدمشق".

(٣) المعاضيدي: المرجع ذاته: ١٧٣.

(٤) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠: ٢٧٦.

(٥) حصن بالشام قريب من طرابلس. ياقوت: معجم البلدان: جـ٥: ٢١٧.

(٦) قطعة صغيرة في شمال لبنان (٢٥ ميلاً تقريباً إلى الشمال الشرقي من طرابلس تربض فوق جرف جبلي على السفح الشمالية لجبل عكار). ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٦٤. (الحاشية).

(٧) لم أجده في المراجع التي استخدمتها.

(٨) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٦٤، سبط الجوزي: المصدر ذاته: جـ٨: ق١: ٣٠-٣١، محمد كرد علي: المرجع ذاته: جـ١: ٢٩٤.

(٩) سبط ابن الجوزي: المصدر ذاته: جـ٨: ق٣١.

وترددت المراسلات بينه وبين ظهير الدين أتابك حتى تقررت الموادعة بينهما على أن يكون الثلث من إنتاج البقاع لبيت المقدس، والثلثان المتبقيان لدمشق والفلاحين، وعاد بعدها بلدوين إلى بلاده[1] وهكذا فقد استغل بلدوين الأول فكرة الإغارة والتهديد في أعمال دمشق سبيلاً للحصول على مكاسب اقتصادية من دمشق ودون قتال. ولم يكتف بلدوين بذلك، فقد نقض الهدنة حينما كتب لابن صنجيل[2] يلتمس منه الوصول بعسكره ليجمع بع في طبرية لأمر في نفسه، فسار إليهم ظهير الدين في جيشه إلى رأس الماء[3] ثم رحل عنه إلى اللجّاة[4]، فتبعه الفرنج إلى الصمنين[5]، غير أن أتابك قسم جيشه في عدة جهات وبث فرساناً تمنع وصول الميرة إليهم، مما ألجأهم إلى الدخول في الموادعة التي استقرت بينهما على أن يكون بلديون النصف من ارتفاع جبل عوف والسواد والحبانية[6] إضافة إلى ما في يده من الأعمال، وعاد كل منهما إلى بلاده في آخر ذي الحجة من سنة ٥٠٤هـ/ ١١١٠م[7].

وفي إطار سياسة الصليبيين في السيطرة على مدن الساحل تقدم الملك بلدوين الأول ملك القدس بمن معه من الإفرنج إلى مدينة صور وحاصرها في الخامس والعشرين من جمادى الأولى سنة ٥٠٥هـ/ ١١١١م. وكان واليها الفاطمي عز الملك الأعز قد أرسل إلى ظهير الدين أتابك الأموال وعرض عليه أن يسلم له البلد مقابل مساعدته بالرجال، فأغار

---

(١) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٧٣؟

(٢) برتراند بن صنجيل: أنظر: سعيد عاشور: الحركة الصليبية: جـ٢: ١٣٠٦.

(٣) اسمه الآن نبع الثريا قرب فقيع بحوران بين جاسم ونوى، يبعد عن دمشق ٧٠كم.
ابن القلانسي: المذيل: ٢٧٨ (الحاشية).

(٤) اسم للحرة السوداء التي بأرض صلخد من نواحي الشام فيها قرى ومزارع وعمارة واسعة يشملها الاسم.
ياقوت: معجم البلدان: جـ١٣:٥.

(٥) الصنمان: قرية من أعمال دمشق في أوائل حوران بينهما وبين دمشق مرحلتان.
ياقوت: المصدر ذاته: جـ٣: ٤٣١.

(٦) كورة بالسواد من أرض دمشق، وهي جبل جرش قرب الغور. ياقوت: المصدر ذاته: ص٢:٣٢٧.

(٧) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٧٨، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: جـ٨: ق١: ٣٥ "استقر الأمر على أن يكون بما كان من البلاد مثالثة ومناصفة، محمد كرد علي: خطط الشام: جـ١: ٢٩٦.

ظهير على أعمال الفرنج وقصد حصن الحبيس وهو لهم فملكه بالسيف وعاد لصور فقتل بعض رجال البحرية وأحرق نحو عشرين مركباً على الساحل، ودعا لصور فقتل بعض رجال البحرية وأحرق نحو عشرين مركباً على الساحل، ودعا أهل صور للثبات والمصابرة فخاف من أن يستولي على غلات بلادهم فساروا عن صور في ١٠ شوال متجهين إلى عكا[١]. واستقرت صور في يد سيف الدين مسعود والي بانياس من قبل ظهير الدين أتابك[٢].

كثف بلدوين الأول غارته على البثنية من أعمال دمشق، فنقطعت الطرق وغلت الأقوات بدمشق مما جعل ظهير الدين يبادر بالكتابة إلى مودود أمير الموصل يستدعيه للجهاد، فاستجاب مودود لدعوته وسار بجيشه إلى الشم في ذي القعدة من سنة ٥٠٦هـ/ ١١١٢م. وما أن سمع بلدوين الأول بالأمر حتى اجتمع مع جوسلين صاحب تل باشر[٣] واقطاع طبرية، واتفق على أن يرسل جوسلين، ظهير الدين ويعرض عليه الهدنة على أن يسلمه حصن ثمانين[٤] وجبل عاملة[٥] مقابل حصولهم إلى حصن الحبيس ونصف السواد، شريطة ألا يقوم أي منهما بالإغارة على أملاك الآخر، رفض ظهير الدين هذا العرض وأغار بمشاركة الأمير مودود على حسن ثمانين فلم يظفرا بشيء فعادا إلى دمشق في حين واصل بلدوين الأول غاراته على أعمالها[٦]، فأحرز ظهير الدين ومودود انتصاراً على جيشه في سنة ٥٠٧هـ/ ٢٨ حزيران ١١١٢م[٧].

---

(١) ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٤٨٨-٤٩٠.
(٢) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة: جـ٢: ق٢: ١٦٨-١٦٩.
(٣) قلعة حصينة وكورة واسعة في شمالي حلب، بينها وبين حلب يومان، ياقوت معجم البلدان: جـ٢: ٤٠.
(٤) لم أجده في كتب الجغرافيا التي رجعت إليها.
(٥) هو حبل واقع على ساحل بحر الشام، وجنوبه فلسطين ومن الشرق الأردن "الحولة" ووادي التيم. محسن الأمين: خطط: جـ١: ٧٤. أي (جنوب لبنان والجليل الأعلى)
(٦) ابن القلانسي: المذيل: ١٨٣-١٨٤.
(٧)وسترد

H. Fink; "The Role of Damascus in the History of the Crusdes" "Muslim World" XLIX; ٤٦. Fink; The Roleof of Damasus M. Worls; XLIX

ابن كثير: البداية والنهاية: جـ١٢: ١٧٥-١٧٦.

ولما نازل الصليبيين مدينة صور في سنة ٥١٨هـ/ ١١٢٤م أمر خليفة مصر الآمربرد ولايتها إلى ظهير الدين[١] الذي حاول الدفاع عن البلد، فسار بجيشه إلى بانياس وفي وقت ذاته أرسل إلى مصر يستنجدهم فلم ينجدوه، عندها راسل الفرنج[٢] واتفق معهم على تسليمهم المدينة بشرط السماح للسكان الراغبين بالخروج من المدينة مع الجند والرعية بسلام مع نسائهم وأبنائهم. والبقاء في المدينة لمن أراد[٣]. لكن بلدوين طمع في نهب أعمال دمشق فقد أغار في سنة ٥١٩هـ/ ١١٢٥م عليها ودمر ثلاثة من أغنى القرى وعاد بالغنائم إلى بلاده[٤].

وبعد وفاة الملك بلدوين الأول ملك القدس توجه ظهير الدين لقتال الفرنج حيث نزل بجيشه قرب دير أيوب[٥] فأتى إليه رسل الفرنج طالبين المهادنة فطالبهم بترك المناصفة التي بينهم من جبل عوف والصلت[٦]، والغور[٧]. فلم يجب إلى ذلك فسار إلى طبرية ونهبها ثم سار عنها إلى عسقلان[٨]. لذا استأنف بلدوين الثاني الغارات في أعمال دمشق مما جعل ظهير الدين يدعو التركمان للجهاد فوصل إليه نحو ألفي فارس، ونزل بجيشه في مرجه الصفر في السابع والعشرين من ذي الحجة سنة ٥٢١هـ/ ١١٢٨م.

والتقى بجيش بلدوين الذي عاد إلى مخيمه لكثرة جيش المسلمين فتبعهم التركمان لنهب خيامهم، فعادوا إليهم فكسروهم وتراجعوا إلى عقبة سحوراً[٩]، فقتلوا الرجالة

---

(١) ابن شداد: المصدر ذاته: جـ٢: ق٢: ١٧٠.

(٢) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١: ٦٢١، المعاضيدي: الحياة السياسية في بلاد الشام: ١٧٩-١٨٠.

(٣) S,of Tyre; A Hist od Dedds; Vol.٢;١٩.

Fulcher; Epedition; ٢٨٢

(٤) لم يذكر المؤلف أسماء هذه القرى.

(٥) قرية بحوران من نواحي دمشق. ياقوت: معجم البلدان: جـ٢: ٤٩٩ (لم أجد غير هذا التعريف).

(٦) بليدة وقلعة من جبل الأردن، وهي في جبل الغور الشرقي: جنوبي عجلون على مرحلة عنها به هنا تقابل أريحا. أبو الفداء: تقويم البلدان: ٢٤٥.

(٧) ويقصد به هنا غور الأردن الممتد من بحيرة طبرية حتى البحر الميت والمناطق الجبلية الواقعة إلى الشرقي منه حيث كانت دائماً مهددة من قبل الصليبيين في هذه الفترة.

(٨) ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٥٤٣، سعيد عاشور: الحركة الصليبية: جـ١: ٥٠٣ (ط١).

(٩) ومن الكسوة إلى دمشق إثنا عشر ميلاً بينهما عقبة لطيفة تعرف بعقبة الشحورة. والكسوة عن دمشق "من جهة الجنوب. أبو الفداء: المصدر ذاته: ٢٥٣.

وانهزم ظهير الدين إلى دمشق وبات الفرنج على عقبة سحوراً عازمين على مهاجمة البلد، واستعد ظهير الدين لحصار البلد، فأصبح وقد رحل الفرنج إلى بلادهم.

وبعد أن أبلى ظهير الدين مجاهدة الصليبيين بلاءً حسناً لفترة ربع قرن من الزمان كانت دمشق فيها منطلقاً لتوجيه نشاط صغار الأمراء في الشام في مواجهة الصليبيين ولما أحس ظهير الدين بدنو أجله قال: "ولم يبق غير الوصية لما يعمل عليه ويدبر به الأمر بعدي وينتهي إليه، وهذا ولدي تاج الملوك بوري هو أكبر ولدي والمرشح للانتصاب لمكاني، والمأمول لسد ثلمة فقدي"(١) ثم توفي ضحى نهار السبت الثامن من صفر سنة ٥٢٢هـ/ ١١٢٨م(٢).

٢- تحالف المصالح بين الطرفين:

إزاء الخطر المشترك الذي تمثل من حملة برسق تحالف الفرنج مع كل من إيلغازي الأترقي في حلب، وظهير الدين أتابك بدمشق، في سنة ٥٠٩ هـ(٣)/ أيلول ١١١٥م، حيث تمكن هذا الحلف من هزيمة برسق في معركة تل دانيت ١٤ أيلول من السنة ذاته جنوب عرب حلب، ولكن هذا الحلف لم يستملا لتنامي قوة الصليبيين بعد ممركة تل دانيت(٤) وهذا يدل على خشية ظهير الدين من الصليبيين من ناحية، إضافة لخشيته بأس

---

(١) ابن القلانسي: المذيل: ٢١٨.

(٢) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢١٩. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب: جـ٤: ٦٥، المعاضيدي: الحياة السياسية في الشام: ١٨٠. محمد مختار باشا. التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنة الإفرنكية والقبطية من سنة (١) إلى سنة ٧٥٠هـ. م١: ٥٥٤ تحقيق وتكملة محمد عمارة المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٦٨٠م. وسيرد التوفيقات الإلهامية.

(٣) ابن العديم: زبدة الحلب: جـ٢: ١٧٤-١٧٥، وابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ٢٢، حامد زيان: الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية: ٦٥ القاهرة. دار الثقافة، ١٩٨٣. محمد سليم الجندي: تاريخ معرة النعمان: ١٦١، جـ١، تحقيق وتعليق: عمر رضا كحالة. مطبعة الترقي بدمشق ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

(٤) ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٥٠٩-٥٥١. ابن شاكر الكتبي: عيون التواريخ: جـ١٢: ٥٠. ابن الوردي: المصدر ذاته: جـ٢: ٣٦.

W.of Tyre. A Hist of Deeds. Vol; ١;٥٣٠-٥٣١. Hans Eberhard Mayer; The Crusades ٧٦-٧٧, H. Fink; "Foundation".

حامد زيان: المرجع ذاته: ٦٦.

السلطان محمد الذي زار بغداد في ذي القعدة من سنة ٥٠٩هـ/ ١١١٥م، مما جعله يذهب للسلطان معتذراً فخلع عليه[١].

وبالرغم من العداء القائم بين إمارة دمشق في عهد ظهير الدين ومملكة بيت المقدس فقد اقتضت مصلحة دمشق قيام تحالفات مع الصليبيين سرعان ما تزول عندما تنتهي هذه الظروف، كما وقع بين ظهير الدين والسلطان محمد السلجوقي[٢] أو عندما يخرق ملك القدي هذا الحلف بالإغارة على دمشق كما وقع قبل في سنوات ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م[٣] و ٥٠٦هـ/ ١١١٢م[٤].

ثانياً: المرحلة الثانية: مرحلة التوسع والصراع بين إمارة دمشق الأتابكية ومملكة بيت المقدس.

١- عقد الاتفاقات والهدن لتنظيم العلاقات السياسية بين الطرفين:

تعتبر سنة ٥٢٢هـ/ ١١٢٨م حداً فاصلاً بين مرحلتين هامتين في الحياة السياسية لإمارة دمشق وعلاقتها بالقوى الأخرى في بلاد الشام: فعلى النقيض من المرحلة الأولى والتي كانت فيها إمارة دمشق بارزة في الشام، أصبحت إمارة مهددة حيناً من قبل الصليبيين، وحيناً لآخر من قبل عماد الدين زنكي في حلب، الذي تولاها في سنة ٥٢٢هـ/ ١١٢٨م[٥] بعد أن أسند إليه شحنكية[٦] الموصل، كما ولي بوري بن ظهير أتابك أمرة دمشق في السنة ذاتها بعد وفاة أبيه[٧]. وفي عهده تمكنت جموع الصليبيين من الاستيلاء

---

(١) ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٥١٤، ابن كثير: البداية والنهاية: جـ١٢: ١٧٩، ابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ٣٩ "اعتذر عن محالفته للفرنج ضد جيش السلطان بقيادة برس".

(٢) حيث هدد السلطن محمد السلجوقي ظهير الدين لانحيازه إلى جانب الصليبيين.

(٣) ابن القلانسي: المذيل: ٢٦٤، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: جـ٨: ق١: ٣٠-٣١

(٤) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠: ٤٩٥.

(٥) ابن القلانسي: ذاته: ٣٤٧، ابن الأثير: ذاته: جـ١٠: ٦٤٩.

(٦) الشحنكية: شحن البلد بالخيل، ملأه. ابن منظور: لسان العرب: جـ١٤: ١٧-١٨، وشحنة البلد: من أقامهم الملك لضبطها وهم المعروفون بالبوليس المنجد في اللغة والأعلام: ٣٧٧.

(٧) عبد القادر بدران: تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر: جـ٣: ٤١٩، ابن الأثير المصدر ذاته: جـ١٠: ٦٤٣-٦٤٥.

على بانياس في سنة ٥٢٣هـ/ تشرين الثاني ١١٢٩م وهددوا دمشق نفسها إلا أنهم منوا بالهزيمة(١). وقد هدفوا من هذه الحملة تسلم بانياس ثم الاستيلاء على مدينة دمشق(٢) لكن السبب الأقوى لحملة الملك بلدوين على دمشق هو أن الاستيلاء عليها كان المرحلة الثانية بعد التوسع في سياسة ملوك القدس حتى في عهد ظهير الدين أتابك حيث أن وفاته وما نتج عنها من اختلال أحوال دمشق دعاهم لأن يقوموا بهذه الحملة لتحقيق هدفهم(٣). إضافة لوصول أعداد جديدة من الفرسان والمشاة من الغرب بصحبة (هيودي باينز وفولك أوف انجو) مما شجعهم على المضي قدماً لحصار دمشق(٤).

وكان لهذه المحاولة أثر سلبي على العلاقات السياسية بين إمارة دمشق ومملكة بيت المقدس حيث وثّق تاج الملوك بوري علاقاته مع عماد الدين زنكي الذي عبر الفرات إلى الشام يريد محاربة الفرنج بعد أن أرسل إليه يستنجده ويطلب المعونة على جهاد الصليبيين، فأخذ منهم المواثيق، وأرسل إلى ابنه سنوج يأمره بالالتحاق بعساكر عماد الدين، الذي أكرمه ومقدمي جيشه، لكنه عاد فغدر بهم إذ قبض على سونج بن تاج الملوك بوري والأمراء والمقدمين ثم اسر إلى حماة فملكها، وتابع سيره إلى حمص فاستعصت عليه فعاد إلى الموصل، وتردد الرسل بينه وبين تاج الملوك بوري الذي استعد لدفع مبلغ خمسين ألف دينار مقابل إطلاق سراح ابنه ومن معه من الأمراء فلم يصلا إلى اتفاق(٥). وكان ذلك في

---

(١) أورد وليم الصوري أن ذلك كان في (٩ كانون الأول) وذكر المحقق (تشرين الثاني)

W. Of Tyre; A Hist of Deeds; Vol,٢;٤٠-٤٢. Steveson; The Crusaders; ١٢٧-١٢٨.

ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٦٥-٧-٦٥٨، فايد عاشور: جهاد المسلمين: ١٨٥ "فلم يفلت منهم غير مقدمهم ومعه أربعون رجلا".

(٢) ابن الأثير: ذاته: جـ١٠: ٦٥٧-٦٥٨.

Steneson; Ibid; ٢٨٢, "Dimashk" The Encyclopaedia of Islam; ٢٨٢.

(٣) Steneson: Ibid; ١٢٧.

(٤) (الحاشية) W. of Tyre' A Hist of Deeds, Vol.٢;٤٠.

ابن القلانسي: المذيل: ٣٥٧.

(٥) ابن الأثير: ذاته: جـ١٠: ٦٥٨-٦٥٩، ابن الجوزي: المنتظم: جـ١٥: ١٠ حسين مؤنس: نور الدين: ١٦٢، عماد الدين خليل عماد الدين زنكي: ١١١-١٢٠. فايد عاشور: المرجع ذاته: ١٨٥-١٨٦.

Stevenson; Ibid; ١٢٧.

سنة ٥٢٣ هـ/ ١١٣٠م[١] وما أن وقع دبيس بن صدقة[٢] بيد تاج الملوك بوري حتى سلمه عماد الدين مقابل إفراجه عن ابنه سونج ومن معه من الأمراء والمقدمين[٣].

توفي تاج الملوك بوري في ٢١[٤] رجب ٥٢٦هـ/ ٦ حزيران ١١٣١م فقام ولده شمس الملوم إسماعيل مكانه في الإمارة حسبما عهد إليه في حياته[٥]. فاستضعف الفرنج إسماعيل وعملوا على نقض الهدنة القائمة بينهما، وذلك بتعرضهم لأموال جماعة من تجار دمشق إلى بيروت، ورفضهم لطلب إسماعيل في إعادة ما أخذوه مما جعله يسير بجيشه في أواخر محرم من سنة ٥٢٧هـ/ ١٥ كانون الأول ١١٣٢م. مستغلاً انشغال الملك فولك في حصار يافا لمعاقبة تابعة فيها، هو وإضافة لضرورة توجيه لمساندة بونز الذي هزم في بارين، فسار بجيه إلى الشمال مما سهل على شمس الملوك دخول بانياس في أول صفر وتسلم قلعتها بالأمان في ٤ صفر سنة ٥٢٧هـ/ ١١ كانون أول ١١٣٢م[٦] ومن أجل توطيد سلطانه فقد سار إسماعيل إلى حماة التي خضعت لعماد الدين فحاصروها حتى تسلمها ثاني

---

(١) H. Fink; "The Role of Damascus"; M. World; XLIX; ٤٩.

(٢) هو دبيس بن صدقة بن منصور وهو الأمير الشرعي لبني مزيد منذ سنة ٥٠١هـ/ ١١٠٧م، منذ استدعى السلطان والدته وانه يمكن اعتبار الفترة من سنة ٥٠١هـ- ٥١٢هـ/ ١١٠٧م – ١١١٨م، في حين تميزت فترة حكمه بين ستني ٥١٢هـ/ ٥٣٠هـ/ ١١١٨م- ١١٣٥م بكثرة التقلبات السياسية. ناجي عبد الجبار: الإمارة ١٣٠-١٣١ البصرة. دار الطباعة الحديثة. ١٩٧٠م.

(٣) ابن القلانسي: المذيل:! ٣٦١-٦٢ د. ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٦٦٨-٦٦٩.

(٤) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠: ٦٦٨-٦٦٩. W. Of TYre' A Hist of Dedds, Col.٢:٧٠.

أبو الفداء: المختصر: م: ١٢-١٣.

(٥) ابن القلانسي:

(٦) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٣٦- ٢٣٧، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٠: ٦٨٤- ٦٨٥، الذهبي: العبر: جـ٤: ٧٠. "Stevenson; "The Crusaders، أبو الفداء: المصدر ذاته: م٣: ١٣، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: جـ٨: ق١: ١٤٥، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة: جـ٢: ق٢. ٤١، ابن خلدون: تاريخ: جـ٥: ١٥٦. ورد عنده اسم الحصن (باشاش)، محمد أديب الكردي، منتخبات التاريخ لدمشق: جـ١: ١٤٨، تقديم كمال الصليبي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.

W. of Tyre' Ibid; Vol.٢; ٧٠, ٧٣-٧٤.

ابن شاكر الكتبي: عيون التواريخ: جـ١٢: ٢٥٣.

أيام عيد الفطر سنة ٥٢٧هـ[١]/ في ٦ آب سنة ١١٣٣م[٢]. وكان ذلك رداً على سياسة عماد الدين تجاه دمشق. ثم انتزع شمس الملوك إسماعيل حصن تبنين من يد ضحاك بن جندل التميمي بوقوعه في جبل مطل على ثغر بيروت وصيدا، وكان ذلك يوم الجمعة ٢٤ محرم سنة ٥٢٨هـ/ تشرين الثاني في ١١٣٣م[٣]. فعظم ذلك على الفرنج لتحكم هذا الحصن في طريق الساحل وقربه من صيدا، فقصدوا بلد حوران وعاثوا فيها فساداً سنة ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م[٤]. فنقضوا بذلك الهدنة المعقودة مع دمشق، فسار إليهم شمس الملوك بجيشه وخيم مقابلهم، واستمرت المناوشة عدة أيام، لكنه أغفلهم وسار بجزء من جيشه إلى بلادهم، عكا والناصرة وما جاورهما وطبرية وما يتبعها فظفر بما لا يحصى من المواشي والنساء والصبيان والرجال، ولما عرف الفرنج الخبر عادوا بجيوشهم إلى بلادهم فأدركوا ما أصابها من الخراب فيئسوا من ذلك وطلبوا الصلح[٥]، الذي تضمن إعادة جميع أسرى الفرنج في بانياس ومن بينهم زوجة والي بانياس رينير دي بروز[٦]، وكان هذا صلحاً مؤقتاً عقد في ذي القعدة سنة ٥٢٨هـ/ ٢١ أيلول سنة ١١٣٤م[٧] وعاد شمس الملوك إلى دمشق في آخر ذي الحجة سنة ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م[٨].

---

(١) ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٦، أبو الفداء: المختصر: م٢: ١٣-١٤.

(٢) W.B. Stevenson; The Crusaders; ١٣٢.

(٣) ابن القلانسي: الذيل: ٢٤١، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ١١، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: جـ٨: ق١: ١٤٧-١٤٨، ابن شاكر الكتبي: عيون التواريخ: جـ١٢: ٢٧٦، أبو الفداء: المصدر ذاته: ٢: ١٤، Stevenson; Ibid; ١٣٢.

ابن شداد: المصدر ذاته: جـ٢: ق٢: ١٥٤-١٥٥.

(٤) أبو الفداء: ذاته: م٢: ١٤. W.B.Stevenson; Ibid; ١٣٢.

(٥) ابن القلانسي: ذاته: ٢٤٢- ٢٤٣، سبط ابن الجوزي: ذاته: جـ٨: ق١: ١٤٨، (طلب الدمشقيون الصلح مقابل أشياء عرضوها للملك)

(٦) Stevenson; Ibad; ١٣٢, W. Of Tyre' A Hist of Deeds, Vol.٢; ٧٦.

(٧) (الحاشية) W.B Stevenson; Ibid; ١٣٢

(٨) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٤٢.

"وربما كان رأي وليم الصوري هو الصواب لأن الشرط الوحيد لهذا الصلح كان إطلاق سراح جميع أسرى الصليبيين، من بانياس، إضافة لأشياء أخرى عرضها شمس الملوك على فولك ملك القدس، دون أن يذكر وليم الصوري أو أي من المصادر التي رجعت إليها شيئا في صالح شمس الملوك إسماعيل. وربما كان ذلك بسبب خوفه من عودة الصليبيين ثانية للعبث والفساد في أعمال دمشق".

توفي شمس الملوك وكان قد دعا عماد الدين زنكي إلى دمشق لتملكها، فوصل عماد الدين دمشق بعد مقتل شمس الملوك إسماعيل، فحاصرها، وتولى الدفاع عن المدينة شهاب الدين محمود بن بوري[1]، وكان زنكي قد سيطر في طريقه على جميع الحصون الواقعة جنوب حلب حتى حمص لتسهل له الأمر في تملك دمشق[2]. وقام معين الدين أنر بحفظ البلد فلم ير فيها عماد الدين مطمعا فتصالح مع أصحابها وعاد إلى بلاده[3].

اتبع شهاب الدين محمود سياسة تقوم على استرجاع ما فقدته إمارة دمشق من البلاد، فسار إلى حمص التي تعرضت لغارات زنكي وتسلمها من أولاد الأمير خير خان بن قراجة في ٢٢ ربيع الأول سنة ٥٣٠هـ ١١٣٥م، وعوضهم عنها بتدمر[4]. كما قام بتجهيز جيشه، وجمع المتطوعة من التركمان فقاتل الفرنج وهزمهم، وملك حصن وادي ابن الأحمر[5] عنوة فنهب ما فيه من سنة ٥٣١هـ/ ١١٣٦م[6]. وفي المحرم من سنة ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م أغار الفرنج على ناحية بانياس فتبعهم شهاب الدين بجيشه فلم يدركهم فعاد إلى دمشق[7]. وفي هذه الأثناء توجه نفر من فقهاء المسلمين إلى السلطان مسعود ببغداد يدعونه إلى جهاد الصليبيين[8].

---

(١) ابن القلانسي: المذيل: ٣٩١. W.B.Stevenson; The Crusaders; ١٣٣
(أخو شمس الملوك إسماعيل).

(٢) H.Fink; "The Role of Damascus"; M. World; XLIX; ٤٩.

(٣) أبو الفداء: المختصر: م١٥: ٢.
ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٣٩٢.

(٤) ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٥٠، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: جـ٨: ق١: ١٥٩ أبو الفداء: ذاته: جـ٢: ١٧.

(٥) لعله الحصن الذي نال اسم "يحمور" فاسمه بالإفرنجية الحصن الأحمر ابن القلانسي: ذاته: ٤٠٦ (الحاشية).

(٦) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ ١١: ٥٠، ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٥٨، الذهبي: العبر في أخبار من غبر: جـ٤: ٨٤. تحقيق صلاح الدين المنجد. الكويت، ١٩٦٣م.

(٧) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٤٢٠.

(٨) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٥٨-٥٩.

قتل شهاب الدين محمود بيد غلمانه في ٢٣ شوال ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م وخلفه جمال الدين محمد بن بوري في الحكم[١] وأصبح أنر أصفهلاره وأتابكه[٢]. وهنا قدم زنكي إلى دمشق محاصراً بحجة الانتقام من قتلة شهاب الدين محمود، فطلب من جمال الدين تسليمه دمشق مقابل منحه بعلبك وحمص وما يقترح معهما، ولكنه توفي في ٨ شعبان سنة ٥٣٤هـ/ ٣٠ آذار ١١٤٠م[٣]. فعاد عماد الدين إلى بعلبك فملكها بالسيف[٤] ولعل موقف زنكي وسياسته المعادية لدمشق كان سببا في التقارب بين حكام دمشق ومملكة بين المقدس لكن الصليبيين خرقوا هذا التحالف عندما أغارت فرقة منهم على ناحية البقاع وعاثت فيها فساداً. فالتقتها عساكر دمشق، وهزمتها فعادت إلى بلادها في شهر ربيع الآخر من سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م[٥].

وقد ضعف أمر دمشق في عهد الامير مجير الدين أبق بسبب تعرضها للانقسامات الداخلية من جهة[٦]. وتزايد أطماع عماد الدين زنكي من جهة أخرى فضلاً عن تطلع الفرنج للاستيلاء عليها، مما جعل معين الدين أنر يفكر في محالفة نور الدين زنكي الذي

---

(١) ابن القلانسي: المذيل: ٢٦٨– ٢٦٩، ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٦٨، أبو الفداء: المختصر: جـ٢: ٢٢، ابن العديم: زبدة الحلب: جـ٢: ٢٧٢.

(٢) H.Fink; "The Role of Damascus"; M. World: XLIX; ٤٩.

الاسفهلار: اصطلاح عسكري مركب من كلمتين أسفه = مقدم، وهي فارسية، وسلار: عسكر، وهي تركية، فمعناها مقدم العسكر. أبو شامة: الروضتين: جـ١: ف٢: ٤٠٨ (الحاشية).

قال ابن الطوير: وصاحبها زمام كل زمام. واليه أمر الأجناد التحدث فيهم وفي خدمته وخدمة صاحب الباب تقف الحجاب. القلقشندي: صبح الأعشى: جـ٣: ٤٧٩.

(٣) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٤٢٥، محمد مختار باشا: التوفيقات الإلهامية: جـ١: ٥٦٦، سعيد عاشور: الحركة الصليبية: جـ٢: ٥٩٧.

(٤) ابن الأثير: التاريخ الباهر: ٥٩، المنجد: ولاة دمشق في العهد السلجوقي: ٢٣، سعيد عاشور: ذاته: جـ٢: ٥٩٧.

(٥) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٤٣٥.

(٦) النزاع بين ورثة جمال الدين محمد على دمشق وتسلم مجير الدين أبق الحكم فيه.

انظر. سعيد عاشور: المرجع ذاته: جـ٢: ٥٩٧.

خلف والده عماد الدين في حلب، لفتور علاقته بالصليبيين وخوفه منهم فترددت بينهما الرسل إلى أن استقر الحال بينهما في شوال سنة ٥٤١هـ/ ٢٨ آذار ١١٤٧م[١]. كما عمل نور الدين على تدعيم الاتفاقية السابقة عن طريق زواجه من ابنة أنر[٢]، على أن هذا الزواج وذلك الحلف لم يؤثرا إلا على علاقة أنر بالصليبيين، التي أعتمد عليها في حفظ ميزان القوى في بلاد الشام في الوقت الذي ازداد فيه نفوذ نور الدين قوة في حلب[٣]. ولعلم أنر بضياع هذا الحلف قد يؤدي إلى سقوط دمشق بيد نور الدين[٤] لذا أتبع أنر سياسة ودية مع جميع القوى المجاورة في بلاد الشام سواء من المسلمين أو الصليبيين[٥]. لكن الفرنج قد نقضوا الهدنة المستقرة عندما اتفقوا مع التونتاي حاكم بصرى وصرخد على أن يسلمها للفرنج مقابل معونتهم له في الانفصال بحوران[٦].

جهز بلدوين الثالث ونبلاؤه الجيش وساروا به إلى طبرية، وعبروا نهر الأردن عند خروجه من بحيرة طبرية إلى حوران، وأرسلوا إلى أنر بعض الرسل لكنه لم يرد بشيء بل عمد إلى جمع العساكر من الأطراف القريبة بالمال، وأرسل للملك ونبلائه بأن خطوتهم هذه جاءت "متناقضة مع الاتفاقية المعقودة بين الطرفين. كما استعد أن يدفع للملك نفقات الحملة مقابل تركهم لمساعدة التونتاش. وكان رد الملك بأنه لم يكن ينوي خرق

---

(١) ابن القلانسي: المذيل: ٤٥، سعيد عاشور، الحركة الصليبية: جـ٢: ٦١٥، محمد مختار: التوفيقات الإلهامية: جـ١: ٥٧٣، W.B Stevenson; The Crusaders; ١٥٧

(٢) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٤٥٠، أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق١: ١٢٩، سعيد عاشور: المرجع ذاته: جـ٢: ٦١٦.

(٣) سعيد عاشور: المرجع ذاته: جـ٢: ٦١٦.

(٤) المعاضيدي: الحياة السياسية في بلاد الشام: ١٨٨-١٨٩.

(٥) سعيد عاشور: المرجع ذاته: جـ٢: ٦١٧.

(٦) أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١: ق١: ١٣٠، ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٤٥١.

W. of Tyre' A Hist of Deeds, Vol.٢; ١٤٦-١٤٧.

سعيد عاشور: المرجع ذاته: جـ٢: ٦١٧، رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ٣٨٩، مظلوم: تاريخ الصليبيين: جـ١: ٢٥٣-٢٥٤، W.B Stevenson; Ibid; ١٥٨,

الاتفاقية، لكن النبلاء رأوا أنه لا بد من إجارة من استجار بهم ووضع ثقته في مملكتهم[١]. وتقدم الجيش الصليبي إلى الميدان قبالة جيش دمشق الذي حاصرهم خلال الليل إلا أنهم تمكنوا من اختراق صفوفه وتوجهوا إلى بصرى[٢].

وعندما اقتربوا منها وصلهم شخص من خلال صفوف المسلمين وأخبرهم أن زوجة التونتاش قد أغلقت الأبواب وشحنت القلاع بالرجال، وطردت بعض الموالين لزوجها فاجتمعوا فتبعتهم جيوش أذر ونور الدين[٣]، وعندها أرسل الملك بلدوين الثالث رسولاً إلى أنر يعرض عليه الصلح لانسحاب جيشه إلى بلادهم[٤]، لكنه قتل من قبل جيش انر وتمكن الصليبيون من النفاذ خلال صفوف جيش المسلمين وعادوا إلى بلادهم تحت تهديد جيش أنر ونور الدين، وقد تم ذلك بعد أن تسلم أنر بصرى وصرخد[٥]. لكن أنر لم يكن راغباً في توسيع الفجوة مع الصليبيين، وكذلك الصليبيون لم يرغبوا في النزاع مع دمشق، وفي الوقت الذي كادت فيه العلاقات بينهما تعود إلى سابق عهدها حتى قدمت الحملة الصليبية الثانية التي كانت نقضاً آخر لهذا التحالف[٦].

(١) رنسيمان: المرجع ذاته: جـ٢: ٣٨٩. W. Of Tyre' Ibid, Vol.٢; ١٤٧

(٢) W.Of Tyre' A Hist of Deeds, Vol.٢; ١٤٩-١٥١.

محمد بن علي الهرفي: شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام: ١٢٢-١٢٥. أورد أبياتا شعرية عديدة للشاعر ابن الخياط (يحث فيها مجير الدين آبق على جهاد الصليبيين والدفاع عن الدين والحريم)، مؤسسة الرسالة، ط٣: ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، بيروت.

(٣) ابن القلانسي: المذيل: ٤٥٢ مظلوم: تاريخ: جـ١: ٢٠٣.

W of Tyre; Ibid; vol.٢; ١٥٢-١٥٣.

(٤)رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ٨٩. W of Tyre; Ibid; vol. ٢; ١٥٤-١٥٧.

سعيد عاشور: الحركة الصليبية: جـ٢: ٨٩. Stevenson; The Crusaders; ١٥٨

(٥) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٤٥١-٤٥٢. "حكم مجلس الفقهاء على التونتاش بسمل عينيه لموالاته للصليبيين".

(٦) سعيد عاشور: المرجع ذاته: جـ٢: ٦١٩.

٢. الحملة الصليبية الثانية (٥٤٣هـ/ ١١٤٨م) وأثرها على العلاقات السياسية بين إمارة دمشق ومملكة بيت المقدس:

كان لسقوط مدينة الرها بيد عماد الدين زنكي ووصول هذا الخبر إلى الغرب المسيحي عن طريق السفراء الذين جابوا البلاد الأوروبية يستنهضونها لنجدة إخوانهم في الشرق أثيراً في دعوة البابا ايوجنس الثالث لتجهيز حملة صليبية إلى الشرق[١] وقد لقيت هذه الدعوة قبولاً لدى أعظم ملوك أوروبا كونراد الثالث إمبراطور ألمانيا، ولويس السابع ملك فرنسا[٢] اللذان قادا جيوشهما إلى الشرق، فوصلا ساحل الشام في ٤٥٣هـ/ ربيع سنة ١١٤٨م فزارا بيت المقدس[٣]. وقابلهما ملك القدس ثم عقدوا اجتماعا في عكا في سنة ٥٤٣هـ/ حزيران ١١٤٨م[٤] اختلفوا فيه حول مكان توجيه الحملة فأراد أمراء الشمال توجيهها ضد نور الدين في حلب[٥]. بينما رأى ملك القدس ونبلاؤه توجيهها إلى دمشق

(١) W. Of Tyre; A Hist of Deeds; vol.٢١٦٣, Stevenson; "The Crusadres" ١٥٨; H.Fink; "The Role of Damascus" M. World; XLIX; ٥١

غوانمة: إمارة الكرك الأيوبية: ٧٦.

أحمد شلبي: موسوعة التاريخ: جـ٥: ٤٥٤، العمروسي المطوي: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب: ٦٩، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٢م طبعة جديدة ومنقحة. بيروت: حسين مؤنس: نور الدين: ١٩٤.

(٢) W.Of Tyre; A Hist of Deeds; vol.٢:١٨١-١٨٢, W.B Stevenson; Ibid;١٥٨

ابن العديم: زبدة الحلب: جـ٢: ٢٩١، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام: جـ٤: ٢٤٩، عبد الأمير محمد: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى: ٢٤٠، غوستاف لوبون: حضارة العرب: ٣٥٦ نقله إلى العربية: محمد عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية: القاهرة، ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م، حافظ حمدي: الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي: ١٢٠.

(٣) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٢٩٧، أبو شامة: الروضيتين: جـ١: ق١: ١٣٤، حسين مؤنس: المرجع ذاته: ٢١٢-٢١٣. W. Bss; Ibid ١٥٨.

(٤) حسين أمين: الحروب الصليبية في كتابات المؤرخين العرب المعاصرين لها: ٨٩: القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٣، العمروسي المطوى: الحروب الصليبية: ٧٠ (اجتمعوا في القدس).

W. Of Tyre; Ibid; vol.٢:١٨٣, Stevenson; Ibid; ١٥٩, Viginia, "The ٢nd Crusads": Setton "The Crusades"

(٥) Stevenson; Ibid; ١٥٩.

التي تشكل تهديدا لهم، إضافة لرغبتهم في توسيع المملكة اللاتينية، وأخيرا قرروا توجيه جيوشهم لحصار دمشق[1]. ولم تشارك كل من أنطاكية وطرابلس في هذه الحملة احتجاجا عليها[2]. والتقت الجموع في طبرية وسارت إلى دمشق حتى وصلتها في سادس ربيع الأزل سنة ٥٤٣هـ/ ٢٥ تموز ١١٤٨م، فألقت عليها الحصار[3] وكان ذلك ضربة قوية للتحالف بين أنر وبيت المقدس والذي تضعضع بعد أزمة حوران (بصرى وصرخد) بينهما[4]، في الوقت الذي كان فيه أنر يأمل ببقاء هذا التحالف لذا بات من المؤكد أن يحالف نور الدين ضد بيت المقدس وحلفائها[5]. فشلت الحملة في تحقيق هدفها ويعتقد وليم الصوري بأن سبب فشلها هو دور بعض النبلاء المحليين الذين رشاهم أنر بالمال في تغيير خطة الحصار[6]. لكن الثابت أن أنر استنجد بسيف الدين غازي أمير الموصل وفي الوقت ذاته اتصل بكبار النبلاء وملك بيت المقدس وعرض عليهم تسليمهم بانياس إن رحّلوا ملك الألمان عن دمشق، حيث تراجع الفرنج إلى بلادهم وتسلموا بانياس من معين

(١) W. Of Tyre; Ibid; vol.٢:١٨٦, Stevenson; Ibid; ١٥٩, Viginia; Ibid;": Stton Ibid; Vol. ١; ٥٠٧.

ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب: جـ٤: ١٣٤، ابن شاكر الكتبي عيون التواريخ: جـ ١٢: ٤١٦، شاكر أبو بدر: الحروب الصليبية: ٢٦٥، العمروسي المطوى: المرجع ذاته: ٧٠، حسين مؤنس: نور الدين: ٢١٣، حافظ حمدي: الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي: ١٠٢.

(٢) Stevenson; The Crusaders; ١٥٠.

(٣) المذيل: ٤٦٣، ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ١٢٩، التاريخ الباهر: ٨٨، سبط ابن الجوزي؟ المنتظم: جـ١٠: ١٣٠، ابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ٧٥. احمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي: جـ٥: ٤٥٥

W. Of Tyre; A Hist of Deeds; vol.٢;١٨٦-١٨٧, Stevenson; Ibad; ١٦٠ Fink; "The Rle of Damascus". M. World' XLIX; ٥٢. .

(٤) سعيد عاشور: الحركة الصليبية: جـ٢: ٦١٢، حسين مؤنس: نور الدين: ٢١٣.

(٥) ابن العديم: زبدة الحلب: جـ٢: ٢٩١، ٢٩١. Stevenson; Ibid; ١٥٩-١٦٠

(٦) W. Of Tyre; Ibid; vol. ٢: ١٩٢-١٩٣, Stevenson; Ibid; ١٦١.

صبحي عبد الحميد: معارك العرب الحاسمة: ١٦٥، ذكر محمد كرد علي خطط الشام: جـ٢: ١٩ أن (أمير دمشق أرشى الصليبيين بمبلغ ٢٥٠ ألف دينار).

الألمان عن دمشق، حيث تراجع الفرنج إلى بلادهم وتسلموا بانياس من معين الدين أنر[١] وهذا مؤشر على رغبة الطرفين للسلام خاصة فشل الحملة الصليبية الثانية على دمشق وخروج المسلمين منها أقوياء على عكس وضع الصليبيين الذين خافوا من عدم قدوم حملات جديدة إلى الشرق[٢]. لكن وبناء على طلب ريموند صاحب طرابلس سار معين الدين أنر ونور الدين زنكي بجيشهما إلى حصن العريمة فملكاه وقتلا من فيه من الفرنج، وعاد نور الدين إلى حلب، فأدرك أنر بأنه ليس في خطر وأنه يرغب في إقامة السلام مع بيت المقدس. لكن الصليبيين استمروا في القيام بغارات على حوران[٣] من عكا وصور ومدن الساحل مما جعل أنر يتصدى لهم ويهدد بلادهم، مما دفعهم إلى طلب المصالحة فأجيبوا إلى ذلك سنة ٥٤٤هـ/ أيار ١١٤٩م وكانت مدة هذه الهدنة سنتين[٤].

٣. تطور العلاقات السياسية بين إمارة دمشق وبيت المقدس، وموقف أتابكية دمشق من حصار الملك بلدوين الثالث لمدينة عسقلان:

توفي معين الدين أنر في ٢٣ ربيع الآخر سنة ٥٤٤هـ/[٥] ٢٩ آب ١١٤٩م. فانفرد مجير الدين أبق في حكم دمشق، وكانت فرصة سانحة لكسب وقوف دمشق إلى جانب حلب ضد مملكة بيت المقدس، وقد تمشى هذا مع سياسة نور الدين في الشمال، الذي كان ينتظر

(١) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ١٢٩-١٣١، المصدر ذاته: ٨٩، أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق١: ١٣٨، ابن الجوزي: المصدر ذاته: جـ١٠: ١٣٠، سبط ابن الجوزي: المصدر ذاته: جـ٨: ق١: ١٩٧-١٩٨، أبو الفداء: المختصر: جـ٢: ٣٠، ابن كثير: البداية والنهاية: جـ١٢: ٢٢٣- ٢٢٤، ابن الوردي: المصدر ذاته: جـ٢: ٧٥، المعاضدي: الحياة السياسية في بلاد الشام: ١٨٦.

(٢) W. Of Tyre; A Hist of Deeds; vol.٢; ١٩٦; Stevenson; Crusaders; ١٦٣-١٦٤.

(٣) أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق١: ١٤٢-١٤٣، ابن العديم: زبدة حلب: جـ ٢: ٩٢، حسين مؤنس: نور الدين: ٢٢٧، Stevenson; Ibid; ١٦٤.

(٤) ابن القلانسي: المذيل: ٤٧١-٤٧٢، أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١: ق١: ١٤٩، Stevenson; Ibid; ١٧٤.

(٥) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٤٧٦، أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١: ق١: ١٦٣-١٦٤. جـ٢: ٧٧، H. Fink; "The Role of Damascus"; M.World; MLIZ; ٥٢. Steveneson; Ibid; ١٦٧

فرصة للتدخل ولكسب دمشق في حلف عدائي ضد بيت المقدس[١]. ولكن مجير الدين كان يتذرع بمعاهدته للفرنج حجة لعدم تحالفه مع نور الدين[٢]. وفي سنة ٥٤٤هـ/ وفي آذار ١١٥٠م سار نور الدين إلى أتابكة دمشق يدعوهم للتحالف معه ضد الفرنج الذين يعيشون في حوران وطلب منهم ألف فارس، لكنهم تذرعوا بمعاهدتهم الفرنج على أن يكونوا معا يداً على من سواهم، وأرسلوا إلى الفرنج يخبرونهم بالحال ويدعونهم لتقديم المساعدة ضد نور الدين (وكانوا مشتغلين بعمارة غزة) فوصلت طلائعهم إلى بانياس فتراجع نور الدين من الأعوج إلى منازل العسكر في ٢٦ ذي الحجة سنة ٥٤٤هـ/ ١١٥٠م، وعزم على محاصرة دمشق وحال الشتاء دون ذلك[٣] فعقد صلحاً مع حكام دمشق على أن يبذلوا الطاعة وإقامة الخطبة له بعد الخليفة العباسي والسلطان لسلجوقي، وأن ينقش اسمه على الدينار[٤].

عاد نور الدين في عاشر المحرم من سنة ٥٤٦هـ/ نهاية نيسان ١١٥١م. إلى دمشق فنزل بأرض عذراء[٥]، وأرسل إلى دمشق يطلب من حكامها الانضمام إليه لجهاد الفرنج فلم يستجب لطلبه، وما أن سمع بتقدم جيش الفرنج حتى تراجع إلى عين الجر بالبقاع[٦] وكان الفرنج قد اجتمعوا مع جيش دمشق في حوران، ثم توجهوا لمحاصرة بصرى فلم يحظيا منها بشيء، فعاد جيش الفرنج إلى بلاده بعد أن سمعوا بمهاجمة أسطول مصري لمدن

---

(١) Stevenson; Ibid; ٦٦.

(٢) H. Fink; Ibid, M. World; XLIX; ٥٢

(٣) ابن القلانسي: المذيل: ٤٧٩ – ٤٨٠، أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق١: ١٧٧ – ١٧٩، Stevenson; The Crusaders; ١٦٧./

(٤) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٤٨٠، أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١ ق١: ١٧٩، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: جـ٨: ق١: ٢٠٦، المعاضيدي: الحياة السياسية في بلاد الشام: ١٩٠.

(٥) وهي قرية بغوطة دمشق من إقليم خولان معروفة، وإليها ينسب مرج. خولان ياقوت: معجم البلدان: جـ٤: ٩١ (لم أجد غير هذا التعريف).

(٦) موضع معروف بالبقاع بين بعلبك ودمشق. ياقوت: المصدر ذاته: جـ٤: ١٧٧.

الساحل وراسلوا مجير الدين يلتمسون باقي المقاطعة المتفق عليها[١]، لكن نور الدين عاد ثانية إلى أراضي دمشق فنزل أرض القطيعة في ٢٤ ربيع الأولى سنة ٥٤٦هـ/ ٢٧ تموز ١١٥١م، فجرت بين جيشه وجيش دمشق مناوشة. وترددت المراسلات بينهما حتى تم عقد صلح في ١٠ ربيع الآخر سنة ٥٤٦هـ/ ١١٥١م[٢]. وتحسنت العلاقة بين مجير الدين ونور الدين بموجب هذه المعاهدة فسيرا حملة مشتركة ضد بصرى فتسلمها أنر[٣].

وزار مجير الدين حلب في ٢٢ رجب سنة ٥٤٦هـ/ [٤] تشرين الثاني ١١٥١م، فبالغ نور الدين في إكرامه في الوقت الذي حافظ فيه مجير الدين على علاقته السليمة مع بيت المقدس، حيث أنكرت دمشق ما فعله التركمان بالإغارة على بانياس في كانون أول من السنة ذاتها[٥]، وتبعهم جيشها فاستخلص ما وجد مع من تخلف منهم. لكن الفرنج لم يكتفوا بذلك فقاموا بالإغارة في رمضان من السنة ذاتها على ناحية البقاع فاجتاحوا عدة ضياع ونهبوا مواشيها، لكن والي بعلبك[٦] تصدى لهم، فجمع الرجال وتبعهم، وكان قد أخرهم تساقط الثلج فقتلوا رجالتهم واستخلصوا الأسرى والمواشي[٧] لكن مجير الدين تجنب بروح الصداقة وقوع العداء مع بيت المقدس، كما أخذ يدفع المبالغ السنوية التي تعهد بمنحها للفرنج لضعفه واعتماده على محالفتهم[٨]، وبالرغم من الخلاف الذي وقع بين بلدوين الثالث ووالدته ميليسند في سنة ٥٤٧هـ/ ١١٥٢م فإن دمشق بقيت على تحالفها مع بيت المقدس[٩].

---

(١) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٤٨٤-٤٩٠، أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١: ق١: ٢٠٠-٢٠٣، Stevenson; Ibid; ١٦٩.

(٢) ابن القلانسي: المذيل: ٤٩٠، أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق١: ٢٠٣.

(٣) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٤٥٢، حسين مؤنس: نور الدين: ٢٠٤.

(٤) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٤٩١، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: جـ٨: ق١: ٢١١، Stevenson; The Crusaders; ١٧٠.

(٥) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٤٩٢. أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١: ق١: ٢٠٩، Stevenson; Ibid; ١٧٠.

(٦) أيوب بن شاذي، والد صلاح الدين، والي نور الدين على بعلبك. أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١: ق١: ١١٠، Stevenson; Ibid; ١٧٠.

(٧) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٤٩٢، سبط ابن الجوزي: المصدر ذاته: جـ٨: ق١: ٢١١، Stevenson; Ibid; ١٧٠

(٨) Stevenson; Ibid; ١٧٠

(٩) W. Of Tyre; A Hist of Deeds; Vol.٢; ٢٠٥-٢٠٦.

وبعد أن اطمأن بلدوين الثالث لعلاقته بدمشق، وسيطرته على زمام الأمور في المملكة بعد انتهاء الخلاف بينه وبين والدته، كما أن نجاحه في صد الغارة التي قام بها الأمير تمرتاش الأرتقي صاحب ماردين في سنة ٢٣ تشرين أول ٥٤٧هـ/ ١١٥٢م من أجل استرجاعه للقدس التي حكمها أجداده، قد شجعه على التوسع ففكر في غزوة عسقلان[١]. وقبل أن يحاصر عسقلان عمل بلدوين الثالث على بناء حصن في غزة، لوقف غارات عسقلان، ثم للانطلاق نحوها لإطباق الحصار عليها ثم لإغلاق الحدود الجنوبية مع مصر[٢]. فكانت عسقلان آخر معقل للفاطميين على ساحل الشام بفضل ما أولاها الفاطميون من تحصين ورعاية إضافة إلى تغيير المقاتلة فيها كل ستة شهور[٣] فعقد الملك بلدوين الثالث اجتماعاً مع نبلائه الذين أقروا إلقاء الحصار على عسقلان لوقوعها في وسط المملكة[٤] واستمر حصارهم للمدينة من سنة ٥٣٠هـ/ ٢٥ كانون الثاني حتى ١٢ آب سنة ١١٥٣م[٥] حتى سقطت المدينة بأيدي الصليبيين. وفي الوقت الذي جمع فيه نور الدين زنكي جيشه لنجدة أهل عسقلان[٦] أجبر مجير الدين أبق من قبل سكان مدينة دمشق على الانضمام بقواته إلى جانب جيش نور الدين وذلك لكون عسقلان آخر مدينه إسلامية على ساحل فلسطين[٧] فخاف الدمشقيون من أن تسقط بأيدي الصليبيين وعندها يفكر الملك بلدوين الثالث بمهاجمة مدينتهم للاستيلاء عليها[٨]. فسارت جيوشهما إلى

---

(١) W. Of Tyre; A Hist of Deeds; Vol. ٢; ٢١٥-٢١٦; Stevenson; The Cursaders; ١٧٠-١٧١

حسين مؤنس: نور الدين: ١١١ (كان الدافع لغزو عسقلان هو الخوف من نور الدين).

(٢) W. Of Tyre; Ibid; Vol; ٢; ٢٠٢-٢٩٣.

(٣) ابن ميسر: المنتقى: جـ٢: ١٤٦.

(٤) حسين مؤنس: المرجع ذاته: ١٤٣. W. Of Tyre; Ibid; Vol.٢;١٩٥،

(٥) حافظ حمدي: المشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي: ١٢٢، ١٧١. Stevenson; Ibid;

(٦) ابن القلانسي: المذيل: ٤٩٥- ٤٩٦، أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق١: ٢٢٤ "سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: جـ٨: ق١: ٢١٤، أبو الفداء: المختصر: جـ٢: ٣٩. سهيل زكار: الحروب الصليبية: جـ٢: (الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية) لمؤلف رهاوي معاصر لهما: ٥٢٣.

(٧) حسين مؤنس: المصدر ذاته: ١١٠، ١٤٣.

(٨) (أظهر مجير الدين ميلاً لمساعدة أهل عسقلان)

بانياس حتى وصلته في ٢٩ صفر سنة ٥٤٨هـ/ أواخر أيار ١١٥٣م، في الوقت الذي تواصلت فيها استغاثة أهل عسقلان واستنصارهم بنور الدين فاختلفا ورحلا عن بانياس قبل مقاتلة الفرنج فيها، وأقاما بالأعوج على أمل الرجوع إلى بانياس، لكنهما اختلفا وتفرقا[١]، ويعتقد (ستيفنس المؤرخ) بأن رغبة مجير الدين كانت في مهاجمة بانياس وترك أمر عسقلان في حين لم يفكر نور الدين بع ذلك بأي عمل لمساعدة أهل عسقلان[٢]، غير أني أرى أسباباً أخرى لموقف كل منهما. أما مجير الدين فمن المرجح أنه كان لا يرغب في المواجهة المباشرة مع ملك القدس بلدوين الثالث الذي تربطه به معاهدة تحالف وعدم اعتداء، كما يمكن القول بأن رجوعه لدمشق كان لإصلاح أحوالها خصوصا بعدما وقع فيها من مشاحنات بين رئيس البلد[٣] وأخويه عز الدولة وزين الدولة، وذلك لإعادة الأمن إلى دمشق[٤]. أما بالنسبة لنور الدين فيرجح أنه بعد أن وقع الخلاف بينه وبين مجير الدين آبق لم يعد في مقدوره الوصول إلى عسقلان نظراً لاعتراض دمشق طريقة وتوسط بلاد الفرنج بينه وبينها[٥]. وبعد حصار طويل سقطت عسقلان بيد الصليبيين في ١٣ آب على الأمان مقابل السماح لأهلها بالجلاء عنها بأبنائهم وأزواجهم وممتلكاتهم. وزودهم الملك بلدين الثالث بأدلاء حتى العريش[٦].

H. Fink "The Role of Damascus"; M. World; XLIX:٥٣ Stevenson; The Crusaders; ١٧١.

(١) ابن القلانسي: المذيل: ٤٩٦، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: جـ٨: ق١: ٢١٤-٢١٥، أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق١: ٢٢٤، شاكر أبو بدر: الحروب الصليبية: ٢٧٨.

(٢) ١٧١٢ -١٧١ ;Stevenson; Ibid، حسين مؤنس: نور الدين: ٢٥٣.

(أحسّ نور الدين من ناحية حليفة بما أوقع الشك في نواياه وأدرك أن التعاون معه لا يؤمن وزاده إيماناً بذلك أن بلدوين لم يتحرك من موضعه ولا خاف على بلاده، فاستيقن نور الدين أن هناك أمراً مبيتاً بين بلدوين ومجير الدين ورجاله فآثر العودة إلى حلب وتجنيب جنده ما لا تحمد عقباه).

(٣) مؤيد الدولة، المسيب بن علي وزير مجير الدين صاحب دمشق، توفي سنة ٥٤١هـ. أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١: ق١: ١٦٤ (الحاشية)، العماد الحنبلي: شذرات الذهب: جـ٤: ١٥٤.

(٤) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٤٩٧.

(٥) ابن الأثير: التاريخ الباهر: ١٠٦.

(٦) W. Of Tyre; A Hist of Deeds; Vol.٢; ٢٣٢- ٢٣٣.

وقوي أمر الفرنج بملك عسقلان حتى طمعوا في دمشق، واستضعفوا مجير الدين صاحبها، وتابعوا الإغارة على بلاده، حتى أنهم فرضوا على أهل مدينة دمشق مبلغاً من المال يؤدونه كل سنة، فكان رسولهم يجيء إلى دمشق ويجبيه من أهل البلد، وأكثر من ذلك أنهم استعرضوا عبيدهم وإماءهم وخيروهم بين المقام عند مواليهم أو العودة إلى أوطانهم فمن أحب المقام تركوه، ومن أحب وطنه سار إليه(١). وزالت طاعة مجير الدين من أهل البلد حتى خشي أهلها وخافوا من العدو(٢)، مما جعل نور الدين يعمل على إخضاع دمشق لما يشكله سقوطها بيد الصليبيين من خطر يتهدد الوجود الإسلامي في الشام كله(٣). فتمكن من دخولها في ١٠ صفر سنة ٥٤٩هـ/ ١٨ نيسان ١١٥٤م(٤). فبعث الخليفة العباسي المقتفي عهداً بالسلطنة لنور الدين(٥).

٤. تحالف إمارة دمشق الأتابكية مع مملكة بيت القدس اللاتينية:

شكل الخطر المشترك الذي واجهته كل من إمارة دمشق ومملكة بيت المقدس عاملاً موحداً بين الطرفين في مقاومة هذا الخطر(٦)، فتحقق قيام تحالف بينهما في سنة ٥٣٤هـ/ ١١٣٩م تمخض عن الاستيلاء على بانياس من يد طرغت والي عماد الدين عليها، وإعادتها

---

(١) أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق١: ٢٣٦، ابن الأثير: التاريخ الباهر: ١٠٦، الكامل: جـ١١: ١٩٧، ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية في السيرة النبوية أو تاريخ السلطان نور الدين محمود بن زنكي: تحقيق: محمود زايد. دار الكتاب الجديد. ط١، ١٩٧١م، بيروت – لبنان.

(٢) ابن الأثير: المصدر ذاته: ١٠٦، أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١: ق١: ٢٣٦، ابن العديم: زبدة الحلب: جـ٢: ٣٠٤.

(٣) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ١٩٧.

(٤) ابن القلانسي: المذيل: ٥٠٤، ابن العديم: المصدر ذاته: جـ٢: ٣٠٣، أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١: ق١: ٢٣٩- ٢٤١، السيوطي: تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة: ٢٩١، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد: ط منقحة، بيروت، المقريزي: السلوك: جـ١: ق١: ٣٨، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، جـ٨: ق١: ٢٢٢، ابن خلدون: تاريخ: جـ٨: ٢٤١- ٢٤٢، رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ٥٥٠.
Stevensons; The Crusaders ; ١٧١.

(٥) الذهبي: العبر: جـ٤: ١٣٦، خالد معاذ (دمشق في أيام ابن عساكر). كلمات حول ابن عساكر: ١٢٧.

(٦) W. Of Tyre; A Hist of Deeds ; Vol ; ١٠٥.

لسيادة مملكة بيت المقدس اللاتينية، إضافة لزوال تهديد زنكي لكليهما[١]. إلى جانب تعهد أنر بأداء عشرين ألف دينار طيلة مدة الحملة [٢]. وبقي معين الدين أنر وفياً لعهده حيث سل حصن بانياس للفرنج الدين أعادوا تنصيب رينيه بروس والياً عليها[٣]. وتأكد التحالف بين الملك فولك وأنر، عندما بادر أنر وبصحبته أسامة بن منقذ بزيارة الملك فولك في بلاطه بعكا حيث احتفل باستقبالهما وكان ذلك في سنة ٥٣٤هـ/ ١١٣٩م[٤].

كما فشلت محاولة نور الدين زنكي في شوال سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٧م في القضاء على التحالف القائم بين معين الدين أنر وبيت القدس عن طريق زواجه من ابنة أنر لأن إلغاء هذا الحلف يؤدي إلى وقع دمشق بيد نور الدين زنكي [٥]. وفي الوقت الذي وصلت فيه الحملة الصليبية الثانية إلى سواحل الشام، عاضدها فرنج بيت المقدس واتجهوا جميعاً لحصار مدينة دمشق، لكن أنر تمكن بحنكته السياسية من إقناع فرنج القدس بالعدول عن حصار دمشق وتخويفهم بملك الألمان[٦].

علم نور الدين بافساد الفرنج في ناحية حوران فتوجه إليها في سنة ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م وأرسل إلى دمشق يطلب مساعدتها، لكن أمراءها لم يجيبوا طلبه بحجة

---

(1) La Monte ; Feudal Monarchy; ١٤.

(٢) ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٧٤، W. of Tyre; Ibid; Vol; ٢; ١٠٥

(٣)ابن القلانسي: المذيل: ٤٢٥-٤٢٧، رنسيمان: المرجع ذاته: جـ٢: ٣٣٦، فايد عاشور: جهاد المسلمين: ١١٩، ١٩٠ W. of Tyre; Ibid ; Vol.٢; ١١٢، La Monte Ibid; ١٤

(٤) أسامة بن منقذ: الاعتبار: ٤، حرره فيليب حتي. الدار المتحدة للنشر والطباعة والتوزيع.مطبعة برنستون الولايات المتحدة، ١٩٣٠، الطبعة ١٩٨١م. La Monte; Ibid; ١٤، رنسيمان: المرجع ذاته: جـ٢: ٣٦٦.

(٥) أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق١: ١٢٩، المعاضيدي: الحياة السياسية في بلاد الشام ك ١٨٨- ١٨٩، سعيد عاشور: المرجع ذاته: جـ٢: ٦١٦.

Viriginia ; "The ٢nd Crusades Setton. The Crusades" Vol. ١. ٤٦٦.

(٦) ابن الأثير: التاريخ الباهر: ٨٩، الكامل: جـ١١، ١٣٠، أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق١: ١٣٨، أبو الفداء: المختصر: جـ٢: ٣٠، ابن كثير: البداية والنهاية: جـ١٢: ٢٢٣-٢٢٤، ابن الجوزي: المنتظم: جـ١٠: ١٣٠-١٣١، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: جـ٨: ق١: ١٩٧- ١٩٨، ابن خلدون: تاريخ: جـ٥: ١٦٠، ابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ٧٥، القرماني: أخبار الدولة وآثار الأول في التاريخ: ١٧٥ (وكان بينهم صلح لمدة سنتين منذ محرم سنة ٥٤٤هـ/ آيار ١١٤٩م)، عالم الكتب، بيروت، وسيرى، أخبار الدول. ابن القلانسي: المذيل: ٤٧١ – ٤٧٢، أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١: ق١: ١٤٩ (هذه المصادر هنا قليلة الأهمية).

معاهدتهم للفرنج فغضب نور الدين ونزل بمرج بيوس[١] في الوقت الذي راسل فيه أمراء دمشق الفرنج بأمره، فقدموا لنجدتهم عليه[٢]، واستمر هذا الحلف قائماً بين الطرفين وتمثل ذلك في وقوف الفرنج إلى جانب أنر عندما قدم نور الدين لمحاصرة دمشق في سنة ٥٤٦ هـ/ ١١٥١م حيث اضطر للتراجع عنها إلى عين الجر في البقاع، عندما سارت الجيوش المتحالفة إلى بصرى لمنازلتها ولكنهم رجعوا عنها خاسرين في العشر الأواسط من شهر ربيع الأول من سنة ٥٤٦هـ/ ١١٥١م، وراسل الفرنج مجير الدين يلتمسون منه باقي المقاطعة المبذولة لهم عن ترحيل نور الدين عن دمشق[٣]. فأداها لهم واستمر الحلف قائماً.

وإزاء ازدياد تدخل الفرنج في شؤون دمشق الداخلية، أحس نور الدين بضرورة مواجهة هذا الخطر[٤]، لذا فكر جدياً في الاستيلاء على دمشق مستفيداً من نقمة أهل دمشق على مجير الدين لتردده في نجدة أهل عسقلان[٥]، غير أنه أدرك بأن مجير الدين سوف يلجأ للفرنج إذا ما سار بجيشه إلى دمشق، فحالفه وطمأنه حتى وثق منه، فوشى نور الدين بكبراء دولته فقتلهم، وزادت نقمة الناس عليه فاتفق نور الدين مع بعض أهل البلد على مساعدته في دخولها، فلما حاصر نور الدين دمشق، أرسل مجير الدين إلى الفرنج واعداً إياهم بتسليمهم مدينة بعلبك وجزءاً من البقاع إضافة للأموال[٦]. لكن كره أهل

(١) جبل الشام بوادي التيم من دمشق. ياقوت: معجم البلدان: جـ٥: ٤٢٨.

(٢) أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١: ق: ١٧٧ – ١٧٨.

(٣) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٤٨٤– ٤٩٠، أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١: ق١: ٢٠٠– ٢٠٣، سبط ابن الجوزي: المصدر ذاته: جـ٨: ق١: ٢٠٩– ٢٢٠.

(٤) ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ١٩٧.

(٥) ابو المحاسن في: النجوم الزاهرة: جـ٥: ٣١٨. (فلما تحرك نور الدين لطلب دمشق وافقه أهلا لما في نفوسهم من مجير الدين). Stevenson; The Crusaders; ١٧١

(٦) رنسيمان: تاريخ:جـ٢: ٥٥١. (مبلغ ثمانية آلاف دينار).

دمشق لمجير الدين عجّل في سقوط دمشق في يده قبل وصول الفرنج [1]، الذين تـأثروا لما حدث وأسقط في أيديهم لأنهم لم يتوقعوا أن يتم الأمر بهذه السرعة مما مهـد لبدايـة مرحلـة جديدة أكثر حدة من سابقتها وأبعد أثراً في تاريخ العلاقـات الـسياسية بـين إمـارة دمـشق ومملكة بيت المقدس. وهذا يقودنا إلى البحث بالتفصيل لإيضاح هذه العلاقات في الفـصل الرابع.



(١) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ١٩٧- ١٩٨ (قلعة بعلبك)، الباهر: ١٠٦- ١٠٧، ابن القلانسي: المذيل: ٥٠٤- ٥٠٥، أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق١: ٢٣٦- ٢٣٨، ابن العديم: زبدة الحلب: جـ٢: ٣٠٥، الحافظ ابن عساكر: التاريخ الكبير: م٢: ٣١٧، المقريزي: السلوك: جـ١: ق١: ٣٨، ابن خلدون: تاريخ: ٢٤١- ٢٤٢، الذهبي: العبر: جـ٤: ١٥٢، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام: جـ٤: ٣٤٩، محمد العمروسي المطوى: الحروب الصليبية: ٧١.

M.W. Baldwin: " The Lat. States" ; Setton " The Crusades Vol. I; ٥٣٨.


الذخيرة العربية



الفصل الرابع

العلاقات السياسية
بين إمارة دمشق الزنكية
وبين مملكة بيت المقدس اللاتينية

(٥٤٩هـ/١١٥٤م - ٥٧٠هـ/١١٧٤م)


الذخيرة العربية

لقد كان لدخول نور الدين دمشق في عاشر صفر سنة ٥٤٩هـ[١] / ٢٥ نيسان ١١٥٤م[٢] وإضافتها إلى حلب[٣] أعمق الأثر في إضعاف شوكة الصليبيين في الشام مما ترتب عليه تغيرات أساسية في السياسة العامة لإمارة دمشق الزنكية مع مملكة بيت المقدس عبر عقدين من الزمان.

أولاً: محاولة الصليبيين وقف توسع نور الدين في المناطق الخاضعة لنفوذهم:

وترتب على انتقال مركز دولة نور الدين من حلب إلى دمشق أن أصبح قريباً من أراضي مملكة بيت المقدس اللاتينية، ونتج عن ذلك احتكاك دائم بين الدولتين أثر على مجرى العلاقات السياسية بينهما. واتبع نور الدين سياسة تقوم على حفظ بلاده من الاعتداء وانتهاز الفرص المناسبة للتوسع على حساب أراضي مملكة بيت المقدس، لكنه مال أحياناً إلى مهادنة الصليبيين وموادعتهم كلما اقتضت مصلحة البلاد ذلك، ووفق الوضع العسكري لإمارته الزنكية.

كما وتمكن نور الدين من ضمّ كل من حران في الجزيرة وكان بها أخوه نصرة الدين أمير أميران، وبصرى وصرخد في حوران في سنة ٥٥٥ هـ/ ١١٦٠م. كما تمكن من ضم قلعة جعبر من صاحبها ابن مالك العقيلي وكان ذلك من سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٩م[٤].

---

(١) أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق١: ٩٦. (رواية ابن أبي طي)، ابن الأثير: الكامل: جـ١١:١٩٨، المقريزي: السلوك:جـ١ :ق١: ٣٨، السيوطي: تاريخ الخلفاء: ٢٩١، حسين مؤنس: نور الدين: ٢٤٤، الغزي: نهر الذهب في تاريخ حلب: جـ٣: ٩٣. طبع المطبعة المارونية بحلب ١٣٤٢هـ/ ١٣٤٥هـ "Dimashk" The Encyclopedia of Islam;٢٨٣.

(٢) ابن القلانسي: المذيل: ٣٢٧، ابن الأثير: التاريخ الباهر: ١٠٦، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة: جـ٥: ٣١٨، أبو الفداء: المختصر: م٢: ٤٢، الذهبي: العبر: جـ٤: ١٣٥.

(٣) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي:جـ٤ العصر العباسي الثاني في الشرق في مصر والمغرب والأندلس: جـ٤: ٢٥٠، ط١٩٨٢:٢م. نشر وطباعة: مكتبة النهضة المصرية. وسيرد: تاريخ الإسلام.

(٤) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: جـ٨: ق١: ٢٣٢، ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية: ١٧٢.

١ - توحيد نور الدين للشام وتوسعه على حساب مناطق نفوذ الصليبيين.

وفي إطار هذه السياسة فقد قام نور الدين بضم سنجار[١] في سنة ٥٦٥ هـ/ ١١٧٠م[٢] كما تمكن من ضم الموصل[٣] والرقة والخابور ونصيبين[٤] في سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧١م وحافظ نور الدين على العلاقات السابقة بين دمشق ومملكة بيت المقدس، فاستمر بدفع الضريبة السنوية التي كانت تدفعها دمشق[٥] وتم ذلك في ٢٤ ربيع الأول سنة ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م واستمر ذلك لفترة عشر سنين منذ دخوله دمشق تجدد سنوياً من أجل إقرار أمر دمشق وتقويتها [٦] ولتثبيت حكمه فيها، وفي البلاد الواقعة إلى الشمال من حلب، والتوسع على حساب سلطان قونية، قلج أرسلان الثاني بن مسعود[٧]. شأنه في ذلك شأن بلدوين الثالث ملك القدس الذي لم يكن باستطاعته المبادرة بأي هجوم على دمشق [٨]. وجدّد نور الدين محمود بن زنكي في شوال سنة ٥٥١هـ/ ١١٥٦م الهدنة المعقودة مع بيت المقدس في سنة ٥٥٠هـ/ حزيران ١١٥٥م لسنة أخرى، وتعهد بموجبها

---

(١) مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام. ياقوت الحموي: معجم البلدان: جـ٣: ٢٦٢.

(٢) أبو شامة: الروضتين:جـ١ :ق٢:٤٦٧، الذهبي: العبر: جـ٤: ١٩٠.

(٣) أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١: ق٢: ٤٣٧-٤٧٨، ابن قاضي شهبة: المصدر ذاته: ١٩٠، ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات: م٤:جـ١٣:١، تحقيق ونشر محمد الشماع، مطبعة حداد. بصرى - عشار.

(٤) أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١: ق١: ٤٧٦، ابن الفرات: المصدر ذاته: م٤: جـ١: ١١٠.

(٥) ابن القلانسي: المذيل: ٥١٦، رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ٥٥١،
M.W.Baldwin; "The Lat.Staes" ; Setton ' The Crusades; Vol. I;٥٣٨. Stevenson; The Crusaders; ١٧٤.

(٦) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٣٣٦، Stevenson ; Ibid;١٧٣.

(٧) أبو شاهة: المصدر ذاته: أ١ ؛ ق١: ٢٥٢ (قلج ارسلان)،
H.A.R. Gibb; " The Career of Nur Ad-din"; ١٧٣-١٧٥.

(٨) أبو شامة: الروضتين: جـ١: ٢٥٣- ٢٥٤، M.W.Baldwin ; "The lat. States " ; Set-ton , The Crsades; Vol;٥٣٩.

بدفع مبلغ ثمانية آلاف دينار صورية(١). وفي السنة ذاتها سار إلى قلعة حارم(٢) التابعة لصاحب أنطاكية (أرناط) فحاصرها حتى صالحوه على مناصفة أعمالها معه (٣). ومرت سنوات ٥٥٠هـ / ١١٥٥م و ٥٥١ هـ/ ١١٥٦م بدون قتال بين نور الدين وبيت المقدس(٤).

نقض الملك بلدوين الثالث الهدنة المستقرة مع نور الدين عندما قام بالإغارة (٥) على رعاة مسلمين بالقرب من بانياس فبددهم قتلاً وأسراً، ونهب مواشيهم، مما جعل نور الدين زنكي يرسل الرسل إلى مصر لتنظيم التعاون العسكري معها ضد الفرنج (٦). وبادر بجمع جيشه واصطحب آلات الحصار معه إلى مدينة بانياس في سنة ٥٥٢هـ/ ١١ أيار ١١٥٧م، فحاصرها حتى سقطت في يده فلجأ من بها إلى القلعة(٧)، فأحرق المدينة وحاصر القلعة.

---

(١)أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١: ق١: ٢٥٨ (أولها شعبان)، ابن القلانسي: المذيل: ٥١٦ شاكر أبو بدر: الحروب الصليبية ٢٧٩- ٢٨٠،

Gibb; The Career of Nur Ad-din; Setton ;Ibid ; Vol.I;٥٢٠, Stevenson; The Crudaders; ١٧٤-١٧٥.

M.W.Baldwin ; Ibid; Setton ; Ibid ; Vol. I; ٥٣٩.

(٢) أبو شامة: الروضتين:جـ١:ق٢:٤٦٧، الذهبي: العبر: جـ٤: ١٩٠.
البلدان: جـ٢: ٢٠٥.

(٣) ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٢٠٨، التاريخ الباهر: ١٠٩، أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١: ق١: ٢٥٣- ٢٥٤، ابن العديم: زبدة الحلب: جـ: ٣٠٥-٣٠٦. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية: ١٤٩.

(٤) Stevenson ; Ibid;١٧٣.

(٥) (وقعت الغارة في شباط سنة ١١٥٧م بينما كانت بداية الهدنة شهر أيلول ١١٥٦م) ويرى أن سببها هو (إغراء بعض الأشقياء للملك بوفرة هذه الغنيمة) انظر: (الحاشية).

W.of Tryre; A Hist of Deeds ; Vol.٢; ٢٦٥.

بينما يرى أبو شامة في الروضتين: جـ:ق١: ٢٥٩، بأنه (وصول عدة مراكب من البحر) وكانت الغارة على ناحية الشعراء المتجاورة لبانياس وأنها كانت في العشر الآخر من ذي الحجة سنة ٥٥١هـ) (وقعت الغارة في كانون ثاني سنة ١٥٧م).

Stevenson; Ibid; ١٧٦.

(٦) H.Gibb; " The Career of Nur Ad- Din; " Setten" ; " The Crusades" Vol. I; ٥٢١.

(٧) ابن القلانسي: المذيل: ٥١٧، W.of Tyre ; A Hist of Deedds; Vol.٢;٢٥٥-٢٥٧.

وعندما جمع الملك الجيوش تصدى لهم نصرة الدين أمير أميران أخو نور الدين، حيث التقاهم قرب طبريا وهزمهم، ففر الملك بلودين إلى صفد في ١٣ ربيع الأول ٥٥٢هـ/ ١٩ حزيران ١١٥٧م[١] وعاد نور الدين إلى بانياس، ولما بلغه تجميع الملك بلدوين ثانية لجيش كبير، إضافة لسماعه في آخر تموز بتحركات قلج أرسلان بن مسعود سلطان قونية قرب أراضيه مما دعاه للتوجه إلى الشمال في سنة ٥٥٢هـ/ ١١ آب ١١٥٧م، مع إبقاء فئة قليلة من الجيش لملاحظة تحركات جيش بيت المقدس، عاد بلدوين الثالث فأعاد بانياس[٢].

وكما شجع وصول أسطول مع الكونت فولك الأنجوي إلى الساحل، الملك بلدوين الثالث على نقض الهدنة فقد أغرى انتصار نور الدين ونجاح حصاره الأول لبانياس في العود إليها ثانية حيث أقام عليها الحصار مما جعل الملك بلدوين يقوم بمراسلة أمراء، أنطاكية وطرابلس[٣]، وكونسطبل المملكة لجميع الجيوش والمسير بها إليه قرب حصن هونين، فتمكن نور الدين في هذه الأثناء من دخول المدينة في ٢٨ ربيع الأول سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧م، ومحاصرة القلعة والتضييق عليها، لكنه ما لبث أن شعر بقدوم ملك القدس بتلك الجيوش فرفع الحصار وعاد إلى مملكته[٤]. ومضت سنة ٥٥٣هـ/ ١١٥٨م بدون

ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية: ١٥٠، رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ٥٥١،

Gibb; Ibid; Setton ; Ibid; Vol. I.٥٢١.

(١) Gibb; Ibid ; Setton ; Ibid; Vol. I; ٥٢١, W. of Tyre ; Ibid; Vol.٢;٢٦١, Stevenson; The Crusades; ١٧٧

ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٥١٩-٥٣٠، أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق١: ٢٦٩، ١٧١، ابن قاضي شهبة: المصدر ذاته: ١٥٠، المعاضيدي: الحياة السياسية في بلاد الشام: ٢٠١ (هزم نصرة الدين الفرنج في ١٥ ربيع الأول سنة ٥٥٢هـ/ ٢٨ نيسان ١١٥٧م).

(٢) أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١: ق١: ٢٧٣-٢٧٤.

Stevenson ; Ibid , ١٧٧-١٧٨. W. of Tyre; Ibid , Vol. ٢ ; ٢٥٨-٢٥٩.

(٣) هو ريموند الثالث، ابن ريموند الثاني ابن ريموند الصنجيلي مؤسس إمارة طرابلس، وهو كونت طرابلس في هذه الفترة.

أبو شامة الروضتين: جـ١: ق١: ٢٦٩- ٢٧١، ٢٧٣.

(٤) ابن القلانسي: المذيل: ٥٢١- ٥٢٢.

W. of Tryre ; A Hist of Deeds; Vol.٢; ٢٦٢-٢٦٤.

M.W. Baldwin ; " The Lat. States" ; Setton; " The Crsades " Vol. I.٥٣٩.

قيام أي من الطرفين بقيادة حملة عسكرية ضد الآخر. باستثناء بعض الغارات الـصغيرة[١]. ويعود هذا للزلازل التي ضربت الشام فهدمت أسوار المدن والقلاع مما دعا نور الـدين إلى العمل على ترميمها غير أن نور الدين نفسه قد مرض في هذا العـام مرضـا أشرف بـه عـلى الموت[٢]. فانتهز ملك القدس الفرصة وقام بمحاصرة شيرز وأخذها وكانـت مـن أمـلاك نور الدين [٣]، كما قام بلدوين الثالـث برفقـة ثـيري الألـزاسي كونـت فلانـدرز بمهاجمـة نواحي دمشق، فجمع نور الدين جيشه وسار إلى حصن حبس جلدك جنوب شرق بحـيرة طبريا، لطن جيشه قد هزم من قبل الصليبيين في ٥٥٣هـ/ ١٥ تمـوز ١١٥٨م [٤]. وأعقـب ذلك هدنة بين الطرفين أوقفت القتال بينهما[٥].

ولما عرض المصريون على نور الدين محالفته ضد الصليبيين، لم يستجب لهـذا العـرض، ولعل ذلك راجـع إلى المـرض الـذي عـاوده ثانيـة في دمـشق في مطلـع سـنة ٥٥٤هــت / ١١٥٩م[٦]. إضافة لانعقاد الهدنة والصلح بين نور الدين والفرنج[٧]، ولاتفاقه مع مانويل

---

(١) M.W. Baldwin ; Ibid; Vol.I.٥٣٩.

(٢) W.of Tyre; A Hist of Deeds ; Vol. ٢; ٢٦٦، أبو شامة المصدر ذاته: جـ١: ق١: ٢٧٤، ابن قاضي شبهة: الكواكب الدرية: ١٥٣،

Gibb; " Career" ; Setton ; Ibid; Vol; I; ٥٢١.

(٣) أبو شامة المصدر ذاته: جـ١: ق١: ٢٧٤: Gibb ; Ibid; Setton; Ibid ; Vol. I; ٥٢٢,W. Of Tyre ; A Hist of Deeds ; Vol. ٢; ٢٦٦-٢٦٨.

(٤) W. of Tyre ; A Hist of Deeds ; Vol. ٢ ; ٢٧٢-٢٧٣، أبو شامة المصدر ذاته: جـ١: ق١: ٢٨٨، Gibb; Ibid ; Setton ; Ibid; Vol. I; ٥٢٢, M.W. Balawin ; Ibid , Setton ; Ibid; Vol.I; ٥٤٢, Stevenson ; The Crusaders, ١٧٩.

(٥) أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق١: ٣٠٠، ابن الأثير: التاريخ الباهر: ١٨ (رفض نور الدين المهادنة)

M.W. Baldwin ; The States: Setton , The Crusaders ; Vol. I; ٥٤٢; Stevenson; The Crusaders; ١٨١.

(٦) ابن القلانسي: المذيل: ٥٤٢، المصدر ذاته: جـ١: ق١: ٢٨٨- ٢٨٩.

Stevenson ; Ibid ; ١٨٠

(٧) Gibb. " Career" , Setton ; Ibid: Vol. I; ٥٢٢, Stevenson ; Ibid , ١٨٢.

ضد سلطان قونية في سنة ٥٥٤ هـ / ١١٥٩م، حتى لا يجعل مملكه محاصرة بين عدوين [١]، فانتهز نور الدين هذه الهدنة وجمع جيوشه وسار بها شمالاً إلى سلطان قونية، قلج أرسلان الثاني حيث هزمه وفتح مرعش وبهنسا، ورعبان وكيسوم، آملاً في وقف تهديداته لدولته من الشمال [٢]، غير أن الملك بلديون الثالث بادر بجمع جيوشه وسار بها إلى أراضي دمشق ينهب ويحرق ويدمر، ولم يكن بدمشق سوى حامية صغيرة بقيادة نجم الدين أيوب (والد صلاح الدين يوسف الأيوبي) الذي لجأ إلى الحيلة فأعطى ملك القدس أربعمائة قطعة ذهبية وستة فرسان من الأسرى مقابل منحه هدنة لمدة ثلاثة شهور، منتظراً عودة نور الدين من الشمال. وبتأخير عودة نور الدين، عاد بلدوين ملك القدس للعبث والفساد في أعمال دمشق، فعاد بغنائم وافرة وأسرى إلى مملكته[٣]. ولما عاد نور الدين إلى دمشق بدأ هو وبلدوين يحضران لحملة عسكرية ضد بعضهما البعض، لكنهما لم يقوما بأي حملة خلال الصيف، وفي الشتاء عقدت بينهما هدنة لمدة سنتين هدف منها نور الدين إلى تأمين حدود بلاده الجنوبية كما فعل بالشمالية منها [٤]. وحدث أن سيطر نور الدين على حارم في ٢١ رمضان سنة ٥٥٩هـ/ ١٢ آب ١١٦٤م [٥].

---

(١)Gibb ; Ibid ; Setton ; Ibid ; Vol. I. ٥٢٣.

قدري قلعجي: قصة الصراع بين الشرق والغرب: ١٣١.

(٢) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٥٥١،

Stevenson ; Ibid ; ١٨٢, W. Of Tyre ; A Hist of Deeds ; Vol. ٢; ٢٨٢.

Gibb; Ibid ; Setton ; Ibid ; Vol. I. ٥٢٣.

(٣) Gibb; Ibid ; Setton ; Ibid; Vol. I; ٥٢٢, W. Of Tyre ; Ibid ; Vol. ٢; ٢٨٢-٢٨٣.

(٤) Gibb; "Career:; Setton; The Crusdes ; Vol. I; ٥٢٣, Stevenson; The Crusaders; ١٨٢-١٨٤.

(٥) ابن الأثير: التاريخ الباهر: ١٢٥، ١٣٠، الكامل: جـ١١: ٣٠١، ٣٠٤ (سقطت بانياس بيد نور الدين في ذو الحجة سنة ٥٥٩هـ) أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق١: ٣٤٢، ابن العديم: زبدة الحلب: جـ٢: ٣١٨-٣٢١. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية: ١٦٦، ١٦٨،

W. of Tyre ; A Hist of Deeds ; Vol. ٢; ٣٠٨ – ٣١٠.

حسين مؤنس: نور الدين: ٣٩٢، المعاضيدي: الحياة السياسية في بلاد الشام: ٢٠٥ك.

Stevenson ; Ibid ; ١٨٦ ; M.W. Baldwin; The Lat ' Ststes ; Setton ; The Crusades ; Vol. I; ٥٢٦.

ثم وقعت بين الطرفين هدنة في سنة ٥٦٥هـ / آخر حزيران ١١٧٠م نتيجة للزلازل التي دمرت العديد من المدن وحصون الطرفين، وذلك لإعادة تعميرها وبنائها، لكنها لم تدم طويلاً حتى خرقها الصليبيون بالاعتداء على سفينة مصرية في اللاذقية في خريف سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م حيث قام نور الدين بالإغارة على الأراضي التابعة لإمارة طرابلس، ففتح عرقه وصافيتا وعريما. وفي خريف سنة ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م تعرض لغارات الفرنج في حوران وأرسل غارات مضادة على منطقة طبريا وكانت هذه آخر غاراته في الجنوب[١].

حالف نور الدين مليح بن لاون الذي تولى الأمر بعد أخيه ثوروس الأرمني فاستولى على أملاك أخيه من (ابنه روبين) [٢] مما جعل أملريك يقوم بحملة ضده وبعد رجوعه من القسطنطينية في سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١م، غير أن نور الدين قاطع هذه الحملة بالإغارة على الكرك ثم جاءت وفاة نور الدين في ١١ شوال سنة ٥٦٩ هـ / ١٥ آيار١١٧٤م[٣]، مقدمة لمرحلة جديدة في تاريخ العلاقات السياسية بين إمارة دمشق ومملكة بيت المقدس اللاتينية.

٢. تحالف مملكة بيت المقدس اللاتينية مع بيزنطة ضد نور الدين:

نتيجة لتهديد دولة نور الدين وسيطرتها على بعض مدن وقلاع بيت المقدس مثل بانياس وغزة في سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٦م [٤]، لجأت مملكة بيت المقدس إلى محالفة الإمبراطورية البيزنطية وتم ذلك من خلال زواج الملك بلدوين الثالث من ثيودورة ابنة أخ الإمبراطور البيزنطي مانويل كوميناس في٥٥٣هـ/ أيلول ١١٥٨م في بيت المقدس[٥].

---

(١) ابن العديم: المصدر ذاته: جـ٢: ٣٣٦- ٣٣٧،

Gibb; Ibid , Setton ; Ibid ; Vol. I; ٥٢٦.

(٢) حسين مؤنس: المرجع ذات: ٣٣٣.

(٣) ابن العديم: زبدة الحلب: جـ٢: ٣٣٧، ٣٤٠، محمد سليم الجندي: تاريخ معرة النعمان: جـ١: ١٧١.

Gibb; " Career " ; Setton ; " The Crusades " ; Vol. I, ٥٢٦.

(٤) ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية: ١٥٤، ابن شاكر الكتبي: عيون التواريخ: جـ١٢: ٤٩٨، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب: جـ٤: ١٦١.

(٥) Stevenson ; The Crusaders ; ١٨١, W. of Tyre ; A Hist Of Deeds ; Vol. ٢ ; ٢٧٣- ٢٧٥, J. Prawer ; The Lat. Kingdom ; ١٨-١٩ , M.W. Baldwin The " Lat States" Setton ; Ibid ; Vol. I. ٥٤٢- ٥٤٣.

ولما قدم الإمبراطور مانويل إلى أنطاكية في ٥٥٤ هـ / ربيع سنة ١١٥٩م[١]، توسط الملك بلدوين الثالث بينه وبين ثورس الأمير الأرمني وأصلحهما [٢]، وهكذا كسب ملك القدس حليفين قويين[٣]. وسرعان ما قام هذا الحلف بتوجيه حملة مشتركة ضد نور الدين بالإغارة على حلب وتهديدها فوصلت إلى البلاّنة[٤]، في الوقت الذي ظن فيه نور الدين أن وجهتها حمص وحماة فسار إلى تلك الجهات، وما أن علم نور الدين بذلك حتى سار إلى حلب حيث وصلته رسل الإمبراطور للتوصل إلى اتفاق يتم بموجبه إطلاق سراح برترام ابن الفونسو بن سنجيل مع بعض الأسرى الآخرين ومنهم سيد الداوية، وكان ذلك في سنة ٥٥٤هـ/ مطلع حزيران ١١٥٩م [٥]، وقد كانت هذه المهادنة لصالح الطرفين حيث أدرك نور الدين بأن أي تدخل في شؤون انطاكية سيؤدي إلى تدخل البيزنطيين وهذا مالا نريده، كما أن الصليبيين ضمنوا من هذه المهادنة عدم اعتداء نور الدين عليهم في شمال الشام [٦].

وقد تركزت الدبلوماسية البيزنطية في هذه الفترة حول المحافظة على توازن القوى في الشام بين اللاتين والمسلمين [٧]، لكن أطماع بيزنطية جعلتها توافق على توقيع معاهدة

---

(١) (قدم مانويل لانطاكية بعد ١٢ نيسان ١١٥٩ بقليل)

M.W.Baldwin ; Ibid ; Setton ; Ibid ; Vol. I. ٥٤٤, Stevenson ; Ibid ; ١٨١

(٢) M.W.Baldwin ; Ibid; Setton ; Ibid ; Vol. ١. ٥٤٤, W. of Tyre ; A Hist of Deeds ; Vol. ٢: ٢٧٨.

(٣) M.W. Baldwin ; Ibid ; Setton ; Ibid ; Vol. I. ٥٤٤.

(٤) لم أجدها في كتب الجغرافية التي رجعت إليها.

(٥) أبو شامة: الروضتين: جـ١ : ق١: ٣٠٧.

W. of Tyre ; A Hist of Deeds ; Vol. ٢; ٢٨٠-٢٨١.

ابن قاضي شهبة: الكواكب الذرية: ١٥٦،

Stevenson ; The Crusaders , ١٨١, M.W. Baldwin ; The lat. States ; Setton ; The Crusades ; Vol. I; ٥٤٥, Gibb, " Gibb, " Career" ; Setton ; Ibid.

(٦) أبو شامة المصدر ذاته: جـ١ : ق١: ٣٠٧، حسين مؤنس: نور الدين: ٢٨٠.

(٧)M.W. Baldwin ; Ibid; Setton ; Ibid ; Vol. I; ٥٤٥

جديدة مع أملريك ملك القدس في سنة ٥٦٣هـ/ ١١٦٨م تنص على: اقتسام مصر بينهما، مقابل مساعدته بإرسالها أسطولها الحربي [١]. على أن تكون رياسة الحملة لأملريك، وأن يطيعه القائد البيزنطي في كل ما يأمره به [٢]. وقد جدد أملريك تحالفه مع بيزنطة سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٩ م فسانده أسطول بيزنطي في حملته على مصر والتي تجمعت في عسقلان في ١٥ تشرين الأول من السنة ذاتها[٣] وقادها أملريك في أول ذي الحجة من سنة ٥٦٥هـ / ١٦ تشرين الأول ١١٦٩ م من عسقلان، فواكبت السفن البيزنطية في مسيرها بحراً، حركة أملريك الذي سار بجيشه براً لمحاصرة دمياط، التي وصلوها في سنة ٥٦٥هـ/ ٢٧ تشرين أول ١١٦٩ م فحاصروها براً وبحراً، لكن هذه الحملة قد فشلت وعادت دون أن تحقق هدفها في إفشال التعاون والتنسيق بين دمشق ومصر [٤]. وفي غياب الملك حضر أندرونيكوس حاكم كليكيا وقريب مانويل إلى أنطاكية لحفظها [٥].

وأراد أملريك المحافظة على توازن القوى في سورية فأرسل إلى لويس السابع ملك فرنسا في ٥٥٧هـ/ ١٠ نيسان ١١٦٢م، ومرة أخرى في السنة ذاتها وثالثة في سنة ٥٥٨هـ / ١١٦٣م، ليرى إذا ما كان ينوي تقديم المساعدة إلى فرنج سورية، لأن انطاكية كانت

---

(١)M.W. Baldwin ; Ibid; Setton ; Ibid ; Vol. I; ٥٥٥

(٢) عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها: ٤٦٨.

(٣) (تضمنت المعاهدة تقديم مانويل المساعدة بالإسطول والجيش والأموال اللازمة مقابل حصوله على جزء من مصر وغنائمها)، انظر:

W.Of Tyre ; Ibid ; Vol. ٢ ; ٣٩٤- ٣٨٣. M. W. Baldwin ; Ibid , Setton ; Ibid ; Vol. I; ٥٥٧. Stevenson ; Ibid ; ٢٠٠.

محمود سعيد عمران: محاضرات في والعلاقات بين الشرق والغرب في العصر الوسطى: ٩٨- ٩٩. مكتب كريدية أخوان (-١٩٨) ٢٨٨ ورقة ستانسل، بيروت.

(٤) (خرج أملريك من عسقلان في ٢٠ تشرين أول ١١٦٨م، وتكون الأسطول من (١٥٠) سفينة حربية إضافة إلى (٦٠) قارباً حربياً، و(١٠) أو (٢٠) سفينة أكبر منها) W. of Tyre ; A Hist of Deeds ; Vol. ٢; ٣٦٢، محمود عمران: محاضرات في العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى: ٩٨.

(٥)m.W. Baldwin ; The lat. States ; Sotton ; The Crusades , Vol. ١; ٥٥٧-٥٥٨.

مهددة بالسقوط في يد الأتراك، أو البيزنطيين [١]. كما اتصل بملوك فرنسا وصقلية في سنة ٥٦٥هـ/ ١١٧٠م[٢]، وهذا إنما يدل على استقرار العلاقة بين فرنج الشام وإمبراطور بيزنطية الذي كان يعتبر أنطاكية من ممتلكاته، وقد كانت هذه الشكوك سبباً في فشل الحملة البيزنطية على دمياط في سنة ٥٦٥هـ/ ١١٧٠م[٣]. إضافة إلى قوة نور الدين الكبيرة التي أصبحت تهدد أمن الفرنج في الشام، وكذلك لجهود صلاح الدين في شحن المدينة وتقويتها[٤].

ولما أغار صلاح الدين الأيوبي (وزير الخليفة الفاطمي العاضد بمصر) على الرملة وعسقلان وهاجم ربض غزة في سنة ٥٥٦ هـ/ كانون أول ١١٧٠م، وفتح قلعة (فرعون) في البحر قرب أيله في ربيع الآخر من السنة ذاتها [٥]. وكان نور الدين قد نشق معه، فقد قام في السنة ذاتها بمهاجمة حصن الكرك لحفظ الطريق التجاري إلى مصر [٦]. وعندها شعر أملريك ملك القدس بالخطر الداهم من قوة مصر المؤثرة والتي أصبح فيها

---

(١)W. of Tyre ; Ibid ; Vol. ٢; ٣٤٥.

Robert Lawrance Nicholson ; Joscelyn ١١١ and the Fall of the Crusaders States ; ١١٣٤-١١٩٩; ٦٩.

وسيرد Leiden. E. J. Brill. ١٩٦٣. Nicholxoson ; Josecelyn ١١١.

(٢) ابن الأثير التاريخ الباهر: ١٤٣ (فكاتبوا الفرنج الذين بالأندلس وصقلية وغيرهما)، ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية: ١٨٥ – ١٨٦، ابن الفرات: تاريخ: م٤: جـ١: ٨٢، محمود عمران: المرجع ذاته: ٩٨.

(٣) ابن الفرات: المصدر ذاته: م٤: جـ ١: ٨٤، مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: جـ١: ٢١٣، تقديم: محمد بحر العلوم. منشورات المطبعة الحيدرية، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، محمود عمران: المرجع ذاته: ٩٩.

(٤) مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: جـ١: ٣١٣.

(٥) Stevenson. " The Crsaders" ; ١٩٩, W. of Tyre ; A hist of Deeds ; Vol. ٢; ٣٧١-٣٧٦ , M.W Baldwin , " The lat. States "; Setton " The Crusdes " ; Vol. ١; ٥٥٨..

ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية: ١٩٤– ١٩٥، ابن الفرات: تاريخ: م٤: جـ١: ١٥، محمد مختار باشا: التوفيقات الإلهامية: جـ٢: ٥٩٨.

(٦) ابن العديم: زبدة الحلب: جـ٢: ٣٣٨– ٣٣٩، ابن الوردي: تاريخ. جـ٢: ١٢٠. Stevenson ; Ibid ١. ١٩٨, حسين مؤنس: نور الدين ٣٤٥،٣٤٦.

صلاح الدين وزيراً وتابعاً لنور الدين الذي يسيطر على الأجزاء الداخلية للشام، وأحس أملريك بأن أملاكه في الشام أصبحت مهددة من الجانبين[1]، كما تخوف من زيادة أعدائه عدداً وقوة في الوقت التي كثرت فيه مشاكل المملكة وأهمها غياب الحكمة لدى قادتها. فاتفق رأي النبلاء على إرسال الرسل للغرب لبحث الوصول إلى حل لمشاكل بيت المقدس فأرسلوا إلى ملوك فرنسا وإنجلترا وصقلية وإسبانيا، وإلى الباب في سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م [2]، لكنهم أدركوا أنه لا بد لهم من إطلاع إمبراطور بيزنطة، فسافر أملريك إلى القسطنطينية حيث تلقاه الإمبراطور كومنيناس بالترحاب وبحث معه مشاكل المملكة واحتياجاتها، فاتفقا على إخضاع مصر[3]. كما وعد الإمبراطور بتحقيق ذلك وتزويده بجيش بري وإسطول حربي، فتأكد التحالف بينهما بتوقيع هذه المعاهدة وعاد أملريك إلى صيدا في سنة ٥٦٧ هـ/ ١٥ حزيران سنة ١١٧١ م [4].

---

(١) محمود عمران: محاضرات: ٩٨، M.W. Baldwin ; Ibid ; Setton ; Ibid Vol. ١; ٥٦٠

(٢) W. of Tyre ; A Hist of deeds ; Vol; Vol. ٢; ٣٧٧- ٣٦٨ , ٣٨١.

حسين مؤنس: نور الدين: ٣١٧

(٣) (كان الرسول وليم الصوري)،

W, of Tyre; A Hist of Deeds ; Vol. ٢; ٣٧٧, ٣٨١.

صبحي عبد الحميد: معارك العرب الحاسمة M.W. Beldwin ; " The Lat States ; Set- ton The Crsades ; Vol. ١ ; ٥٥٨-٥٥٩.

برجاوي: الحروب الصليبية في المشرق: ٣٣٠ (عمل أملريك على تحسين علاقاته مع البيزنطيين وفكر بإنشار سيادة مشتركة بينه وبينهم على الأراضي الممتدة من قيليقية حتى وادي النيل)، برجاوي: المرجع ذاته: ٣٤٥- ٣٤٦ (عقد أملريك مع مانويل كومنيناس ميثاق تحالف يضع مملكه بيت المقدس تحت. السيادة البيزنطية، وإرسال أسطول حربي وجيش بري لفتح مصر)،

حسين مؤنس: نور الدين: ٣٠٧ (تحالفاً للمسير إلى مصر ومقاسمة الغنيمة).

(٤) M.W. Baldwin ; Ibid ; Setton ; Ibid ; Vol. ١; ٥٥٧-٥٥٩ , W. of Tyre ; Ibid Vol. ٢; ٣٨٣ حسين مؤنس: المرجع ذاته: ٣٣٧ (نص الاتفاق على أن يعترف بمانويل رئيسا أعلى للمسيحيين الأصلاء من أهل البلاد التي بيد الصليبيين وأن يقوم الاثنان بحملة على مصر، وان يعملا معا على القضاء على مليح ابن لاون الأرمني، كما حصل مانويل على بعض الحقوق على قبر السيد المسيح في بيت لحم).

وعاد الرسل الذين أرسلهم أملريك إلى الغرب بون نتيجة تذكر لانشغال ملوك الغرب وأمرائهم بأمور بلادهم. كما أرسل أملريك وليم أسقف عكا، من القسطنطينية إلى إيطاليا في سنة ٥٦٨هـ / ١١٧٢م[١] لطلب المساعدة، وربما دل ذلك على ضعف التحالف بين املريك وبيزنطية الذي يبني علاقاته في ضوء مصلحة إمبراطوريته، حيث أن مشاركته في حملة ٥٥٣هـ / ١١٥٨م ضد نور الدين في حلب جاءت نظراً للاتفاق المعقود بينه وبين ثوروس الأرمني وبلدوين الثالث ملك بيت المقدس، والذي منح بموجبه السيادة على كليكيا وأنطاكية[٢]. ولما جدّد الحلف الفرنسي البيزنطي أهمل مانويك الحلف الذي عقده مع أملريك سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م[٣]. إذ كان ميالا لمحالفة الغربيين[٤]. وبالرغم من تأكيد صلاح الدين سيطرته على مصر وخوف أملريك من ذلك، تأخر مانويل في إرسال الحملة حتى وفاة أملريك سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م، حيث انتهى هذا التحالف[٥].

٣. علاقات مملكة بيت المقدس مع الإمارات الصليبية في مواجهة نور الدين:

في الوقت الذي وجدت فيها مملكة بيت المقدس نفسها أمام قوة إسلامية كبيرة بعد أن تمكن نور الدين زنكي من دخول دمشق واتخاذها قاعدة لحكمه عملت على ربط نفسها بتحالفات قوية مع بيزنطة والإمارات الصليبية في الشام، التي وقفت إلى جانبها لردع الأخطار المحدقة بها من قبل نور الدين زنكي. وقد قامت العلاقات ما بين مملكة بيت المقدس وهذه الإمارات على جدة أسس سبق وأن نوقشت في الفصل الثاني، وما يهمنا في معرض هذا البحث هو وقوف هذه الإمارات مع بيت المقدس ضد نور الدين زنكي.

---

(١) W. Of Tyre ; Ibid ; Vol. ٢ ; ٣٨٤- ٣٨٥.
(٢) M.W. Baldwin ; Ibid; Setton ; Ibid ; Vol. ١; ٥٦٠
(٣) M.W. Baldwin ; " The Lat , States " ; Setton ; " Crusades " Vol , ١; ٥٥٩.
(٤) M.W. Baldwin ; Ibid; Setton ; Ibid ; Vol. ١; ٥٥٤
(٥) M.W. Baldwin ; Ibid; Setton ; Ibid ; Vol. ١; ٥٦٠

كانت مسألة بانياس محكاً مناسباً لاختبار هذا التحالف، ففي سنة ٥٥٢ هـ/ ١١ أيار سنة ١١٥٧م حاصر نور الدين مدينة بانياس ودمر تحصيناتها [١]، كما هزم بلدوين الثالث الذي هب لنجدتها [٢]، فاستنجد بأميري انطاكية وطرابلس اللذين سرعان ما لبيا دعوته وسارا بجيشهما حتى التقيا معه قرب حسن هونين[٣]. وسارا مع الملك إلى بانياس مما اضطر نور الدين إلى تركها والعودة إلى بلاده[٤] كما توحدت صفوفهم عندما خرج الملك بلدوين الثالث في سنة ٥٥٩هـ/ ١١٦٤م بناء على طلب شاور السعدي الوزير المصري، حيث حشد نور الدين الجيوش وسار بها نحو حارم، ونصب عليها المجانيق فتصدى له الأمير بوهيمند الثالث صاحب أنطاكية وقمص طرابلس [٥]، وابن جوسلين[٦] ونوروس بن لاون ملك الأرمن واجتمع بهم كل من بقي من الفرنج بالساحل وساروا إلى نور الدين حيث هزمت جيوشهم وأسر يوهيمند صاحب أنطاكية وقمص طرابلس وابن جوسلين ودوقس الروم كولومان، وسار نور الدين إلى حارم فملكها في رمضان من سنة

---

(١)W.of Tyre ; A Hist od Deeds ; Vol. ٢; ٢٥٥, ٢٦١.

ابن القلانسي: المذيل: ٥١٧، أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق: ٢٦٩.

(٢)W. of Tyre ; Ibid ; Vol. ٢; ٢٦٢

ابن العديم: زبدة الحلب: جـ٢: ٦٧٢. وقد كانت في يد فرسان الاسبتارية.

(٣) W. of Tyre ; Ibid ; Vol. ٢; ٢٦٢-٢٦٤،

ابن القلانسي، المصدر ذاته: ٥٢١- ٥٢٢ أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١: ق١: ٢٦٩- ٢٧١، سعيد عاشور: الحركة الصليبية: جـ٢: ٦٤٨ ك.

M.W. Baldwin ; Ibid ; Setton ; Ibid; Vol. ١; ٥٣٩.

(٤)Stevenson ; " The Crusaders " ; ١٧٧-١٧٨ , W. Of tyre ; A Hist of Deeds ; Vol. ٢; ٢٥٧-٢٥٨،

أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق١: ٢٧٢.

(٥) ريموند الثالث بن ريموند كونت طرابلس. انظر: W. of Tyre ; Ibid ; Vol. ٢; ٣٠٧.

(٦) جوسلين الثالث بن جوسلين الثاني كونت الرها. انظر:

W. of Tyre ; Ibid ; Vol. ٢ ; ٣٠٨.

٥٥٩هـ/ ١١٦٤م [١]. ويدل ذلك على وحدة الهدف الذي جمع بين هذه الإمارات الفرنجية وبيت المقدس. وبالإضافة إلى ذلك فقد ارتبطت معها بروابط النظام الإقطاعي[٢] الذي كان يسودها كإمارات مستقلة ارتبط بمملكة بيت المقدس بتبعية خاصة، إذ أرسل أهل أنطاكية إلى بلدوين الثالث يطلبون حضوره للحفاظ على إمارتهم من الخطر المحدق بها من قبل نور الدين، خاصة بعد وقوع الأمير رينالد دي شاتيون (ارناط) في قبضة الترك أسيراً، فاستجاب لدعوتهم وحضر لأنطاكية وأوكل مهمة الإشراف على أراضيها، إلى بطريركها[٣]. كما أن ملك القدس أملريك (شقيق الملك بلدوين الثالث) قد تولى الوصاية على إمارة طرابلس أثناء أسر أميرها ريموند الثالث[٤] فعهد بحماية حصني عكار وعرقة إلى طائفة الاسبتارية[٥]. وهكذا بقي التعاون والتحالف سائداً بين الإمارات الصليبية في الشام ومملكة بيت المقدس في مواجهة القوى الإسلامية في عهد نور الدين زنكي ومطلع عهد صلاح الدين في الحكم.

---

(١) البنداري: سنا البرق الشامي: ١٩، أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١: ق٢: ٣٣٩، ابن الأثير: التاريخ الباهر: ١٢٥، ابن العديم: زبة الحلب: جـ٢: ٣١٩- ٣٢١، ابن القلانسي: المذيل: ٥٧١، ابن قاض شهبة: الكواكب الدرية: ١٦٦- ١٦٨، ابن الوردي: تاريخ: جـ ٢: ١٠٥، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب: جـ٤: ١٨٦، المعاضيدي: الحياة السياسية في الشام: ٢٠٤، برجاوي: الحروب الصليبية في المشرق: ٣٢٨ (كولومان هو حاكم قيليقية البيزنطي، وكان من ضمن الأسرى جوسلين الثالث) حسين مؤنس: نور الدين: ٢٩٢- ٢٩٣ (ومن الأسرى جوسلين الثالث) حسين مؤنس: نور الدين: ٢٩٢-٢٩٣ (ومن الأسرى بوهيمند الثالث أمير انطاكيا ورايموند صاحب طرابلس، وقسطنطين كولومان قائد الحامية البيزنطية في أنطاكية، وكان من اشترك معهم ثوروس الأرمني ودينوي سان فالري صاحب حارم، لكنه عجل باطلاق كولومان حتى يسكت عنه البيزنطيون ويعدوها له منة، فيعينه ذلك على التفرغ لمشروع مصر)
" The crusaders " ; ١٨٦ , Gibb " Career" ; Setton ; " The Crusades" ; Vol. ١; ٥٢٤.

(٢) لقد سبق وأن نوقش في الفصل الثاني بنوع من التفصيل.

(٣)W. of Tyre ; A Hist of Deeds ; Vol. ٢; ٢٨٧.
رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ٤٩١.

(٤)M.W. Baldwin ; " The Lat. States " ; Setton ; The Crusaders , Vol. ١. ٥٥١.
سعيد عاشور: الحركة الصليبية: جـ٢: ٦٩٠.

(٥) سعيد عاشور: المرجع ذاته: جـ ٢: ٦٩٠.

ثانياً: مصر بين دولة نور الدين زنكي ومملكة بيت المقدس اللاتينية:

لعبت مصر بحكم موقعها الجغرافي الهام دوراً بارزاً في تاريخ العلاقات السياسية والعسكرية بين دولة نور الدين محمود بن زنكي، ومملكة بين المقدس اللاتينية، طوال عقدين من الزمان، كانت فيها مسرحاً لصراع عسكري بين قوة نور الدين السنية وقوة الصليبيين اللاتينية، وقد شارك الفاطميون في هذا الصراع كعامل توازن بين هذه القوى وفق ما اقتضته مصلحة بلادهم إلى أن تمّ لنور الدين زنكي السيطرة التامة على مصر والقضاء نهائياً على حكم الخلافة الفاطمية فيها.

١- سياسة نور الدين زنكي نحو مصر وأثرها على العلاقات السياسية مع مملكة بيت المقدس:

بالرغم من حرص نور الدين على الاستيلاء على مصر وربطها ببلاد الشام إلا أنه كان متردداً في اتخاذ خطوة جريئة لتحقيق هذا الهدف فموقع مصر الهام وما تمثله من قوة إسلامية تمتلك من الموارد ما يجعلها تشكل خطراً كبيراً على مملكة بيت المقدس اللاتينية، إضافة لرغبته في الإطباق على بيت المقدس من الشرق والغرب[(١)]، كانت من أبرز الدوافع التي حفزته للتقرب من مصر ومحاولته الاستيلاء عليها. كما أدرك نور الدين أن استيلاءه على مصر ما هو إلا تمهيد للقضاء على الوجود الصليبي في بلاد الشام[(٢)]. فقد عمل منذ البداية على التقرب من الفاطميين ومحالفتهم، إذ أرسل رسله إليهم في سنتي ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م و ٥٥٣هـ/ ١١٥٨م يدعوهم للتعاون معه ضد الصليبيين فعادت رسله محملة بالهدايا والأسلحة، واستمرت العلاقات بينهما في عهد الوزير شاور أبي شجاع السعدي الذي أرسل الهدايا مع أمير من خواصه، إضافة لكتاب ضمنة قصائد يحرض فيها نور

---

(١) Philip K. Hitt ; The Near East in History , A ٥٠٠ Years story ; ٣١٢.

(٢) حسين مؤنس: نور الدين: ٣٣٩، حافظ حمدي: الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي: ١٢٢.

الدين على الصليبيين[١]. وهذا ما شجع شاور على اللجوء إلى نور الدين ناشداً مساعدته، ضد مغتصب وزارته ضرغام[٢]. وكان ذلك في ٦ ربيع الأول سنة ٥٥٨هـ/ ١١٦٣م[٣].

وقد حرك النزاع بين شاور وضرغام الرغبة لدى نور الدين بالتدخل في شؤون مصر خاصة بعد الحملتين الصليبيتين اللتين توجهتا إلى مصر، وقاد الأولى بلدوين الثالث ملك القدس في آخر عهده سنة ٥٥٧هـ/ ١١٦٢م، وقام بالثانية –أخوه وخليفة الحكم أملريك سنة ٥٥٨هـ/ ١١٦٣م[٤] وقد انتهج الصليبيون هذه السياسة بعد أن سيطر نور الدين على مدن إمارة الرها الصليبية وأحاط الصليبيين من الشمال والشرق، فاتجهوا للجنوب نحو مصر[٥]. وبعد أن شجع شاور نور الدين وأطمعه في مصر بقوله" أكون نائبك بالديار المصرية، وأقنع بما تعينه لي من الضياع والباقي لك"[٦]. مما جعله يرسل قائده ومقدم جيشه شيركوه بن شاذي (عم صلاح الدين الأيوبي) رغم تردده، لطمعه بمصر، وبحجة إعادة

---

(١) ابن ميسر: المنتقى: ٩٨، وردت في ديوان أسامة بن منقذ (تحقيق: أحمد بدوي وحامد عبد الحميد) وقصائد متبادلة بين أسامة بن منقذ عن نور الدين وبين الوزير الفاطمي الصالح بن رزيّك.

كما وردت هذه القصائد في كتاب الروضتين: جـ١: ق١: ٢٩٠– ٢٩٨ وفيها تحريض للسلطان نور الدين على جهاد الصليبيين والدعوة إلى تكاتف الجهود ضد الصليبيين.

وقد أورد الهرفي: شعر الجهاد في الحروب الصليبية: ١٤٤– ١٤٥ قصائد لشعراء معاصرين لنور الدين يحثونه فيها على مواصلة الجهاد ضد الصليبيين، المعاضيدي: الحياة السياسية في بلاد الشام: ١٩٣.

(٢) هو ضرغام بن سوار الملك المنصور (الوزير الفاطمي بمصر آنئذٍ) انظر: ابن العديم: زبدة الحلب: جـ٣: ٣١٦ (الحاشية).

(٣) أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق٢: ٣٣٢، ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٢٩٨، التاريخ الباهر: ١١٩، البنداري: سنا البرق الشامي: ١٩، ابن العديم: المصدر ذاته: جـ٢: ٣١٦، ابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ١٠٤، رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ٥٩٤، علي باشا مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة للقاهرة: جـ١: ١٦١،

W. of Tyre ; A Hist of Deeds ; Vol. ٢: ٣٠٣

Gibb; " Career" , Setton: " The Crusades " ; Vol. ١; ٥٢٣.

(٤)Stevenson ; The Crusaders ; ١٨٥ , W. of Tyre ; Ibid ; Vol ; ٣٠٢-٣٠٣.

عاشور: الحركة الصليبية: جـ٢: ٦٦١.

(٥) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي: جـ٥: ٤٥٦.

(٦) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة: جـ ٥: ٣٤٦، ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية: ١٦٤.

Stevenson ; The Crusaders ; ١٨٦ , W. of Tyre ; Hist of Deeds ; Vol ; ٣٠٥.

شاور إلى الوزارة وكان ذلك في سنة ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م[١]، لكن تراجع شاور عما تعهده به لنور الدين واستدعاءه للصليبيين أساء إلى علاقته بدمشق [٢]. وبالرغم من ذلك فقد ظلت مسألة مصر تشغل فكره ويتحين أقرب الفرص للتدخل فيها، وقد أجرى نور الدين من خلال قائده شيركوه مباحثات مع الخليفة العباسي شرح له فيها أهمية مصر الإقتصادية لما فيها من خيرات وكنوز، كما أكد للخليفة منافسة خلفاء الفاطميين فيها لخلافته العباسية، حيث بارك الخليفة العباسي هذه الحملة وأرسل الأمراء الخاضعين لسلطته الإسمية وأمرهم بالتجهز لمساندة أسد الدين في حملته [٣]. وما أن عهد نور الدين لشيركوه بهذه المهمة حتى بادر شاور بطلب المساعدة من أملريك ملك بيت المقدس الذي لبى نداءه في سنة ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م. وبالرغم من انتصار شيركوه ودخوله الإسكندرية لكنه لم يتمكن من السيطرة على مصر فآثر العودة إلى الشام مقابل عودة الصليبيين إلى بلادهم [٤].

---

(١) ابن العديم: زبدة الحلب: جـ٢: ٣١٦- ٣١٧، البنداري: سنا البرق الشامي: ١٩، ابن قاض شهبة: المصدر ذاته: ١٦٤، ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٢٩٨، الباهر: ١٢٠- ١٢١، عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها: ٤٦٢، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام: جـ٤: ٢٥٠.

(٢) W. of Tyre ; Ibid ; Vol. ٢ ; ٣٠٥، البنداري: المصدر ذاته: ١٩، ابن العديم: المصدر ذاته: جـ٢: ١١٧٣، أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق٢: ٣٣٥، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٢٩، المصدر ذاته: ١٢١ ـ ابن قاضي شهبة: المصدر ذاته: ١٦٥، ابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ١٠٤، برجاوي: الحروب الصليبية في المشرق: ٣٣١.

(٣) W. of Tyre ; A Hist of Dees ; Vol ٣١٣- ٣١٤، ابن العديم: المصدر ذاته: جـ ٢: ٣٢٢ (وتحدث أسد الدين مع نور الدين في عودة إلى الديار المصرية سنة ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م)، سعيد عاشور: الحركة الصليبية: جـ ٢: ٦٦٧، حسين مؤنس: نور الدين: ٢٩٦ (أرسل نور الدين أسد الدين سيركوه رسولاً إلى بغداد ليستصدر من الخليفة العباسي فتوى بأن عمله هذا جهاد ديني، وجعل له أمرة مصر إذا هو فتحها). سرور: مصر في عهد الدولة
الفاطمية: ١٠٥ -١٠٦. حسن إبراهيم حسن: المصدر ذاته: جـ٤: ٢٥٠، أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي: جـ٥: ١٠٦، صبحي عبد الحميد: معارك العرب الحاسمة: ١٦٦.

(٤) W. of Tyre ; A Hist of Deeds ; Vol. ٢ ; ٢٤٢، أبو شامة الروضتين: جـ١: ق٢: ٣٦٤- ٣٦٦، المقريزي: اتعاظ الحنفا: ٢٨٩، ابن العديم: زبدة الحلب: جـ٢: ٣٢٤، ابن الأثير: التاريخ الباهر: ١٣٢- ١٣٤، السيوطي: تاريخ الخلفاء: ٢٨٩، ٢٩٤، أبو الفداء: المختصر: م٢: ٦٠، الذهبي: العبر: جـ٤: ٧٧، ابن خلدون: تاريخ: جـ٥: ٢٠٧، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: جـ٨: ق١: ٢٦٩، البنداري: سنا البرق الشامي: ٢٠-٢١، صاحب حماة: الذيل من منتخبات التاريخ، وهو ذيل على كتاب النوادر السلطانية لابن شداد: ٢٥٥-٢٥٦. تحقيق: جمال الدين الشيال. الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر. ط١، ١٩٦٤م. ابن شداد: النوادر السلطانية: جـ٢: ٥٣٧ دمشق – ١٩٧٩م – منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي). المختار من التراث العربي ١٠.

ولم ينل شيركوه من حملته الثانية شيئاً، فعاد إلى الشام بجيشه. فلما تهيأت له الفرصة المناسبة بنقض أملريك ملك القدس ما استقر عليه الصلح، ومسيره بحملة عسكرية مضادة سار بها إلى مصر، حيث تم له القضاء على شاور وإخراج الصليبيين من مصر، ثم شغل منصب الوزارة لدى الخليفة الفاطمي العاضد [١].

أما أثر سياسة نور الدين هذه على العلاقات السياسية بين دولته ومملكة بيت المقدس اللاتينية، فقد تمخضت سياسته المصرية عن سياسة داخلية أفرزتها ظروف (المسألة المصرية)، التي برزت عندما قام بلدوين الثالث ملك بيت المقدس بمحاولة جريئة للسيطرة على مصر في سنة ٥٥٦هـ/ شهر أيلول من سنة ١١٦١م [٢]. ولما فشل نور الدين في صرف نظر الصليبيين عن مصر ن فقد عمل على تهديد أراضيهم عن طريق القيام بغزوات ضد مدنهم وقلاعهم وقام في سنة ٥٥٧هـ/ ١١٦٢م بمهاجمة حارم التي كانت تابعة لأنطاكية، حيث اجتمع عليه الصليبيون من كافة بلادهم لكنهم لم يستطيعوا محاربة نور الدين [٣]، ولكنه عاد إلى حلب بعد أن أدرك عدم قدرته على فتحها [٤]. وفي سنة

---

(١) W. of Tyre; Ibid; Vol. ٢; ٣٥٨-٣٥٦، ابن الأثير: الكامل: جـ١: ٣٤٢- ٣٤٣، ذاته: ١٣٧- ١٤٠، أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١: ق٢: ٣٨٩- ٣٩٦، السيوطي: المصدر ذاته: ٤٤٤، ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية: ١٧٥- ١٧٨، سبط ابن الجوزي: المصدر ذاته: جـ٨: ق١: ٢٦٩-٢٧٠ ابن الفرات: تاريخ: م٤: جـ١: ٢٦، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: ٣٦٩ صبحي عبد الحميد: معارك العرب الحاسمة: ١٦٧،

حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام: جـ٤: ٢٥٠، سرور: مصر في عهد الدولة الفاطمية: ١٠٧، أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي: جـ٥: ١٥٩، حافظ حمدي: الشرق الإسلامي ١٢٢، علي مبارك: الخطط التوفيقية: جـ١: ٦٢- ٦٣.

(٢)سعيد عاشور: الحركة الصليبية: جـ٢: ٦٦١- ٦٦٢. أورد أن (جرأة عموري (املريك) في مهاجمة مصر أثارت مخاوف نور الدين الذي لجأ إلى القيام بعدة حملات قوية في الشام سنة ١١٦٢م أي عقب وفاة بلدوين) Stevenson ; " The Crusaders " ; ١٨٥ , W. of Tyre ; A Hist Of Deeds ; Vol. ٢ ; ٣٠٢-٣٠٣ ،

(٣) ابن الأثير: الكامل: جـ ١١: ٢٨٥، التاريخ الباهر: ١١٦.

(٤) ابن العديم: زبدة الحلب: جـ٢: ٣١٢، ابن الأثير: المصدر ذاته: ١١٦، ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية: ١٦٠، فايد عاشور: جهاد المسلمين: ٢٢٥.

٥٥٨هـ/ ١١٦٣م سار نور الدين بجيشه إلى إمارة طرابلس عازماً على مهاجمة حصن الأكراد تمهيداً لحصار طرابلس نفسها فاجتمع عليه الصليبيون وفاجأوه على حين غرّة، فانهزم المسلمون وكان ذلك بالبقيعة تحت حصن الأكراد، فلجأ نور الدين إلى حمص [١]. لكن هذه الهزيمة لم تثن نور الدين عن المضيّ في سياسته، فرفض طلب الفرنج للصلح والمهادنة[٢] لأن ذلك يتناقض مع سياسته التي تقضي بإشغال الفرنج عن مصر. وفي هذه الأحوال وصل شاور، الوزير الفاطمي إلى دمشق في شهر ربيع الأول سنة ٥٥٨هـ/ ١١٦٣ م ناشداً نور الدين في إعادته للوزارة المصرية [٣]. وقد ترتب على إرسال حملة عسكرية بقيادة أسد الدين شيركوه لمصر، ونقض شاور لاتفاقه مع شيركوه باستنجاده بملك القدس، أن قام نور الدين بمهاجمه حارم بمساندة أخيه قطب الدين صاحب الموصل وفخر الدين قرأ أرسلان صاحب حصن كيفا[٤]، ونجم الدين ألبي صاحب ماردين، وغيرهم من صغار أمراء الجزيرة، فلما ألقى عليها الحصار اجتمع عليه الصليبيون من أنطاكية وطرابلس ومن تبقى في مملكة بيت المقدس فتراجع إلى ارتاح حيث تم له النصر على الصليبيين وأسر قادتهم [٥] وأبطالهم وتم له فتحه في ٢١ رمضان سنة ٥٥٩ هـ/ ١٢ آب

---

(١) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٢٩٤- ٢٩٥، المصدر ذاته: ١١٦- ١١٧، ابن العديم: المصدر ذاته: جـ٢: ٣١٢- ٣١٤، ابن قاضي شهبة: ١١٧، المصدر ذاته: ١٦٠-١٦١، ابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ١٠٤، سعيد عاشور: المرجع ذاته: جـ٢: ٦٦٢، فايد عاشور: المرجع ذاته: ٢٥٠، Stevenson ; Ibid; ١٨٨.

(٢) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٢٩٦، ذاته: ١١٨، ابن العديم: المصدر ذاته: جـ٢: ٣١٥، ابن قاضي شهبة: المصدر ذاته: ١٦٣، أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق١: ٣٢٠.

(٣) ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٢٩٨، ابن العديم: زبدة الحلب: جـ٣١٥: ٢، ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية: ١٦٤، سرور: الدولة الفاطمية في مصر: ١٢٧، سعيد عاشور: الحركة الصليبية: جـ٢: ٦٦٢.
W.of Tyre ; A Hist of Deeds ; Vol. ٢; ٣٠٣.

(٤) مدينة بأرض الجزيرة على الضفة اليمنى (جنوباً وشرقاً) لنهر دجلة على خط عرض ٣٧°، ٤٠ شمالاً وخط طول ٤١°، ٣٠ شرقاً وهي على منتصف الطريق تقريباً بين ديار بكر وجزيرة ابن عمر، دائرة المعارف الإسلامية: م ٧: ٤٥٤.

(٥)Nicholson ; Joscelyn ١١١; ٥٠ , Gibb; " Career" ; Setton ; " The Crusades " ; Vol. ١; ٥٢٤

١١٦٤م [١]. ثم سار عنها بعد رحيل جيوش الموصل وديار بكر إلى بلادها[٢]. لكنه عدل عن مهاجمة أنطاكية التي أصبحت الطريق إليها مفتوحة، لكنه عل ما يبدو لم يرد السيطرة عليها بحجة أن قلعتها حصينة جداً، كما خشي من تسليم المدينة من قبل أهلها إلى إمبراطور بيزنطية الأكثر خطراً من الطفل بوهيمند عندها تشكل انطاكية خطراً كبيراً على أملاك نور الدين المجاورة، وهذا ما يرجح إطلاق نور الدين لأمير أنطاكية مقابل مال وأسرى مسلمين[٣]. وبانتصار نور الدين لى الصليبيين في حارم في الوقت الذي لا زال فيه ملك القدس غائباً عن المملكة في مصر، وبقاء أمراء الصليبيين في الأسر، استأنف سيره باتجاه بانياس ذلك الحصن الذي كان يهدد أراضي دمشق بصورة دائمة، ونصب عليها آلات الحصار، حتى سقطت في يده في ذي الحجة من سنة ٥٥٩هـ/ ١٨ أيلول ١١٦٤م [٤]. وما أن سمع أملريك ملك القدس بما حل بحارم حتى تصالح مع أسد الدين على أن يعود كل

---

(١) W. of Tyre; Ibid ; Vol. ٢; ٣٠٦-٣٠٨

ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٣٠١- ٣٠٣، التاريخ الباهر: ١٢٢- ١٢٥، ابن البعديم: المصدر ذاته: جـ٢: ٣١٨- ٣٢١، ابن القاضي شهبة المصدر ذاته: ١٦٦، البنداري: سنا البرق الشامي: ١٩، أبو شامة الروضتين: جـ١: ق١: ٣٣٩- ٣٤٢.

Nicholson ; ١ Ibid ; ٥٠ , Stevenson ; " The Crusaders" ; ١٨٩.

(٢) ابن العديم: المصدر ذاته: جـ٢: ٣١٨.

(٣) ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٣٠٣-٣٠٤، أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق٢: ٣٤٢، (وأطلق نور الدين بوهيمند صاحب انطاكيه بمال جزيل أخذه منه وأسرى كثيرة من المسلمين أطلقهم)، برجاوي: الحروب الصليبية: ٢٨٠، المعاضيدي: الحياة السياسية في بلاد الشام: ٣٠٤ (ثم أطلق نور الدين سراح صاحب انطاكية بمال عظيم، مع إطلاق أسرى مسلمين)، (يعتبر أطلاق نور الدين لأمير انطاكية حكمة سياسية. خشية تعيين أمير أكثر منه قوة وحكمة)،

W. of Tyre ; A Hist of Deeds ; Vol. ٢; ٣١١ , Stevenson ; " The Crusaders " ; ١٨٩.

(٤)Stevenson ; Ibid ; ١٨٩, W. of Tyre ; Ibid ; Vol. ٢; ٣٠٨-٣١٠.

ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٣٠٤: التاريخ الباهر: ١٣٠ -١٣١، أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١: ق٢: ٣٦٥، محمد، مختار باشا: التوفيقات الإلهامية: جـ٢: ٥٩١.

Stanly lane Pool ; Egypt in the Middle Ages ; ١٧٨. Utn. Ed. Bon don , Cass, ١٩٦٨.

وسيرد: A Hist of Egypt.

منهما إلى بلاده[١]، وقبض أسد الدين من شاور (٦٠.٠٠٠) دينار[٢]. ونتج عن سقوط بانياس بيد نور الدين أن أصبحت منطقة طبرية تحت رحمته، حيث اتفق مع بيت المقدس على أن " شاطر الفرنج في أعمال طبرية، وقرروا له على الأعمال التي لم يشاطرهم عليها مالاً في كل سنة " [٣].

مرت سنوات ٥٦٠هـ / ١١٦٥م و ٥٦١هـ / ١١٦٦م بدون أن يقوم فيهما أي من الطرفين بحملة كبيرة ضد الآخر[٤]. باستثناء سيطرة نور الدين على بعض القلاع والحصون، فقد سيطر في سنة ٥٦٩هـ / ١١٦٦م على حصن في شرق نهر الأردن على طرف بادية العرب، كما سيطر في العام ذاته على قلعة الشقيف قرب صيدا [٥]. وفتح حصن المنيطرة [٦].

ثم واصل نور الدين زنكي سياسته المزدوجة بعد أن لاقت نجاحاً ساحقاً في المرحلة الأولى من (المسألة المصرية)، إذ ترتب عليها سقوط حارم وبانياس وعدد آخر من

(١) ابن العديم: زبدة الحلب: جـ٢: ٣٢١-٣٢٢.

Lan pool ; Ibid ; ١٧٨, W. of Tyre ; Ibid ; Vol. ٢; ٣٠٥،

ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ ١١: ٣٠٤.

(٢) البنداري: سنا البرق الامي: ١٩ (له قطيعة يأخذها منهم وينفصل عنهم) ابن قاضي شهبه: الكواكب الدرية: ١٦٦ (رواية ابن كثير: البداية والنهاية: جـ١٢: ٢٤٨)، فايد عاشور: جهاد المسلمين: ٢٣٢. (تعهدوا بدفع ثلاثين ألف دينار لأسد الدين).

(٣) ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٤-٣، ابن العديم: زبدة الحلب: جـ٢: ٣٢١ (وشاطر الفرنج) في أعمال طبرية، وقرروا له على ما سوى ذلك مالا في كل سنة، فايد عاشور: جهاد المسلمين: ٢٣٤-٢٣٥،

Stevenson ; " The Crusaders " ; ١٩٠.

(٤) سعيد عاشور: الحركة الصليبية: جـ٢: ٦٦٦.

(٥) (لم يذكر الحصن) Gibb; " Career" ; Setton ; " The Crusades " ; vol ١ ; ٥٢٤.

W. of Tyre; A Hist of Deeds ; Vol. ٢ ; ٣١٢.

(٦) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ ١١: ٣٢٣، أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق٢: ٣٦٠، ابن العديم: المصدر ذاته: جـ٢: ٣٢٢، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: جـ٨: ق١: ٢٦٩- ٢٧٠، سعيد عاشور: المرجع ذاته: جـ٢: ٦٦٦ ابن الأثير: الباهر: ١٣١ (سنة ١١٦٧م).

Gibb; Ibid; Setton ; Ibid ; Vol. ١: ٥٢٥ , Stevenson ; Ibid; ١٩١.

الحصون في يد نور الدين، كما أن أسره للأمراء الصليبيين حرم تلك الإمارات من قيادات قوية. ففي الوقت الذي أرسل فيه شيركوه إلى مصر وتبعه خروج ملك القدس إليها لنجدة شاور وحماية لمصالحه فيها، ولوجود أمير طرابلس ريموند الثالث في أسر المسلمين قام نور الدين بمهاجمة أراضي إمارة طرابلس بعد أن استدعى أخاه قطب الدين أمير الموصل الذي التقاه بحمص فاجتازا حصن الأكراد ونهبا المناطق المجاورة له، ثم سارا إلى عرقة فحاصراها ثم إلى جبلة فأخذاها ثم سارا إلى العريمة ففتاحاها. كما فتحا صافيتا وعادا إلى حمص. ثم سارا بجيشهما جنوباً إلى بانياس حيث مرّا على حصن هونين فتركه الفرنج وأحرقوه فهدم نور الدين سوره وسيطر عليه لأهميته في حراسة مدخل البقاع. ثم سار عنه برفقة أخيه إلى بيروت ليفتحها، لكن خلافاً وقع بين جيشيهما مما استوجب عودتهما عنها وتمّ ذلك في سنة ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م[(١)]. ولعل استنجاد نور الدين بأخيه قطب الدين كان من أجل وجود قوة ضاربة تستطيع تنفيذ المهام الموكولة إليها في أقصر فترة زمنية ممكنة خشية عودة ملك القدس من مصر أو انجاد الصليبيين في الشمال لحاميات تلك المدن خاصة وأن ريموند الثالث كان أسيراً لدى نور الدين في حلب منذ وقعة حارم سنة ٥٥٩هـ/ ١١٦٤م[(٢)]، فآلت شؤون إمارة طرابلس إلى أملريك ملك القدس كوصي عليها[(٣)]. وما أن علم أملريك بهذا الأمر حتى عقد صلحاً مع المصريين وشيركوه وعاد إلى بلاده في ذي القعدة سنة ٥٦٢هـ/ ٢١ آب ١١٦٧م[(٤)].

---

(١) ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٣٢٧ – ٣٢٨، أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق٢: ٣٧٤، ابن العديم: زبدة الحلب: جـ٢: ٣٢٤، ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية: ١٧٣، ابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ١١١، برجاوي: الحروب الصليبية: في المشرق: ٣٣٥.

Gibb; Career ; Setton ; The Crusades ; Vol ; ١; ٥٢٥ ; Stevenson ; The Crusaders ; ١٩٢.

(٢)W. of Tyre ; A Hist of Deeds ; Vol. ٢; ٣٠٨.

(٣)M.W. Baldwing ; " The Lat. States' ; Setton ; Ibid ; Vol ; ١ ; ٥٥١.

(٤)M.W. Baldwing ; Ibid ; Setton ; Ibid ; Vol. ١; ٥٥٣ , W. of Tyre ; Ibid ; Vol. ٢; ٣٤٣, Stevenson ; Ibid ; ١٩١.

ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٣٢٦– ٣٢٧، (في أول أيلول).

وقد عمل نور الدين على توطيد سيادته على القسم الشمالي من دولته في سنة ٥٦٣هـ/ ١١٦٧م، فسار إلى منبج وانتزعها من يد صاحبها ابن حسان الذي ساءت سيرته، ثم نقل ابنه ينال من الرها إلى قلعة نجم[١] وعينه والياً عليها[٢]. ثم ملك قلعة جعبر من صاحبها مالك بن علي العقيلي وعوضه عنها بسروج وإقطاعات أخرى، كما عزز سيادته على المناطق الواقعة غربي حلب[٣]. كما اجتمعت لنور الدين دوافع كثيرة حفزته على إرسال قائده أسد الدين شيركوه إلى مصر من جديد، منها إرسال الكامل شجاع بن شاور مع شهاب الدين محمود الحارمي (خال صلاح الدين يوسف) إلى نور الدين "يُنهي محبته وولاءه ويسأله أن يأمره بإصلاح الحال وجمع الكلمة بمصر على طاعته، ويجمع كلمة الإسلام وبذل مالاً يحمله كل سنة"، فأجابه إلى ذلك وحملوا إلى نور الدين مالاً جزيلاً[٤] وكان ذلك عند عودة شيركوه من مصر في سنة ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م. إضافة لترتيب نور الدين لأمور دولته وخاصة في الشمال، كما مرّ، وخشيته من سيطرة الفرنج على مصر[٥]. وكذلك لاستنجاد الخليفة الفاطمي العاضد ووزيره شاور بنور الدين زنكي ضد الفرنج[٦]. وكذلك استنجاد أهل القاهرة به[٧]. كما عزز هذه العوامل قيام ملك القدس

---

(١) وهي قلعة حصينة مطلة على الفرات، على جبل، تحتها ربض عامر. ياقوت: معجم البلدان: جـ٤: ٣٩١. انظر الخارطة ص ٧٢.

(٢) أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق١: ٣٨٠-٣٨١ ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية:
M.W.BALDwin ; " The Lat. States"; Setton ; The Crusades ; Vol; ١; ٥٢٥.

(٣) ابن الأثير: التاريخ الباهر: ١٣٦، الكامل: جـ١١: ٣٣٤، M.W. Baldwin ; Ibid;
Setton; Ibid Vol. ١; ٥٢٥.

(٤) ابن الأثير المصدر ذاته: ١٣٤ (اقتباس حرفي)، أبو شاكة: المصدر ذاته: جـ١: ق٢: ٣٦٦، ابن الفرات: تاريخ: م٤: جـ١: ٢٢.

(٥) أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١: ق٢: ٣٦٧.

(٦) أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١:ق٢: ٣٩١، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٣٣٨، المصدر ذاته: ١٣٨، عمارة اليمني: النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية: ٨٠، صححه: هرتويغ دربرغ، مطبعة مرسو، ١٨٩٧م، باريس ابن قاضي شهبة: المصدر ذاته: ١٧٦، الذهبي: العبرة: جـ٤: ١٨٤، ابن الفرات: المصدر ذاته: م٤: جـ١: ٢٦.
Gibb; " Career" ; Setton ; Ibid; Vol. ١;٥٢٥.

(٧) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٣٣٧. (فغلب على أهلها الجند وغلمانهم).

أملريك بغزو مصر حيث خرج بجيشه من عسقلان فسيطر على بلبيس ودخل إلى الأراضي المصرية [١] مما أعطى لنور الدين مبرراً قوياً للتدخل في مصر بغرض الدفاع عنها ضد ملك القدس، إضافة لمحاولة السيطرة عليها بغرض توحيدها مع الشام، فأخذ بتجهيز حملة قوية وأرسلها إلى مصر بقيادة شيركوه في سنة ٩٦٤هـ كانون الثاني ١١٦٩م، فلما قرب من مدينة مصر، عاد الصليبيون إلى بلادهم وقتل شاور بناء على طلب الخليفة العاضد الذي خلع على شيركوه خلعة الوزارة [٢]. فانتهت بذلك (المسألة المصرية) لصالح نور الدين، وانتهت بذلك الهيمنة العسكرية والاقتصادية لمملكة بيت المقدس على مصر بالوحدة بين مصر والشام تحت سيادة نور الدين محمود بن زنكي [٣]. وخطب صلاح الدين بمصر للخليفة العباسي والسلطان نور الدين في سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م فتكاملت هذه الوحدة بسنيّة المذهب [٤].

---

(١) ابن العديم: زبدة الحلب: جـ٢: ٣٢٦، سرور: الدولة الفاطمية في مص: ١٢٩، مصر في عهد الدولة الفاطمية: ١٠٨-١٠٩، ابن الفرات: تاريخ: م٤: جـ١: ١٩-٢١، الأثير: الكامل: ١٣٨(تم الصلح مع المصريين على أن يدفعوا له (٣٠ ألف دينار).

W.of Tyre ; A Hist of Deeds ; Vol. ٢; ٣٤٩-٣٥٣,

(٢) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٣٣٨- ٣٤٠، التاريخ الباهر: ١٢٩- ١٤٠، ابن شداد: النوادر السلطانية: ق٢: ٢٩-٤٠، عمارة اليمني: النكت العصرية: ٨٠-٨١، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: جـ٨: ق١: ٢٧٦، ابن العديم: المصدر ذاته: م٤: جـ١: ٢٦ -٢٩، السيوطي: تاريخ الخلفاء: ٢٩٤ المقريزي: السلوك: ج١: ق١: ٢٣، أبو الفداء: المختصر: م٢: ٦٣، ابن الفرات: المصدر ذاته: م٤: جـ١: ٢٦- ٢٩، ابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ١١٥-١١٦، مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل: جـ١: ٣١٢، سرور: المصدر ذاته: ١٣٠- ١٣١.

.(٣)M.W.Baldwin ; " The Lat Setton ; " The Crsades " ; Vol. ١; ٥٥٦.

(٤) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٣٦٨، ابن العديم: المصدر ذاته: جـ٢: ٣٣٣، سبط ابن الجوزي: المصدر ذاته: جـ٨: ق١:٨٢٥، صاحب حماة: الذيل: ٢٦٣-٢٦٤، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة: جـ٥: ٣٥٦، ابن الوردي: المصدر ذاته: جـ٢: ١٢١، العماد الحنبلي: شذرات الذهب: جـ٤: ٢١٩، الذهبي: العبر: جـ٤: ١٩٤- ١٩٥، مجير الدين الحنبلي: المرجع ذاته: جـ١: ٣١٣-٣١٤، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: ٢٧٣- ٢٧٤، القرماني: أخبار الدول: ١٧٧، أحمد شلبي موسوعة التاريخ الإسلامي: جـ٥: ١٥٩، رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ٣٣٦، سرور: الدولة الفاطمية في مصر: ١٣٢، ١٣٦، مصر في عهد الدولة الفاطمية: ١١١، نشر مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٠م. حسين مؤنس: نور الدين: ٣٤٣، عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها: ٤٧٦.

.M.W.Baldwin ; " The Lat Setton ; " The Crsades " ; Vol. ١; ٥٦٠.

٢. سياسة مملكة بيت المقدس نحو مصر وانعكاسها على العلاقات السياسية مع دولة نور الدين محمود بن زنكي:

شجعت الظروف التي مرت بها مصر إثر وفاة الخليفة الفاطمي الفائز بالله ومبايعة ابن عمه العاضد وما نجم عن ذلك من صراع بين الوزراء والملك أملريك على توسيع مملكته جهة الجنوب والغرب خاصة بعد النجاح الجزئي الذي حققته حملة أخيه بلدوين الثالث على مصر. فاندفع أملريك ملك القدس الجديد لغزو مصر معززاً بحجج كثير أولها: أن مصر لم تدفع للملك بلدوين الثالث الضريبة المتفق عليها، وثانيهما: اهتمامه الشخصي بجنوب المملكة خاصة بعد اتحاد حلب ودمشق تحت قيادة نور الدين زنكي، فإذا ما وقعت مصر الفاطمية في يده فإنها ستصبغ بسنيّة المذهب. وهكذا تحاط مملكة بيت المقدس بقوى سنيّة في مصر والشام مما يهدد بقاءها، كما كانت لأملريك أطماع تجارية تتمثل في استعمال ميناء مصر الهام (الإسكندرية)[١] مما جعله يقوم فعلاً بغزو مصر في سنة ٥٥٨هـ/ أيلول ١١٦٣م لكن ضرغام استغل فرصة فيضان النيل فأطلق مياه السدود التي غطت الأراضي فتراجع أملريك إلى بيت المقدس[٢].

وبالرغم من فشل هذه الحملة، إلا أنها أطلعت الفرنج على الضعف الذي انتاب مصر، والثروة الكبيرة التي تتمتع بها، مما جعل أملريك يهيىء لحملة كبرى يتمكن بواسطتها من السيطرة على مصر[٣]. وفي الوقت ذاته، فقد بذل قصارى جهده لحفظ بلاده من نور الدين[٤]. ولعله كان ينتظر الوقت المناسب لهذه الحملة الذي توافق مع إرسال نور الدين حملة بقيادة شيركوه إلى مصر في جمادى الأول سنة ٥٥٩هـ/ ٢٧ آذار ١١٦٤م[٥].

---

(١)M.W. Baldwin ; Ibid ; Setton ; Ibid. Vol. ١; ٥٤٩- ٥٥٠ , Stevenson ; The Crusaders ; ١٨٧. W. Of Tyre; A Hist of Deeds; Vol. ٢; ٣٠٢.

(٢)Stevenson ; Ibid ; ١٨٥-١٨٦ , W. of Tyre ; Ibid ; Vol. ٢; ٣٠٢.

حسين مؤنس: المرجع ذاته: ٢٨٥، سعيد عاشور: الحركة الصليبية: جـ٢: ٦٦١.

(٣) ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٢٢٩، سعيد عاشور: الحركة الصليبية: جـ٢: ٦٦١-٦٦٢.

(٤) أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق٢: ٣٣٣.

(٥)W. of Tyre ; A Hist of Deeds ; Vol. ٢; ٣٠٣.

حسين مؤنس: نور الدين: ٢٨٨، أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي: جـ٢: ١٥٨

مما اضطر وزيرها ضرغام إلى إرسال الرسل لبيت المقدس، وبعد أن تم الاتفاق[1] مع أملريك قتل طلائع ابن رزيك وعاد شاور للوزارة، لكنه عندها أحس بطمع شيركوه في بلاده ودعا أملريك بالقدوم إلى مصر لإخراج شيركوه من بلاده، مقابل الاستعداد لتنفيذ ما اتفق عليه الفرنج مع ضرغام، واستعداده لتقديم إغراءات أخرى[2]. فماذا كسب أملريك من هذه الحملة؟ لقد نجح في إخراج شيركوه من مصر[3]. (وكان شاور قد أعطى الفرنج الأموال وأقطعهم الإقطاعات وأنزلهم دور القاهرة وبنى لهم أسواقاً تخصهم[4]، لكن خسارتهم كانت أكبر بسقوط حارم وبانياس[5] في يد نور الدين، إضافة لعدد من الحصون والقلاع مثل الشقيف والمنيطرة[6]. وكانت سنوات ٥٦٠هـ/ و١١٦٥م و ١١٦٦م أكثر هدوءاً مما سبقها من السنين وما تلاها منها[7]، غير أن ملك القدس كان

---

(١) ابن(تعهد ضرغام بدفع الضريبة التي فرضها الملك بلدوين الثالث على مصر ويمكن إضافة مبالغ أخرى حسب ما يقرر الملك أملريك، وإعطاؤه رهائن لضمان التبعية والتحالف الدائم معه مقابل الالتزام بالدفاع، عن مصر ضد أعدائه). أنظر:

W. of Tyre ; Ibid; Vol. ٢; ٣٠٤.

(٢) حسين مؤنس: المرجع ذاته: ٢٩٠ (وعرض شاور على الملك أملريك أن يعطيه (٢٧) ألف دينار عن كل مرحلة من مراحل الطريق ألفاً)

W. Of Tyre ; Ibid ; Vol. ٢; ٣٠٤-٣٠٥,

(٣) أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١: ق٢: ٣٣٦،

Stevenson ; The Crusaders"; ١٨٨, W. of Tyre; Ibid ; Vol. ٢; ٣٠٥.

ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٣٠٠، التاريخ الباهر: ١٢٢، أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١: ق١: ٣٣٦، ابن، العديم: زبدة الحلب: جـ٢: ٣٢١.

(٤) ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية: ١٦٩، سعيد عاشور: الحركة الصليبية: جـ٢: ٦٦٨ (فتعهد لهم شاور بدفع أربعمائة ألف دينار في حالة بقائهم حتى طرد شيركوه من مصر بشرط أن يدفع نصف هذا المبلغ فوراً)

(٥) ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٣٠١- ٣٠٤، أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق٢: ٣٣٩، ٣٥٦، ابن العديم: زبدة الحلب: جـ٢: ٣٢١، W. of Tyre ; A Hist. Of Deeds; Vol ٢ ; ٣٠٨.

(٦) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٣٢٢، التاريخ الباهر: ١٣١، ابن شداد: النوادر السلطانية: جـ٢: ٣٨، أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١: ق ٢: ٣٦٠. ابن العديم: المصدر ذاته: جـ٢: ٣٢٢، السيوطي: تاريخ الخلفاء: ٤٤٤، ابن قاضي شهبة: المصدر ذاته: ١٦٩، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: جـ٨: ق١: ٢٦٩- ٢٧٠.

(٧) سعيد عاشور: المرجع ذاته: جـ٢: ٦٦٦ Stevenson ; The Crusaders; ١٩٠

يتوق إلى التدخل في شؤون مصر خاصة بعد أن وقّع معه شاور اتفاقاً[1] بذلك للتصدي للحملة التي قادها شيركوه إلى مصر في سنة ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م[2]. وترتب على هذا التدخل سيطرة نور الدين على بعض المعاقل اللاتينية في الشام مثل صافيتا والعريمة إضافة لعبثه في نواحي حصن الأكراد وعرقة وجبلة وقلعة أكاف[3]، وحصن هونين وتدميره وتم ذلك في سنة ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م قبل عودته من مصر [4].

أدرك أملريك الآثار السيئة التي أصابت مملكته وإمارة طرابلس التي خضعت لوصايته[6] والتي ترتبت على غيابه عن المملكة للمشاركة في أحداث مصر ويقن من عدم كفاية الجند للدفاع عن أراضي المملكة في حال غيابه ما جعله يسلم الكثير من الحصون إلى طوائف الفرسان الداوية والإسبتارية، فمنح الداوية في سنة ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م أنطرطوس وسلم الإسبتارية حصن الأكراد من إمارة طرابلس كما منح الداوية حصن صفد في شمال المملكة، وغزة في الجنوب. أما الإسبتارية فقد منحهم حصن كوكب الهوى[5]، كما اتبع بوهيمند الثالث هذه السياسة فمنح أراضي واسعة للداوية حول بغراس[6]، ومنح

---

(١) (تضمن الاتفاق بين مندوبي شاور وملك القدس على زيادة الضريبة السنوية على مصر، وأن تدفعها للملك على دفعات محددة، كما اتفقوا على أن يكون المبلغ (٤٠٠) ألف قطعة ذهبية يدفع نصفها مقدماً ويبقى الباقي في حينه بدون تأخير، وتضمنت الاتفاقية على أن يكفل الملك ذلك بحلفه اليمين بدون خداع أو نوايا شريرة، بأن لا يغادر مصر قبل القضاء على جيش شيركوه أو طرود خارج أرض مصر)

M.W. Baldwin ; " The Lat. States' Setton ; " The Crusaders " ; Vol ١; ٥٥٢

(٢)Stevenson ; Ibid ; ١٩٠- ١٩١ , W. ot Tyre ; Ibid ; Vol. ٢; ٣١٣-٣١٤.

ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٣٢٤.

(٣) لم أجد هذا الحصن في أي من الكتب الجغرافية التي رجعت إليها.

(٤) ابن الأثير: الكامل: جـ ١١: ٣٢٧- ٣٢٨، أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق٢: ٣٦٨، ٣٧٤- ٣٧٥، ابن العديم: زبدة الحلب: جـ٢: ٣٢٤،

Stevenson ; The Crusaders ; ١٩١-١٩٢.

(٥) اسم قلعة على الجبل المطل على مدينة طبرية، حصينة تشرف على الأردن. ياقوت: معجم البلدان: جـ٤: ٤٩٤.

(٦) مدينة في لحف جبل اللكام بينها وبين انطاكية أربعة فراسخ. ياقوت: المصدر ذاته: جـ١: ٤٦٧. انظر الخارطة ص ٧٣.

الإسبتارية فامية وحصن أبو قبيس[١] في سنة ٥٦٣ هـ/ كانون الثاني ١١٦٨م وذلك بغرض الدفاع عن الأراضي المجاورة لها[٢].

وجاءت مراسلة الفرنج المقيمين بمصر لأملريك ملك القدس يهونون عليه أمر مصر[٣] حافزا للاستيلاء عليها، إضافة إلى ما تم للفرنج من علم بالديار المصرية، فقد "خبروا الديار المصرية واطلعوا على عوراتها فطمعوا فيها ونقضوا ما كان استقر بينهم وبين المصريين وأسد الدين من القواعد "[٤].

مما جعل أملريك يعقد حلفاً مع مانويل كومنيناس إمبراطور بيزنطة لغزو مصر بدون علم المصريين في سنة ٥٦٣هـ/ صيف ١١٦٨م، إذ تم الاتفاق بينهما على تقسيم مصر بين الطرفين والمشاركة في الغنائم[٥]. وخضوع انطاكية للسيادة الإمبراطورية[٦]، مقابل تزويد الملك بأسطول حربي وجيش بري[٧] لتحقيق هذا الهدف.

لم يكن وليم الصوري (رسول أملريك للأمبراطور) يصل مملكة بيت المقدس حتى وجد الملك أملريك قد قاد حملته إلى مصر في سنة ٥٦٣هـ/ تشرين الأول ١١٦٨م قبل وصول الإمدادات التي يمكن لبيزنطيين تقديمها[٨] ولعل ذلك راجع إلى رفض النبلاء

---

(١) حصن مقابل شيرز معروف. ياقوت: المصدر ذاته: جـ١: ٨١. انظر الخارطة ص ٤١
Stevenson ; Ibid ; ١٩٢.

(٢) سعيد عاشور: الحركة الصليبية: جـ٢: ٦٧١ – ٦٧٢.

(٣) ابن الأثير: الكامل: جـ٣٣٥: ١١، التاريخ الباهر: ١٣٧، أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق٢: ٣٩٠ (أجابهم أملريك: الرأي عندي أنها طعمة لنا وأموالها تساق إلينا)، ابن العديم: زبدة الحلب: جـ٢: ٣٢٦.

(٤) أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١: ق٢: ٣٨٩، ابن شداد: النوادر السلطانية: ق٢: ٣٨– ٣٣٩
W.of Tyre ; A Hist of Deeds ; Vol ٢ ; ٣٥٠. Stevenson ; The Crsadres. ١٩٣.

(٥)W. of Tyre ; Ibid ; Vol. ٢ ; ٣٤٨- ٣٥٠. M.W. Baldwin ; " the lat. States ' Setton ' The Crusaders ; Vol ١; ٥٥١.

حسين مؤنس: نور الدين ٣٠٧.

(٦) سعيد عاشور: الحركة الصليبية: جـ٢: ٦٧٣.

(٧)W. Of Tyre ; Ibid ; Vol. ٢ ; ٣٤٨.

(٨) M.W. Baldwin ; Ibid; Setton ' Ibid ; Vol ١ ; ٥٥٥
Stevenson ; Ibid ; ١٩٣. W. of Thre ; Ibid ; Vol. ٢ ; ٣٤٩-٣٥٠.

فكرة اقتسام مصر مع البيزنطيين وغم رفض أملريك إصرارهم إلا أن القرار تم اتخاذه وسارت الحملة إلى مصر[١]. لكنها فشلت إثر وصول الحملة التي قادها أسد الذين شيركوه إلى مصر في هذه السنة، فعادت الحملة من حيث أتت[٢]. فكان ذلك أكبر هزيمة منيت بها مملكة بيت المقدس، ونجم عنها اتحاد مصر والشام وقضي بذلك على الحماية الاقتصادية والعسكرية لبيت المقدس على مصر. وحصرت الإمارات الصليبية بشكل هدد مستقبل هذه الإمارات[٣]. لذلك أرسل أملريك إلى الغرب لمساعدته في غزو مصر، لكنه عاد لإحياء التحالف مع إمبراطور بيزنطة فاتفقا على إخضاع مصر، وتلبية احتياجات المملكة العسكرية وتزويده بأسطول حربي وجيش بري، وذلك في سنة ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م[٤]. فسارت جيوش هذا الحلف إلى مصر من عسقلان في ١٢ تشرين الأول من السنة ذاتها، والتقت هذه الجيوش مع الأسطول على دمياط ولكن الخلاف قد وقع بين الفرنج المحاصرين لها. بالإضافة لمناعة أسوارها وقلة الموارد الغذائية في معسكر الحلفاء إلى جانب الأمطار الغزيرة مما أجأ الملك أملريك إلى مفاوضة صلاح الدين واتفقا على السماح باستعمال ميناء دمياط للتجارة على أن يعودوا إلى الشام[٥]، وهكذا فشلت آخر جهود الصليبيين ومحاولاتهم للسيطرة على مصر خاصة بعد أن حاول أملريك من جديد إعادة التحالف مع مانويل. إلا أن وفاة أملريك في سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م حالت دون ذلك[٦].

---

(١)M.W. Baldwin ; " The Lat. States' Setton The rusaders; Vol ١ ; ٥٥٥

حسين مؤنس: نور الدين: ٣٠٧ (طلب أملريك شاور بمبلغ ميلونين من الدنانير ثمناً لانصرافه عن مصر).

(٢) أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق٢: ٤٠١.

W. of Tyre ; A Hist. of Deds ; Vol. ٢ ; ٣٥٦.

(٣) M.W. Baldwin ; Ibid Stevenson ; Ibid ; Vol ١ ; ٥٥٦ .

(٤) W. of Tyre ; A Ibid ; Vol. ٢; ٣٧٧- ٣٧٨ , ٣٨١.

M.W. Baldwin ; Ibid; Setton ; Ibid ; Vol ١; ٥٥٧- ٥٥٩.

(٥) M.W. Baldwin ; Ibid; Setton ; Ibid; Vol ١; ٥٥٧-٥٥٨

(٦) M.W. Baldwin ; Ibid; Setton ; Ibid; Vol ١;٥٦٠.

عمل أملريك في أواخر أيامه على استرجاع حصن بانياس بعد وفاة نـور الـدين إلا أن محاولته قد فشلت، فعقد هدنـة مـع حكـام دمـشق وعـاد إلى مملكتـه حيـث تـوفي في سـنة ٥٦٩هـ/ ١١ تموز ١١٧٤م[1]. وكانت وفاته نقطة تحـول وتراجـع في تـاريخ مملكـة بيـت المقدس، إذ كان ولده بلدوين الرابع طفلاً مما احتيج إلى وصي عليه يرعى مصالح المملكة. فقد خلقت مسألة الوصاية عليه مشكلة كبيرة بين الأمراء والبارونات كل يحاول أن يشغل هذا المنصب ما أضعف مملكة بيت المقدس في هذه الفترة، وفي المقابل عمـل صـلاح الـدين المقيم في مصر على مد سيطرته على الشام بعد وفاة نور الـدين زنكـي، وقـد نجـح إلى حـد كبير في إعادة الوحدة إلى مصر والشام كما كانت عليـه في عهـد نـور الـدين وبـشكل أكـبر فاعلية. وهذا ما سنعالجه بالتفصيل في الفصل التالي.

---

(١) أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق٢: ٥٩٤، M.W. Baldwin ; The at. States ': Settor The Crusades ' ; Vol. ١ ; ٥٦١.

(اتفق معهم على دفع النقود وإطلاق سراح عشرين فارس من فرسان بيت المقدس) انظر: W. of Tyre ; A Hist. of Deeds; Vol. ٢; ٣٨٥


دولة الروم السلاجقة
دولة أرمينية
مملكة بيت
المقدس اللاتينية
دولة نور الدين محمود بن زنكي
ومملكة بيت المقدس اللاتينية
في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي


الذخيرة
العربية



الفصل الخامس

العلاقات السياسية بين إمارة دمشق في عهد صلاح الدين الأيوبي وبين مملكة بيت المقدس اللاتينية

(٥٧٠هـ/ ١١٧٤م – ٥٨٩/١١٩٣م)


الذخيرة العربية

عمل صلاح الدين الأيوبي منذ ولايته بمنصب الوزارة بمصر في سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٩م على الانفراد بحكمها لكن ذلك لم يتبلور في عهد نور الدين زنكي إلا من خلال بعض تصرفاته التي تمثلت في تخليه عن حصار الكرك مرتين في سنوات ٥٦٦هـ/ ١١٧١م و ٥٦٧هـ/ ١١٧٢م خشية من الثقافة بنور الدين وبالتالي عزله عن ولاية مصر [١].

وبعد وفاة نور الدين طمع صلاح الدين في ملك دمشق فانتهز فرصة اختلاف أمرائها وكبرائها حول من يتولى أمر الملك الصالح بن نور الدين الذي كان طفلاً " صغيراً"، إضافة لمراسلة شمس الدين بن المقدم [٢] لصلاح الدين يدعوه للقدوم إلى دمشق [٣] وكذلك انتهز فرصة مهادنة أمراء دمشق لأملريك ملك القدس الذي نزل بجيشه على بانياس، على مبالغ يدفعونها وإطلاق جماعة من أسرى الفرنج في سنة ٥٧٠هـ/ حزيران ١١٧٤م [٤] وسار بجيشه من مصر إلى دمشق بعد أن خرج منها الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين فدخلها في يوم الثلاثاء ٢٩ ربيع الآخر سنة ٥٧٠هـ/ أيلول ١١٧٤م وتسلم

---

(١) أبو شامة: الروضتين: جـ١ : ق٢: ٥١٨.

W.B. Stevenson ; The Crusaders ; ٢٠١-٢٠٣.

(٢) هو محمد بن عبدالله بن المقدم، من أكابر أمراء السلطانين نور الدين محمود ثم صلاح الدين الأيوبي كانت له مواقف مشهورة، حضر جميع الفتوحات للسلطان صلاح الدين، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة: جـ٦: ١٠٥.

(٣) ابن شداد: النوادر السلطانية: ٣٨- ٣٩. ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٤١٦، ابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ١٢٨.

(٤) أبو شامة المصدر ذاته: جـ١ : ق٢: ٥٨٩: ٥٩٤، ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ٧-٨.

Stevenson ; Ibid ; ٢١٣. " Dimashk" ; The Encyclopaedia of Islam ٢٨٣. W. of Tyre; A Hist. Of Deeds; Vol. ٢; ٣٩٥

(إطلاق سراح عشرين فارسا من فرسان بيت المقدس)

أبو المحاسن: النجوم الزاهرة: جـ٢: ٧٣، أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي: جـ٥: ١٦٧. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام: جـ٤: ١٠٨، حسين مؤنس: ٣٥٩، اسطفان الدويهي: تاريخ الأزمنة: ١٧٣.

قلعتها[١] ثم مدّ سيطرته على البلاد التابعة لها، وسيطر على بعلبك وحمص وحماة وشيرز وسارين[٢]، كما استطاع فيما بعد الاستيلاء على بلاد الجزيرة الفراتية، ثم الرها وحلب والموصل[٣]. وبعد أن ملك جميع هذه البلاد وافته رسل الخليفة المستضيء بأمر الله العباسي بالتشريفات وتوقيع بسلطنة بلاد مصر والشام[٤].

أولاً: العلاقات السياسية بين السلطان صلاح الدين ومملكة بيت المقدس (٥٧٠هـ/ ١١٧٤م – ٥٨٢هـ/ ١١٨٧م)

الهدن والاتفاقات المعقودة بين الجانبين:

تميزت سياسة السلطان صلاح الدين الأيوبي تجاه الصليبيين في هذه المرحلة باللين والموادعة ليضع حداً لانقسام أمراء المسلمين في الشام وليوحد البلاد ضمن كتلة واحدة تجمع ما بين مصر والشام[٥]. وليتسنى له فيما بعد إعلان الجهاد ضد الصليبيين بقوة

---

(١) أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق١: ٥٨٩، ٥٩٤، ابن شداد: النوادر السلطانية ٣٩، ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ١٨-٢٠، صاحب حماه، المذيل: ٢٦٩- ٢٧٠، البنداري: سنا البرق الشامي: ٨١، ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٤٠٨٠. ٤٠٤ ;W.of Tyre; A Gist. Of Deeds ; Vol;. ٢ العبري: تاريخ مختصر الدول: ٣٧٥-٣٧٦.

ابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ١٢٨، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب: جـ٢: ٢٣٦، ابن قاض شهبة: الكواكب الدرية: ٢٢٩- ٢٣٠، الذهبي: العبر: جـ٤: ٢٠٥. في (٢٨ تشرين الأول)

Stevenson ; The Crusaders ; ٢٠٩

(٢)W. of Tyre ; Ibid ; Vol. ٢; ٤٠٩

ابن الأثير: ذاته: جـ١١: ٤١٥- ٤١٨، أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١: ق٢: ٢٠٧، البنداري: المصدر ذاته: ٢٠١-٢٠٢، ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ٢٢، ٢٩، ٣٤-٣٥، ابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ١٢٩.

(٣) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٤٨٢- ٤٨٣، ٤٨٧، ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢٥: ١١٧- ١١٨، أبو الفداء: المختصر: م٢: ٨٧.

(٤) أبو شامة: المصدر ذاته: جـ١: ق٢: ٦٣٩، المقريزي: السلوك: جـ١: ق١: ٦٠، الذهبي: المصدر ذاته: جـ٤: ٢٢٧، ابن العماد الحنبلي: المصدر ذاته: جـ٤: ٢٥٤ (الناصر لدين الله)

Stevenson ; Ibid ; ٢١٠.

(٥) فيليب حتي: تاريخ الشرق الأدنى: م١: ٣٦٥.

إسلامية متماسكة، فبينما كان السلطان صلاح الدين في مرج الصفر يستعد للمسير إلى محاربة الواصلة والحلبيين – جاءه رسول من الملك بلدوين الرابع ملك القدس في المحرم من سنة ٥٧١هـ/ ٢١ آب ١١٧٥ م يطلب الهدنة، وذلك للظروف المضطربة التي انتابت المملكة آنئذء، والجدب الذي حل بالشام في هذه السنة فأجابه السلطان إليها[١] وتعهدوا بموجبها بأن لا يقوموا بتحصين موضع العبور عند مخاضة الأحزن التي كانت على حدود إمارة دمشق، مقابل إطلاق صلاح الدين من بحوزته من أسرى الفرنج[٢] واشترط عليهم السلطان ضمان حرية التنقل والتجارة بين مصر والشام [٣]. لكن الداوية استطاعوا أن يثنوا الملك بلدوين الرابع عن تعهده لصلاح الدين. وجعلوه يبني حصناً في هذا الموضع في سنة ٥٧٤ هـ/ تشرين الأول ١١٧٨مز

مما أغضب السلطان وجعله يقسم على المبادرة لاتخاذ إجراء لمنعه[٤]. لكن الصليبيين عملوا على تجديد الهدنة مع صلاح الدين بعد أن عاثوا في نواحي دمشق فساداً خلال وجوده في شمال الشام[٥].

---

(١) أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق٢: ٦٤٣ (رواية العماد الأصفهاني) " ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ٣٥، دريد عبد القادر نوري: سياسة صلاح الدين في مصر والشام والجزيرة: ٢٦٧.
وسيرد: دريد نوري: سياسة صلاح الدين.
Sir Hamilton A. R. Gibb; The Rise of Salaadin. ١١٦٩-١١٨٩' ; Setton ' Ahistory of The Crusades ; Vol. ١; ٥٦٩.
(وفي هذه السنة عقد ريموند الثالث أمير طرابلس اتفاقاً مع حلب ضد صلاح الدين).

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ٧٢،
W. of Tyre ; A Hist. of Deeds ; Vol. ٢ ; ٤٣٦-٣٧ , H. Gibb ; Ibid. Setton ; Ibid ; Vol. ١; ٥٧٢.

(٣) دريد نوري: المرجع ذاته: ٢٧٥، رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ٢٧٤.
غوانمة: إمارة الكرك الأيوبية: ١٩.

(٤)H. Gibb; " The Rise of Saladin' ; Setton ; The Crusades ; Vol. ١; ٣٧٢, W. of Tyre ; A Hist. Of Deeds ; Vol. ٢ ; ٤٣٦- ٤٣٧.

(٥)Stevenson ; The Crusaders ; ٢١٤ , W. of Tyre ; Ibid ; Vol. ٢; ٤١١-٤١٢.

انتهز الملك بلدوين الرابع فرصة وصول فيليب الألزاسي على رأس قوة من الفلمنكيين إلى المملكة للحج في آب سنة ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م [١] وخاصة أن الهدنة المعقودة مع صلاح الدين تجيز للصليبيين في حالة قدوم أمير فرنجي ليس لهم به طاقة، أن يناصروه على المسلمين[٢]. فسارت قواتهما إلى طرابلس حيث ينتظرهم صاحبها، وساروا جميعاً بقوتهم إلى حمص ثم إلى حماة فأقاموا عليها الحصار في العشرين من جمادي الأولى سنة ٥٧٣هـ/ ١٤ تشرين الثاني ١١٧٧م. واستمر حصارهم لها أربعة أيام حتى وصلتهم أخبار تفيد بسهولة فتح حارم، وكان قد انضم إليهم أميز أنطاكية فساروا إلى حارم وحاصروها، ولما سمع الحلبيون بمسير صلاح الدين من مصر إلى الشام، راسلوا الفرنج وخوفوهم من وصوله، وبذلوا لهم " قطيعة من المال وعدة من الأسارى، فرسان القتال ورحل الفرنج "[٣]. وكان صلاح الدين قد انتهز فرصة اشتغال الفرنج بأمر حارم، فتقدم بجيشه من مصر إلى جنوب مملكة بيت المقدس لتحقيق أحد أمرين، فإما أن يتخلوا عن حصارهم لمدينة حارم ليدافعوا عن بلادهم المهددة من قبله، وإما أن يقيموا على حصارها وبذلك يحرز صلاح الدين انتصاراً على من بقي في بلادهم من العساكر ويفتحها فأغار على عسقلان في ٢٩ جمادي الأولى سنة ٥٧٣هـ/ ٢٣ تشرين الثاني ١١٧٧م ودخلها واستولى على ما كان فيها ثم سار إلى الرملة فأحرقها، ولما شعر أهل القدس بالخطر استعدوا للدفاع عنها، مما اضطر بلدوين الرابع إلى فك الحصار عن حارم والمسير إلى جهة

---

(١) البنداري: سنا البرق الشامي: ١٣٥- ١٣٦ ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ٦٤،
H.Gibb; Ibid Setton ; Ibid ; Vol. ١; ٥٧١ , Stevenson ; Ibid ; ٢١٦- ٢١٧.
دريد نويي: سيسة صلاح الدين: ٢٦٨.
(٢) البنداري: المصدر ذاته: ١٣٥- ١٣٦، أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق٢: ٧٠٥- ٧٠٦.
H. Gibb; Ibid ; Setton ; ibid ; Vol ١; ٥٧١.
W. of Tyre ; Ibid ; Vol. ٢; ٤٢٥, Stevenson ; Ibid ; ٢١٦.
(٣) البنداري: المصدر ذاته: ١٣٥- ١٣٦، ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ٦٤، أبو شامة ذاته: ٢٦٨ – ٢٦٩،
H. Gibb; Ibid ; Stevenson ; Ibid ; Vol. ١ ; ٥٧١-٥٧٢. Stevenson ; Ibid ; ٢١٦ , W. of Tyre ; Ibid ; Vol. ٢; ٤٢٥-٤٢٦.

الرملة، حيث التقى جيش صلاح الدين على غفلة منه بينما كن يقطع واد ضيق قرب تل الصافية، هجم بلدوين بجيشه على المسلمين فانهزموا وتفرق جيش صلاح الدين الذي عاد إلى مصر[١]، واستمرت القوافل الإسلامية تتردد في أراضي الفرنج بعد الكسرة.[٢] وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على قوة صلاح الدين التي لا زالت تشكل تهديداً خطيراً لمملكة بيت المقدس، لذا شرع الصليبون في إنشاء حصن عند مخاضة الأحزان[٣]. كما مر في سنة ٥٧٤ هـ/ ١١٧٨م [٤]. وكانت كسرة الرملة نقطة تحول في سياسة صلاح الدين الإستراتيجية ضد مملكة بيت المقدس إذا أدرك صعوبة ومخاطر اتخاذ مصر قاعدة لهجماته فقرر الانتقال إلى دمشق [٥].

ونظراً لاهتمام صلاح الدين بشمالي الشام فقد سار بعد وصوله إلى دمشق من مصر في شوال سنة ٥٧٣هـ/ ١٦ نيسان ١١٧٨م إلى حمص، يهدد الفرنج الذين عادوا إلى حصن حارم، فأمضى فيها الصيف مترقباً الوضع في حلب [٦] لكنه عاد إلى دمشق بعد عودة

---

(١) ابن شداد: النوادر السلطانية: ٤٢، البنداري: سنا البرق: ١٢٧-١٢٨، أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق٢: ٦٩٩ – ٧٥٠، ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ٥٩- ٦٠. ; W. of Tyre ; A Hist. Of Deeds Vol. ٢; ٤٢٦ ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٤٢٢، أبو الفداء: المختصر: م٢: ٨، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: جـ٨: ق١: ٣٤٢-٣٤٣، ابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ١٣٣، دريد نوري سياسة صلاح الدين ٢٧٠، Stevenson ; The Crusaders ; ٢١٨-٢١٩ ; Gibb; The Rise of Saladin ; Setton ; The Crusders ; Vol. ١; ٥٧١ صبحي عبد الحميد: معارك الكرب الحاسمة: ١٧٠.

(٢) أبو الشامة: المصدر ذاته: جـ١: ق٢: ٧٠٨، ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ٦٥، دريد نوري: المرجع ذاته: ٢٧٣- ٢٧٤، غوانمة: أمارة الكرك الأيوبية: ١٢٠. W. of Tyre; Ibid ; Vol. ٢; ٤٢٦-٤٣٣٢.

(٣) بلد بين دمشق والساحل، سمي بذلك لأنهم زعموا أنه كان مسكن يعقوب عليه السلام وكان الإفرنج عمروه وبنوا به حصنا حصينا. ياقوت: معجم البلدان: جـ١: ٥١٩.

(٤) ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ٧٢، دريد نوري: المرجع ذاته: ٢٧٥.

(٥) غوانمة: المرجع ذاته: ١١٩-١٢٠، " الفرنجة " الموسوعة الفلسطينية: م٣: ٤٤٦.

(٦) ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٤٤٥، ابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ١٣٤.

H. Gibb; " The Rise of Daladin'; Setton ; " The Crusades' Vol. ١; ٥٧١.

(وبعودة فيليب الألزاسي عادت الهدنة مع بيت المقدس سارية).

الفرنج إلى بلادهم [1]. فأشغله أمر بعلبك عن المسير لتدمير حصن بين الأحزان لمخالفة بناءه شروط الهدنة، حيث خلع شمس الدين محمد بن عبد الملك والي بعلبك طاعة صلاح الدين، فسار إليه وحاصر بعلبك مدة طويلة، لكنه عاد عنها وبقي بعض من جيشه محاصراً لها حتى تسلمها صلاح الدين، فسلمها لأخيه شمس الدولة، وعوض ابن المقدم عنها [2]. وفي ذي القعدة من سنة ٥٧٤هـ/ نيسان ١١٧٩م أغار فرنج القدس على أعمال دمشق وعاثوا فيها فساداً، كما أغار أمير انطاكية على شيزر وأغار صاحب طرابلس على جماعة من التركمان ونهب أموالهم، وكان صلاح الدين في هذه الأثناء مقيماً ببانياس [3]. فاتخذ صلاح الدين من هذه الاعتداءات ذريعة لإظهار قوته من ناحية، ولمحاصرة حصن بيت الأحزان وهدمه من ناحية أخرى، فقد أغار في ٢ محرم سنة ٥٧٥هـ/ ١٠ حزيران ١١٧٩م على الفرنج بمرجعيون فهزمهم، وأسر عدداً من كبرائهم، منهم مقدم الداوية (Hughde Payns) ومقدم الاسبتارية، وابن بارزان (Baldwin of Ibelin) وغيرهم [4]. وطلب

---

(١) البنداري: سنا البرق الشامي: ١٦٨- ١٧٠، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٤٥٠، دريد نوري: سياسة صلاح الدين: ٢٧٧.
(دفع أهل حلب نقودا مقابل فك الصليبيين الحصار عن حارم)
H. Gibb; Ibid ; Setton ; Ibid ; Vol. I; ٥٧١, Stevenson ; The Crusaders ٢٢١.

(٢) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٤٥٠- ٤٥١، دريد نوري: المرجع ذاته: ٢٧٦ (عوضه صلاح الدين بارين وكفر طاب)
H.Gibb; Ibid; Setton ; Ibid; Vol. ١; ٥٧٢.
(لقد شغل صلاح الدين بأمر بعلبك عن الفرنج وذلك بسبب أن أخاه تورانشاه حاكم دمشق قد قصر في واجباته وتوصل لاتفاق مع الصالح بن نور الدين فأقطعه بعلبك تخلصاً منه وخشيه على دمشق التي سلمها لإبن أخته فرخشاه).

(٣) ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٤٥٠، ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ٧٤.

(٤) ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٤٥٥، ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ٧٥ -٧٧ صاحب حماة: مضمار الحقائق وسر الخلائق: ١٦- ١٧. تحقيق: حسن حبش. طباعة ونشر: عالم الكتب، ١٩٧٨م. القاهرة، دريد نوري: سياسة صلاح الدين: ٢٧٦.
H.Gibb, " The Rise of Saladin; Setton ; The Crusades; Vol.١; ٥٧٢-٥٧٣.
ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب: جـ٤: ٢٤٩ (أسس من الفرنج ٢٧٠ أسيراً).

الفرنج المهادنة من السلطان فهادنهم في سنة ٥٧٦هـ/ ١١٨١م. وافتدي " ابن بارزان نفسه من الأسر بمبلغ مائة وخمسين ألف دينار صورية، وإطلاق ألف أسير من المسلمين". وقرر على (هيو ابن قومصيه) طرابلس " قطيعة مبلغها خمسة وخمسون ألف دينار"[1] وبعد أن تم لصلاح الدين إخضاع بعلبك وهزيمة الصليبيين في مرجعيون، عاد لتحقيق هدفه بهدم حصن بيت الأحزان بطريقة سلمية، إذ عرض على الصليبيين أن يدفع لهم ستين ألف دينار مقابل هدمه، ولما رفضوا ذلك دفع لهم مائة ألف دينار وذلك حتى لا يتقوى به الفرنج فتكون منطقة طبرية تحت رحمة صلاح الدين[2]. ولما رفض الصليبيون بول ذا العرض سار بجيشه إلى حصن بيت الأحزان وحاصره، فاشتغل النقابون في الهدم وأشعلوا النار في النقوب فانهدم جانب منه ودخله المسلمون واستنقذوا من الأسر مائة مسلم، وأسروا من الصليبيين سبعمائة أسير وذلك في ٥ ربيع الآخر سنة ٥٧٥هـ/ ٣٠ آب ١١٧٩م[3].

---

(١) البنداري: سنا البرق الشامي: ١٧٥، أبو شامة: الروضتين: جـ٢: ٨-٩ (الطبعة القديمة)، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٤٥٦، ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ٧٥ -٧٦، ٩٧، دريد نوري: المرجع ذاته: ٢٧٧، صاحب حماه: المصدر ذاته: ١٧- ١٨.

(٢) أبو شامة: المصدر ذاته: جـ٢: ١٠٨، ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ٨٢، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٥٧٥-٥٧٦ (دفع لهم صلاح الدين ٦٠ ألف دينار مصرية)، دريد نوري: المرجع ذاته: ٢٧، صاحب حماة: المصدر ذاته: ٢٤ – ٢٥.

(٣) البنداري: سنا البرق الشامي: ١٦٩ – ١٧٠، أبو شامة: الروضتبن: جـ٢: ٥، ١١ ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٤٥٧، صاحب حماه: مضمار الحقائق: ٢٧ -٢٩. ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ٤٨ -٥٢، الجوزي: مرآة الزمان: جـ٨: ق١: ٣٥٣-٣٥٤، W. of Tyre , ٢٢١ ; Stevenson ; The Crusaders ; A Hist. Of Deeds; Vol. ٢ ; ٤٤٣-٤٤٥. (لم تساعد أي قوات زنكية من حلب أو الموصل صلاح الدين في عدائه للصليبيين).

H.Gibb; " The Rise of Saladin" ; Setton ; " The Crusades" , Vol. ١; ٥٧٣.

أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي: جـ٥: ٤٥٩، صبحي عبد الحميد: معارك العرب الحاسمة: ١٧٠.

M.W.Baldwin; " The Decline of Jersalem. Setton ; Ibid; Vol. ١; ٥٩٦. W. of Tyre; Ibid; Vol. ٢; ٤٤١-٤٤٢.

وبسقوط حصن بيت الأحزان في يد صلاح الدين وهدمه له، أصبح شمال المملكة اللاتينية مفتوحاً لغارات صلاح الدين التي انطلقت من بانياس(١). وهذا ألجأ الصليبيين إلى الاحتماء في مدنهم وقلاعهم لعدم قدرتهم على مواجهة هذه الغارات مما اضطر الملك بلدوين الرابع معه إلى طلب عقد هدنة عامة في البر والبحر مع المسلمين لمدة سنتين، فاستجاب صلاح الدين لطلبه، وتم ذلك في سنة ٥٧٦ هـ/ أيار ١١٨٠م(٢)، بسبب القحط الذي أصاب منطقة الشام في هذا العام، إضافة لتعبئة القوى وكسب الأحلاف(٣) والتفرغ لشمال الشام(٤).

وضمن سياسة صلاح الدين في تأمين شمال الشام من الأخطار فقد أغار على أراضي إمارة طرابلس في الوقت الذي أغار فيه أسطول مصري على مدينة أنطرطوس وجزيرة أرواد مما ألجأ ريموند الثالث الذي لم يدخل في هدنة الملك إلى عقد هدنة مع صلاح الدين في سنة ٥٧٦هـ/ حزيران ١١٨٠م(٥). كما وقع صلاح الدين صلحاً مع الملك الصالح

---

(١) (قام صلاح الدين فرشخاه صاحب بعلبك على صفد فعاث فيها فسادا ونهبها).
البنداري: المصدر ذاته: ١٧٣، ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ٨٦. (كما نجح الأسطول المصري في الإغارة على عكا) (الحاشية).
H.Gibb; Ibid; Setton; Ibid; Vol. ١;٥٨٠-٥٨١.

(٢) أبو شامة: المصدر ذاته: جـ٢: ١٦، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ ١١: ٤١٤.
W. of Tyre ; Ibid ; Vol. ٢; ٤٤٧, M.W. Baldwin ; Ibid ; Setton; Ibid; Vol. ١; ٥٩٥.
رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ٦٧٩، دريد نوري: سياسة صلاح الدين: ٢٧٩، أحمد شلبي: مرسومة التاريخ الإسلامي: جـ٥: ٤٦٠.
Stanely Lane Pool ; A History of Egypt in the Middle Ages; ٢٠٦.
غوانمة: إمارة الكرك: ١٢٢، وكان من أهم شروطها (حرية التجارة والتنقل في هذه المنطقة بالذات) يعني شرق الأردن وإمارة الكرك. صبحي عبد الحميد: المرجع ذاته: ١٧٠.
Nicholson ; Joscelyn ١١١; ٩٣.

(٣) سعيد عاشور: الحركة الصليبية: جـ٢: ٧٦٣، دريد نوري: سياسة صلاح الدين: ٢٧٩.

(٤) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي: جـ٥: ٤٦٠.

(٥) Sevenson ; The Crusaders ; ٢٢ , W. Of Tyre ; A Hist. Of Deeds; Vol. ٢; ٤٤٧-٤٤٩, H. Gibb, " The Rise of Saladin' Setton The Crusades; Vol. ١; ٥٨١, M.W. Baldwin ; " The Decline of Jerusalem"; Setton ; Ibid ; Vol. ١; ٥٩٥, Nicholson ; Toscelyn ١١١; ٩٣.
(بسبب رفض ريموند الدخول في صلح الملك). رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ٦٩٦ – ٦٩٧.

صاحب حلب في ١٠ جمادي الأولى سنة ٥٧٦ هـ/ ٢ تشرين الأول ١١٨٠م، كما أجبر روبين (بن لاون) صاحب أرمينية على توقيع هدنة معه في ١٠ جمادي الأولى من نفس السنة ٢ تشرين الأول ١١٨٠م ودخل في الصلح المواصلة وديار بكر[١] وكذلك وصل اختيار الدين الحين بن غفراس[٢] تابع ملك الروم فوقع معه اتفاقاً[٣]. وأكمل السلطان سلسلة الاتفاقات والهدن هذه باتفاق مع الكسيوس الثاني إمبراطور بيزنطة في جمادي الثانية سنة ٥٧٧هـ/ خريف ١١٨١م، فكسب صداقة البيزنطيين وقد اشتغل السلطان في هذه الفترة بتحصين ثغر الإسكندرية خوفاً من اعتداء مملكة بيت المقدس[٤].

وبهذا كفل صلاح الدين الأمان لأطراف بلاده الشمالية حتى يتفرغ لمملكة بيت المقدس ويستعد لمواجهتها، إذ انتهك أرناط أمير الكرك الهدنة المعقودة بين الجانبين بإغارته على أيلة واعتدى على قافلة إسلامية قرب تيماء كانت تسير إلى مكة في جرب ٥٧٧هـ/ كانون الأول ١١٨١م فتوجه عز الدين فرّ خشاه نائب السلطان صلاح الدين بدمشق إلى أعمال الكرك فنهبها، مما اضطر أرناط للعودة إليها[٥]. كما ردّ المسلمون على نقض

---

(١) أبو شامة: الروضتين: جـ٢: ١٧، ٧٤، ٢٢٤ , Stevenson ; Ibid
ابن شداد: النوادر السلطانية: ٤٣ – ٤٤، ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ٩٩- ١٠٠، ابن الأثير: الكامل: جـ١١، ٤٦٦. تمّ الصلح مع ابن لاون على (أن يطلق ما عنده من الأسرى والسبي وإعادة أموال التركمان)، ابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ١٣٧.

(٢) هو مدبر دولة الملك قليج أرسلان صاحب الروم: ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ٢٥٣ (ط ١٩٥٧)م.

(٣) البنداري: سنا البرق الشامي: ١٧٦. ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ١٠٠. ابن شداد: المصدر ذاته: ٤٣.
H. Gibb; Ibid; Setton ; Ibid ; Vol. ١; ٥٧٥.

(٤) ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ١١٢. Stevenson ; The Cruades; ٢٢٤

(٥) ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ١٠١ – ١٠٢ (كما خرق فرنج الشمال الهدنة حيث حاصروا سفناً تجارية للمسلمين ونهبوها قرب الساحل المصري). Nicholsn; Jocelyn ١١١; ١٨٤، ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٤٧٠. أبو شامة: الروضتين: جـ٢: ٢٣، ابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ١٣٨. غوانمة: إمارة الكرك الأيوبية: ١٢٣.
Stevenson ; Ibid ; ٢٢٤ , H. Gibb; " The Rise of Saladin" ; The Crusades ; vol. ١ ; ٥٨١.
M.W. Baldwin ; " The Decline of Jerusalem "; Setton ; Ibid ; Vol. ١ ; ٥٩٨.

المعاهدة بأن قاموا بأسر جماعة من حجاج الفرنج جنحت بهم سفنهم إلى ثغر دمياط، فتحطمت وغرق بعضهم، وكانوا نحو ألف وخمسمائة وأخذت ممتلكاتهم[١].

وأرسل السلطان صلاح الدين لملك القدس بلدوين الرابع يطلب منه تحرير أسرى المسلمين والتعويض عن البضائع التي سلبها أرناط، فاعتذر الملك لعدم قدرته على إقناع أرناط وهكذا اعتبر صلاح الدين الهدنة لاغية[٢]، لكن اضطراب الأوضاع في الموصل وحلب أدى إلى توقيع السلطان هدنة مع أرناط إلى وقت محدد على أن تنظم حركة القوافل من جديد بأمان دون الاعتداء عليها [٣]. وكان فرخشاه قد استغل اجتماع الفرنج بالكرك فأغار على دبّورية[٤] وعكا وطبرية وفتح حصن حبيس جلدك في السواد في السنة ذاتها[٥]. وما أن وصل صلاح الدين إلى دمشق حتى جمع قواته وسار بها إلى بانياس ثم اسر منها جنوباً فعبر نهر الأردن جنوب بحيرة طبرية، وخيم إزاء مدينة طبرية في ١٩ ربيع الأول

---

(١) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٤٨٢ (وكان عدد الحجاج الأسرى ١٦٧٦ شخصاً)، ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ١١٣- ١١٤ (ذكر أن نقض المعاهدة لأخذ صاحب الكرك واستيلائه على تجار البحر) (كان عدد الحجاج ألفين وخمسمائة، أسر منهم ١٦٩٠ نفساً)

انظر: W. of Tyre ; A Hist. Of Deeds ; Vol. ٢ ; ٤٦٧- ٤٦٨.

أورد أن صلاح الدين (هو الذي نقض الصلح بأسره الحجاج ونهبه لما معهم، كما أن صلاح الدين أرسل لملك القدس بالإفراج عنهم مقابل شروط اشترطها لكن ملك القدس لم يوافق عليها). Steven – son ; Iid; ٢٢٥. ابن كثير: البداية والنهاية: جـ١٢: ٣١.

Nicholson ; Ibid ; ١٠٥.

(٢) أبو الفداء: المختصر: م٢: ٨٤، غوانمة: إمارة الكرك: ١٢٦، رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ٦٩٦- ٦٩٧، Nicholson ; Jocelyn ; ١٠٥.

(٣) البنداري: سنا البرق الشامي: ٢٨٩.

(٤) بليدة قرب طبرية من أعمال الأردن. ياقوت: معجم البلدان: جـ٢: ٤٣٧ (وتقع اليوم في شمال فلسطين قرب صفورية).

(٥) البنداري: المصدر ذاته: ١٩٦. صاحب حماة: مضما الحقائق: ٩٣،

W. of Tyre ; A Hist. of Deeds; Vol. ٢: ٤٦٧-٤٧٢.

ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٤٧٩، أبو الفداء: ذاته: ٢: ٨٨. Stevenson ; The Crusaders; ٢٢٦.

ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ١١٤- ١١٥، صبحي عبد الحميد: معارك العرب الحاسمة: ١٧٢.

سنة ٥٧٨ هـ/ ١٩ تموز ١١٨٢م، في الوقت الذي تجمع فيه الصليبيون في صفورية منتظرين مهاجمة صلاح الدين لهم، لكنه قسم جيشه إلى مجموعات صغيرة أغارت على وادي الأردن وجنين حتى وصلوا عكا، حيث تصدى الفرنج لهذه الغارات فالتقوا بجزء من جيش صلاح الدين في وادي عين جالوت بين طبرية وبيسان تحت أسوار قلعة كوكب الهوى[١] وعاد السلطان إلى دمشق. ثم توجه للشمال، وسبب ذلك علمه أن المواصلة كاتبوا الفرنج ورغبوهم في الخروج إلى الثغور ليشغلوا السلطان عن قصده، لكنه سار إلى بيروت إثر علمه بقدوم أسطول مصري لمساعدته في حصارها [٢]. ولما رأى صعوبة اقتحامها سار إلى الشمال فسيطر على أغلب بلاد الجزيرة ثم حاصر الموصل فاستعصت عليه، فتركها وسار إلى سنجار التي أخضعها لحكمه[٣].

واستغل فرنج بيت المقدس غياب صلاح الدين في الشمال وعدم تجديد الهدنة معه فقاموا بغارات في حوران وصلت إلى بصرى وداريا فأخضعوا حصن حبس جلدك، كما قام أرناط صاحب الكرك بالإغارة على أيلة. وسار نحو الحجاز[٤]، لكن الغارة قد فشلت

---

(١)Stevenson ; Ibid; ٢٢٦, W. of Tyre, Ibid; Vol. ١; ٤٧٣-٤٧٥.

ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٤٨١، البنداري: المصدر ذاته: ١٩٧. ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ١١٥، أبو شامة: الروضتين: جـ٢: ٢٩ ابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ١٣٩.

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب: جـ١١٥: ٢-١١٦، أبو شامة: الروضتين: جـ٢: ٢٩.

Stevenson ; The Crusaders ; ٢٢٧. W. of Tyre ; A Hist. Of Deeds; Vol. ٢; ٤٧٥-٤٧٧.

(٣) ابن شداد: النوادر السلطانية: ٤٥-٤٦، ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٤٨٣، البنداري: سنا البرق: ٢٠٧، ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ١١٦-١١٧، ١٢١، ١٢٣، أبو شامة: المصدر ذاته: ج٢: ٣٠، ٣٣.

Stevenson ; Ibid; ٢٢٩.

(٤)Stevenson ; Ibid; ٢٢٠-٢٢٩ , W. of Tyre; Ibid ; vol. ٢; ٤٨١-٤٨٧.

البنداري: المصدر ذاته: ٢١٢-٢١٣، ابن الأثير: ذاته: جـ١١: ٤٩ (سير فرقتين برية وبحرية)، ابن واصل: المصدر ذاته: ١٢٧١-١٣١، أبو شامة: ذاته: جـ٢: ٣٥، ابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ١٤٠، غوانمة: إمارة الكرك الأيوبية: ١٢٧-١٣٦.

في شوال سنة ٥٧٨هـ/ ٢٨ كانون الثاني ١١٨٣م[١]. وقبل أن يتوجه صلاح الدين نحو الجنوب عقد اتفاقية سلام مع انطاكية إثر تسلمه حارم إضافة لحلب، أطلق بوهيمند بموجبها جماعة من أسرى المسلمين [٢].

وقد أثارت عودته إلى دمشق خشيه الصليبيين لنقضهم الهدنة معه، فسارعوا إلى جمع الضرائب لتحصين مدنهم وجمعوا جيوشهم في صفورية[٣] خوفاً من مهاجمة صلاح الدين ثانية لبيروت، وحصون الشقيف وهونين، والقدس، حيث سار صلاح الدين بجيوشه نحو بيسان واجتاز الأردن وخيم على عين جالوت، وأرسل فرقاً لمهاجمة النجدات القادمة من الكرك والشوبك حتى لا تتمكن من الانضمام للقوة الرئيسية للجيش اللاتيني المخيم في صفورة، حيث اصطدمت بها فقتلت وأسرت بعض أفرادها في ٣٠ أيلول ١١٨٣م فعادت منهزمة وعندها تقدم الفرنج بقيادة جاي لوزيجتان الوصي على المملكة وخيموا في الفولة وبعد أن أغارت مجموعات من جيش صلاح الدين على بلاد العدو ووصلت الناصرة قرر صلاح الدين العودة بجيشه إلى دمشق فوصلها في ٢٤ جمادي الثاني سنة ٥٧٩هـ/ ١٤ تشرين الأول ١١٨٣م، ولعل ذلك ناتج عن تحصن الفرنج في جهات مرتفعة، إضافة لوصول نجدات من الأساطيل الإيطالية [٤]. وعدم نجاح صلاح الدين في

---

(١) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٤٩١، أبو شامة: المصدر ذاته: جـ٢: ٣٥- ٣٧، مجير الدين الحنبلي: الأنسي الجليل: جـ١: ٣١٦- ٢١٧. ابن جبير: رحلته: ٣٤- ٣٥، ابن الوردي: المصدر ذاته: جـ٢: ١٤٠.

Stevenson ; Ibid; ٢٢٩.

(٢) ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ١٤١، البنداري: المصدر ذاته: ٢٢٥- ٢٢٦. Stevenson ; Ibid; ٢٣٠ ابن الأثير المصدر ذاته: جـ١١: ٤٩٦، ٤٩٨، صاحب حماه: مضمار الحقائق: ١٤٥- ١٤٦، أبو شامة: المصدر ذاته: جـ٢: ٤٣ – ٤٧. ابن الوردي: المصدر ذاته: جـ٢: ١٤١- ١٤٢.

H. Gibb; " The Rise of Saladin ' ; Setton ; " The Crusaders' ; Vol. ١; ٥٧٨-٥٧٩.

M.W. Baldwin ; " The Decline of Jerusalem" ; Setton ; Vol; Vol. ٢ ; ٤٩١, Stevenson; The Crusaders; ٢٣١-٢٣٢.

(٣)أبو الفداء: المختصر: م٢: ٩٠. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: جـ٨: ق١: ٢٧٧.

W. of Tyre; Ibid; Vol. ٢; ٤٩١،

(٤) البداري: سنا البرق الشامي: ٢٣١- ٢٣٢،

جرهم إلى مسرح القتال الذي اختاره، مما اضطره إلى أن يرجىء تنفيذ هذه الخطوة إلى ظروف أكثر ملاءمة، كما أن أصحابه أشاروا عليه بالرجوع إلى دمشق لقلة زادهم، فأخرب السلطان عفربلا[1] وقلعة بيسان وزرعين، وقد وصل إلى دمشق في ٢٤ جمادي الثانية سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م[2].

والتقى صلاح الدين بأخيه العادل على حصار الكرك في ٤ شعبان إلاّ أنه أمره بالعودة إلى دمشق بسبب الوضع المضطرب في بلاد الجزيرة وأن أمر حصار الكرك يطول [3]، فعاش صلاح الدين في المدن التي اجتازها كنابلس وجنين وسبيطية، التي طلب أهلها الأمان مقابل إطلاق ما عندهم من أسرى المسلمين، فأمنهم وأطلق سرح الأسرى المسلمين ثم سار إلى مدينة دمشق فوصلها في سنة ٥٨٠هـ/ ١٥ أيلول ١١٨٤م [4].

كما شغلت مشكلة الوصاية على مملكة بيت المقدس، اثر مرض الملك بلدوين الرابع تفكير أمراء المملكة فكان لا بد لكل من بيت المقدس وصلاح الدين من التوصل إلى

Stevenson ; Ibid; ٢٣٣-٢٣٦ , W. of Tyre; Ibid ; Vol. ٢; ٤٩٣-٤٩٨.

ابن شداد: النوادر السلطانية: ٤٩، ابن واصل:. مفرج الكروب: جـ٢: ١٤٨- ١٥٠، أبو شامة: الروضتين: جـ٢: ٥٠.

(١) بلد بغور الأردن ترب بيسان وطبرية. ياقوت: معجم البلدان جـ٤: ١٣١ (لم أجد غير هذا التعريف).

(٢) ابن شداد: المصدر ذاته: ٥٠

Lane Pool ; A Hist. of Egypt; ٢٠٧. M.W. Balwin " The Decline of Jersalem' ; Setton " The Crusaders' ; Vol. ١; ٥١٩.

(٣) ابن شداد: النوادر....: ٥٠، ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٥٠٢، ابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ١٤٢، ابنجبير: رحلته: ٢٧٢.

Gibb; " The Rise of Saladin ' ; Setton ; The Crusades; Vol. ١; ٥٧٩.

أبو الفداء: المختصر: م٢: ٩٠ -٩١.

(٤) البنداري: سنا البرق....: ٢٤١- ٢٤٥، ابن شداد: المصدر ذاته: جـ٢: ٥٣-٥٤. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: جـ٨: ق١: ٣٧٧، ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ١٥١، ١٥٧ -١٥٩، مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل: جـ١: ٣١٧.

Stevenson ; The Crusaders; ٢٣٥- ٢٣٦.

ابن جبير: المصدر ذاته: ٢٧٢، الذهبي: العبر: جـ٤: ٢٣٩، أبو شامة: الروضتين: جـ٢: ٥١، ٥٥، ٥٦.

اتفاق هدنة يتفرع كل منهما لحل مشاكله الخاصة، فعقدت الهدنة بين الطرفين في آخر ذي الحجة سنة ٥٨٠هـ/ ١ نيسان ١١٨٥م لمدة أربع سنوات[١] وكان ريموند أمير طرابلس قد اختير وصياً على المملكة[٢] فاستأنفت حركة التجارة من جديد بين إمارات الفرنج وجاراتها[٣] مما شجع السلطان صلاح الدين على القيام بحملة إلى شمال الشام. وبعد صراع عنيف مع المواصلة توصل معهم إلى صلح دائم في آخر ذي الحجة سنة ٥٨١هـ/ ٣ آذار ١١٨٦م[٤]، وعاد إلى حلب في ٦ نيسان من السنة ذاتها بعد أن خطب له في جميع بلاد الموصل بعد قطع خطبة السلاجقة. كما خطب له في ديار بكر والديار الأرتقية، وضرب باسمه الدينار والدرهم[٥]. فتم له بذلك توحيد الأجزاء الشمالية لدولته وخضعت تماماً لسيادته، وعندها عاد إلى دمشق فوصلها في ٢ ربيع الأول سنة ٥٨٢هـ[٦]/ ٢٤ أيار ١١٨٦م[٧]، وما أن عوفي صلاح الدين من مرضه حتى أخذ بعد

---

(1) W. of Tyre; A Hist. Of Deeds; Vol. ٢: ٤٩٨-٥٠١, ٥٠٣-٥٠٤.
Stevenson ; Ibid ; ٢٣٦-٢٣٧.

(٢) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٤١٩، البنداري: المصدر ذاته: ٢٦٧، ابن شداد. المصدر ذاته: ٥٦-٥٧.
W. of Tyre; Ibid; Vol. ٢; ٥٠١-٥٠٢, Stevenson ; Ibid; ٢٣٦.
ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ١٧٢، ٢٠٧. Lane Pool ; A History. Of Egypt ;
H. Gibb; Ibid ; Settin ; Ibid; Vol. ١; ٥٨٠, ٥٨٢.

(٣) ابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ١٤٢ – ١٤٣، رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ٧١٨- ٧١٩.
البنداري: سنا البرق.... ٢٦٧، ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ١٧٢، محمد مختار باشا. التوفيقات الإلهامية: جـ٢: ٦١٣.
H. Gibb; The Rise of Saladin; Setton ; The Crusaders; ١; ٢٨٠-٥٨٢.

(٤) ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٥١٧. أبو شامة: الروضتين: جـ٢: ٦٤.
Stevenson The Crusaders; ٢٣٩ ابن الورد: المصدر ذاته: جـ٢: ١٤٤. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب: جـ٤: ٢٦٨.

(٥) ابن شداد النوادر...: ٥٧. أبو شامة: المصدر ذاته: جـ٢: ٦٤.

(٦) (أورد أن دخول صلاح الدين دمشق كان في ٢٣ أيار من السنة). Stevenson; Ibid; ٢٣٩ محمد مختار باشا: المرجع ذاته: جـ٢: ٦١٤.

(٧) أبو شامة: المصدر ذاته: جـ٢: ٦٤، ٦٦، دريد نوري: سياسة صلاح الدين: ٢٨٦. (هدنة ١١٨٥م)
Stevenson ; Ibid; ٢٣٩. H. Gibb; Ibid; Setton ; Ibid; Vol. ١; ٥٨٤.

العدة للجهاد ذد الصليبيين، لكنه لم يخل بالهدنة المعقودة مع الفرنج[١]. فأعاد أخاه العادل (الذي كان قد ولاه حلب) إلى مصر حيث وصلها في ٥ رمضان سنة ٥٨٢هـ/ ١٩ تشرين الثاني ١١٨٦م،وربما يعود ذلك للخطة التي وضعها السلطان صلاح الدين لهذه المرحلة، والتي سنرى آثارها عند الحديث عن أهم أحداث السنة التالية ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م.

وكان من سياسة صلاح الدين تقرير اختلاف الفرنج ومخالفة بعضهم ضد البعض الآخر، فلما تولى ريموند بن بوهيمند أمير طرابلس الوصاية على ابن قومصية طبرية[٢] (أخت الملك بلدوين الرابع) بعد أن تزوجها، والذي كان الملك بلدوين الرابع قد أوصى له بالحكام وقام ريموند على تربيته، لكنه وفي فهجرت القومصية زوجها، وتزوج من (جاي لوزيجنان) الذي قدم من الغرب، فتوج ملكاً، ووضع الخلاف بينه وبين ريموند الذي حالف السلطان صلاح الدين، فسانده، واتفق معه على إطلاق سراح الأسرى من رجاله لدى صلاح الدين، فصار يضايق فرنج بيت المقدس[٣]. مما كان له أثر كبير في تعزيز وضع صلاح الدين في مواجهة الصليبيين.

---

(١) البنداري: المصدر ذاته: ٢٧٩– ٢٨٠، أبو شامة: المصدر ذاته: جـ٢: ١٦٩– ١٧٠

Stevenson ; Ibid; ٢٣٩-٢٤٠. H. Gibb; Ibid; Setton ; Ibid; Vol. ١; ٥٨٣.

(٢) هو بلدوين الخامس: سعيد عاشور: الحركة الصليبية: جـ٢: ١٣٠٥، (قومصية طبرية هي إيشيفيا أرملة والتر صاحب طبرية) والقومصية تعني زوجة الكونت. M.W.

Baldwin; " The Declin of Jersalem; Setton; The Crusaders ; Vol. ١; ٥٩٣.

(٣) البنداري: سنا البرق...: ٢٨٨– ٢٨٩. ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ١٨٤– ١٨٥. العماد الأصفهاني: الفتح القسي: ٦٧– ٦٨. ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٥٢٦–٥٢٧، أبو شامة: الروضتين: جـ٢: ١٧٤، دريد نوري: سياسة صلاح الدين: ٢٨١،

H. Gibb; " The Rise of Saladin' Setton ; Ibid; Vol. ١; ٥٨٥.

ثانياً: صلاح الدين والصليبيين (٥٨٢هـ/ ١١٨٦م – ٥٨٩هـ- ١١٩٢م)

١ - معركة حطين وأثرها في العلاقات السياسية بين المسلمين والصليبيين:

اتبع صلاح الدين سياسة تقوم على عزل فرنج الشام، وبناء القوة العسكرية. وربط القوى الداخلية، والخارجية باتفاقات سلام أو علاقات صداقة، تحضيراً للمعركة الفاصلة مع الصليبيين(١).

فبعد استقرار سيادة السلطان صلاح الدين على شمال الشام والموصل (٢) إرسال أخيه الملك العادل وابنه الملك عزيز عثمان إلى مصر(٣). استغل صلاح الدين ما وقع بين الفرنج من خلاف ولجوء أكبر قادتهم وهو قمص طرابلس ريموند الثالث إليه، ومحاربته للفرنج(٤). حيث أصبحت مملكة بيت المقدس محاصر من الشرق والغرب إضافة لمضايقة فرنج طرابلس لها، كما عمل صلاح الدين على محاصرة بيت المقدس اقتصادياً عن طريق توجيه أنظار تجار بيزا وجنوة وفينيسيا لمصر(٥) مما يحقق له غرضين في آن واحد، أولهما: تقليص الحركة التجارية مع اللاتين في الشام ومحاولة القضاء عليها، وخاصة بعد سيطرة صلاح الدين. على البحر الأحمر، وثانيهما: ازدهار التجارة مع مصر وازدياد مواردها، مما

---

(١) H.Gibb;: The Rise of Saladin" ; Setton ; The Crusades; Vol. ١; ٥٨٣

(٢) البنداري: سنا البرق الشامي: ٢٦٧، ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ١٧٢. محمد مختار باشا: التوفيقات الإلهامية: جـ٢: ٦١٣.

(٣) البنداري: المصدر ذاته: ٢٨٠. ابن شداد: النوادر السلطانية: ٥٨، ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٥٢٣ (أقطع الملك العادل حران والرها وميافارقين) ابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ١٤٥.

(٤) B.W. Baldwin; The Declin of Jerusalem ; Setton ; Ibid; Vol. ١; ٥٨٣.

العماد الأصفهاني: الفتح القسي: ٦٧- ٦٨: ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٥٢٧. ابن واصل المصدر ذاته: جـ٢: ١٨٤-١٨٥. البنداري: المصدر ذاته: ٢٨٨- ٢٨٩، سهيل زكار: الحروب الصليبية: جـ١ (مدخل عام): ٨١ – ٨٢.

(٥)H.Gibb; Ibid; Setton; Ibid; Vol. ١; ٥٤٨.

فايد حماد عاشور: العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى الإسلامي في العصر الأيوبي: ٦٠ -٦١ (نجحت الدبلوماسية الأيوبية في أبعاد الخطر عن مصر بالسياسة وإعطاء البنادقة الامتيازات مقابل ذلك).

شجعه على إعادة بناء الأسطول المصري، كما أنه رحب بمبادرة إسحق أنجليوس خليفة مانويل على بيزنطة، بإقامة علاقات صداقة ومودة معه، وهدف صلاح الدين من ذلك إلى ضرب التحالف الذي كان قائماً بين بيزنطة واللاتين في الشام في عهد الإمبراطور السابق مانويل كومنيناس، حيث كان هذا التحالف يهدد مصر بشكل دائم. وتأكدت هذه العلاقات بين صلاح الدين وإسحق أنجليوس بمعاهدة سنة ٥٧٧هـ/ ١١٨١م. وسمح بإقامة الخطبة للخليفة العباسي في مسجد القسطنطينية، وكذلك أقام علاقات صداقة مع إسحق كومنيناس في قبرص[١]. وفي الوقت ذاته ساءت العلاقات السياسية بن إمبراطور بيزنطة وبيت المقدس بسبب علاقاته السياسية مع صلاح الدين، إضافة لكراهيته الشخصية للصليبيين[٢]. فاجتمعت للسلطان صلاح الدين من الأسباب ما حفزته للجهاد، فأقام منتظرا الفرصة السانحة لتحقيق هدفه[٣] لأن علاقاته السياسية ببيت المقدس لا زالت تحكمها الهدنة المعقودة معها في اواخر سنة ٥٨٠هـ/ ١ نيسان ١١٨٥م، والتي نظمت لأربع سنين[٤].

وجاءت الفرصة مواتية لآمال السلطان صلاح الدين وطموحاته عندما نقض أرناط أمير الكرك. الهدنة المعقودة مع المسلمين، بإغارته على قافلة عظيمة من قوافل المسلمين وأسره لرجالها، ونهبه لأحمالها وذلك في أواخر سنة ٥٨٢هـ/ أذار ١١٨٧م[٥] فأعلن السلطان الجهاد على الفرنج فاجتمعت إليه العساكر من شمال الشام والجزيرة العربية

(١)H.Gibb; The Rise of Saladin'; The Crusaders ; Vol. ١; ٥٨٤.

(٢)H.Gibb; Ibid; Setton; Ibid; Vol. ١; ٥٨٤-٥٩٥.

(٣) H.Gibb; Ibid; Setton ;Ibid; Vol. ١; ٥٨٣, Stevenson; "The Crusaders'; ٢٣٩.

(٤) رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ٧١٨. Stevenson; Ibid; ٢٣٦.

(٥) البنداري: سنا البرق الشامي: ٢٨٩، ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ١٨٥، أبو شامة: الروضتين: جـ٢: ٧٥، ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٥٢٧- ٥٢٨، ابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ١٤٥- ١٤٦، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام: جـ٤: ١٠٩. H. Gibb; Ibid; Setton ; Ibid; Vol. ١ ;٥٨٥.

وعساكر مصر، فسار بجيشه إلى الكرك(١) حتى مرت قافلة الحج إلى الشام فعاد حيث خيم بعشتر(٢) ثم سار المسلمون إلى الأقحوانة فتركوا أثقالهم بها واجتازوا نهر الأردن جنوب بحيرة طبرية وعسكر بجيشه في حطين منتظراً قدوم الصليبيين الذين عسكروا في صفورية، وقد نجح صلاح الدين هذه المرة في تحريك جوش الصليبيين إلى ساحة المعركة التي خطط لها مما كان له أعظم الأثر في تحقيق انتصار باهر عليهم، وتم له ذلك في يوم السبت ٢٥ ربيع لأخر ٥٨٣هـ/ ٤ تموز ١١٨٧م، ووقع في الأسر جاي ملك القدس وأرناط أمير الكرك الذي قتله السلطان صلاح الدين(٣)، وكان ريموند الثالث قد فرّ من لمعركة عائدا إلى إمارة طرابلس (٤).

---

(١) البنداري: سنا البرق الشامي: ٢٨٩، أبو شامة: الروضتين: جـ٢: ٧٥، ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٥٢٩ – ٥٣٠، غوانمة: إمارة الكرك الأيوبية: ١٥٣

Stevenson ; The Crusaders ; ٢٤١-٢٤٢, H. Gibb; " The Rise of Saladin'; Setton ; " The Crusaders'; Vol. ١; ٥٨٥.

(٢) موضع بحوران من أعمال دمشق. ياقوت: معجم البلدان: جـ٤: ١٢٥.

(٣) العماد الأصفهاني: الفتح القسي: ٦٩– ٨٤، ابن شداد: النوادر السلطانية: ٦١–٦٦٠ البنداري: المصدر ذاته: ٢٩٢– ٢٩٨، ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ١٨٨ – ١٩٤. أبو المحاسن: النجوم الزاهرة: جـ٦: ٣١ غوانمة: المرجع ذاته: ٥٥ ص، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: جـ٨: ق١: ٣٩٣، صاحب حماة: الذيل: ٢٨٩. Stevenson; Ibid; ٢٤٢-٢٤٧، أبو الفداء: المختصر: م٢: ٩٥– ٩٦. احمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي: جـ٥: ٤٦١– ٤٦٢، مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل: جـ١: ٢٢١–٣٢٢، مكسيموس مظلوم تاريخ الصليبيين: جـ٢: ٨٣– ٨٨، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٥٣٢–٥٣٧، ابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ١٤٦، دريد نوري: سياسة صلاح الدين: ٢٩٤.

Dahmus; Seven Decisve Battle; ١٤١.

H. Gibb; Setton ; Ibid; Vol.١;٥٨٥.

(يرى جب أن انتصار صلاح الدين في حطين لا يعود إلى استراتيجيته التي اتبعها، بل للأخطاء التي وقع فيها اللاتين)، عفاف صبرة: العلاقات بين الشرق والغرب علاقة

البندقية بمصر والشام في الفترة من ١١٠٠م – ١٤٠٠م: ٣٤، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٣، القاهرة.

M.W. Baldwin ; "The Decline of Jerusalem " ; Setton ; Ibid; Vol. ١; ٥٩١.

(٤) البنداري: سنا البرق...: ٢٩٣. " ولما سمع القومص بفتح طبرية واخذ بلده: سقط في يده. وخرج عن جلد جلده وسمح للفرنج بسيده ولبده وقال لهم: لا قعود بعد اليوم ولا بد لنا من وقم القوم وإذا أخذت طبرية أخذت البلاد ". أبو شامة: الروضتين: جـ٢: ٧٦. " ودخل القمص معهم بعد إن دخل عليه الملك ورمي بنفسه عليه "، غوانمة إمارة الكرك: ١٥٥ " ولما سمع الفرنج اجتماع العساكر الإسلامية أثروا صلح القومص فجاء بعسكر معهم إلى صفورية".

وبعد معركة حطين أصبحت بلاد الفرنج خالية ممن يذب عنها، فتقدم جيش صلاح الدين إلى طبرية فتسلمها السلطان بالأمان على الأنفس والأموال، وخيرهم بين الإقامة فيها أو الرحيل عنها فتركوها ورحلوا عنها [1] فسار السلطان إلى عكا فتسلمها على مثل ما تسلم به حصن طبرية من شروط الأمان وإطلاق أسرى المسلمين فيها إضافة لدفع كل من يختار البقاء في المدينة الضريبة المفروضة عليهم [2]، ثم تسليم كافة الأسلحة الموجودة في المدينة إلى المسلمين [3]. كما سار الأمراء يفتحون الجهات المجاورة، ففتحوا الناصرة وصفورية وقيسارية بالسيف ونابلس وسبسطية، وجميع ما يتبع طبرية وعكا من بلاد وقد تم فتحها جميعاً على شروط فتح عكا [4] وكذلك تبنين التي تم دخولها بالأمان بعد أن منحهم السلطان مهلة خمسة أيام ليخرجوا بأموالهم، فقدموا له على ذك رهائن فوفوا بذلك وأطلقوا من لديهم من أسرى المسلمين وخرجوا من القلعة فدخلها المسلمون [5]، ثم دخل المسلمون حيفا وقيسارية، وحصن مجد ليابة [6]، ومدينة يافا عنوة ودخلوا صيدا وصرفند، ثم بيروت التي دخلوها على أمان عكا، وكذلك جبيل مقابل إطلاق سراح صاحبها [7]،

---

(١) البنداري: المصدر ذاته: ٢٩٩- ٣٠٠، الأصفهاني: الفتح القسقي: ٨٥، أبو شامة: الروضتين: جـ٢: ٧٩. Stevenson ; The Crusaders ; ٢٤٩.

(٢) وهي الجزية أو ضريبة الرؤوس: انظر: ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٥٥٣.

(٣) الأصفهاني: الفتح القسي: ٨٨- ٨٩، البنداري: المصدر ذاته: ٢٩٨، ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ١٩٥، ابن شداد: النوادر السلطانية: ٦٤ (كان أسرى المسلمين فيها في عكا زهاء أربعة آلاف أسير)، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة: جـ٢: ق٢: ١٧٣، ١٧٥، مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليلي: جـ١: ٣٢٣.

(٤) ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ٢١ (ط ١٩٥٧م) " أمنهم على أموالهم وأنفسهم وخيّرهم بين الإقامة والظغن".. Stevenson ; Ibid; ٢٥٠.

(٥) ابن شداد: النوادر السلطانية: ٦٤، الأصفهاني: الفتح القسي: ٩٩- ١٠٠، البنداري سنا البرق..ز: ٤٠٣، ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ٢٠٥-٢٠٦، المقريزي: السلوك: جـ١: ق١: ٩٦، ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٥٤٠.

(٦) قرية قرب الرملة، فيها حصن محكم. ياقوت: المصدر ذاته: جـ٥: ٥٧.

(٧) العماد الأصفهاني: المصدر ذاته: ١٠٢- ١٠٦، البنداري: المصدر ذاته: ٣٠٢، ٣٠٤ – ٣٠٦، رنسيمان: تاريخ: جـ ٧٤٥: ٢، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٥٤٠- ٥٤١، ابن واصل: المصدر ذاته: جـ ٢٠٥: ٢- ٢٠٧. ابن شداد: الأعلاق الخطيرة: جـ٢: ق٢: ٢٥١-٢٥٣، ابن شداد: المصدر ذاته: ٦٤-٦٥، أبو شامة: الروضتين: جـ٢: ق٢: ٢٥١- ٢٥٣، ابن شداد: المصدر ذاته: ٦٤- ٦٥، أبو شامة: الروضتين: جـ٢: ٨٧، ٨٩، ابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ١٤٧. Stevenson; The Crusaders; ٢٤٨.

كما سيطر السلطان على مدن الساحل الأخرى بعد تحريره لكافة المعاقل الواقعة في القسم الشمالي من مملكة بيت المقدس، وفي أراضي إمارة طرابلس اللاتينية، فخضعت له من الساحل حتى عسقلان والداروم جنوباً باستثناء مدينة صور(١). وقد تمّ دخول عسقلان بالأمان على أن يخرج أهلها بأموالهم وأنفسهم سالمين(٢) "وليصفح عن جرايم اجترحوها"(٣)، كما سيطر السلطان في طريقه إلى عسقلان على الرملة، ويبنى ثم بيت لحم والخليل بعد ذلك. كما تسلم حصون الداوية مثل غزة والنطرون، وبيت جبرين مقابل إفراجه عن مقدم الداروم(٤). وقد تم للسلطان السيطرة على الحصون الداخلية بعد ما أخضع مدن الساحل حتى تنقطع عنهم الإمدادات من الأساطيل الفرنجية في البحر المتوسط مما يسر له فتحها(٥).

نجحت سياسة السلطان التي اتبعها في فتحه للمدن والحصون والتي تمثلت في منح أصحابها الأمان مقابل دخولها فقبل سكانها والمدافعون عنها طعماً بالسلامة، فكما مر أن غالبها قد فتح بالأمان الذي فتحت به مدينة عكا(٦) واقتضت هذه السياسة الاتجاه جنوباً وعدم التعرض لمدينة صور الحصينة والتي لجأ إليها غالبية فرنج البلاد المفتوحة فزادوها

---

(١) العماد الأصفهاني: المصدر ذاته: ١١٢، ١٩٧.

(٢) الأصفهاني: المصدر ذاته: ١١٣، البنداري: المصدر ذاته: ٣٠٨، ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ٢٠٩، ابن شداد ذاته: ٦٥، أبو شامة: المصدر ذاته: جـ٢: ٩١، الن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٥٤٥.

(٣) البنداري: المصدر ذاته: ٣٠٨ (وذلك لاستشهاد الأمير حسام الدين إبراهيم الحسين المهراني وهو من أكابر الأمراء على عسقلان). ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٥٤٦.

(٤) الأصفهاني: الفتح القسي: ١١٤، البنداري: المصدر ذاته: ٣٠٨، ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ٢١٠، ابن الأثير: ذاته: جـ١١: ٥٤٦، ابن شداد: المصدر ذاته: ٦٥.

Stevenson ; Ibid; ٢٥٢.

سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: جـ٨: ق١: ٣٩٧، أبو شامة: المصدر ذاته: جـ٢: ٩١ المقريزي: ذاته: جـ١: ق١: ٩٦، ابن الوردي: المصدر ذاته: جـ٢: ١٤٧.

(٥) (اتبع السلطان صلاح الدين سياسة الإفراج عن أهالي المدن والقلاع مقابل تركها وتسليمها له).

Stevenson ; The Crusadersl; ٢٤٩, ٢٥٠, ٢٥٥.

(٦) ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٥٣٩. Stevenson ; Ibid; ٢٤٩; ٢٥٠, ٢٥٥.

عدداً لأن مهاجمتها تعني استبسال هؤلاء في الدفاع عن حاميتها عن المدينة التي أصبحت معقلهم الوحيد في شمال المملكة اللاتينية، كما أن مهاجمة المدينة تعني عدم استجابة المدن الأخرى لدعوة السلطان بمنحها الأمان، كما أن الوضع لا يحتمل أي فشل بسيط يعيد للفرنج رجاءهم فيلجأوا للمقاومة من جديد[١]. لأن مدن الساحل الأخرى والمدة الداخلية لم تكن قد سقطت بعد في يد صلاح الدين، إضافة لما يسببه ذلك من إضعاف لمعنويات المسلمين، وكما يبدو أن السلطان قد اتفق مع العادل الذي سار من مصر إلى جنوب فلسطين والتقيا بعسقلان فتحاها بالأمان على أن يخرج السكان منها بأموالهم وأنفسهم إلى القدس وأن يطلق السلطان سراح الملك جاي لوزيجنان، إلا أن السلطان قد أخر ذلك حتى يتسنى له فتح القدس إذ أصبحت الطريق ممهدة إليها[٢].

٢. مفاوضات تسليم مدينة القدس إلى السلطان صلاح الدين:

تقدم صلاح الدين بجيشه من الخليل وبيت لحم إلى القدس حتى وصلوا في ١٥ رجب وأقام عليها الحصار في ٢٠ منه سنة ٥٨٣هـ/ ٢٥ أيلول ١١٨٧م، عندما أرسل باليان بن بارزان سيد نابلس، ومتولي الدفاع عن القدس، رسولاً إلى السلطان يعرض عليه تسليم القدس على أمان المدن المفتوحة، فرفض صلاح الدين في البداية، إلا أن سياسة السلطان وتسامحه ومشورة أصحابه أدت إلى دخوله في مفاوضات مع اليابان[٣]، فاتفق الطرفان على تسليم مدينة القدس إلى السلطان على أن يدفع كل من بالمدينة من الرجال

---

(١) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٥٤٥. ٢٥١ Stevenson ; Ibid;

(٢) أبو شامة: الروضتين: جـ٢: ٨٨.

ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ٥٤٥: ١١. ٢٥٢-٢٥١ ; Stevenson ; Ibid

(٣) ابن شداد: النوادر السلطانية: ٦٥- ٦٦ أبو شامة: الروضتين: جـ٢: ٩٠، الأصفهاني: الفتح القسي: ١٢٤-١٢٥، ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٥٤٨. ابن واصل:

مفرج الكروب: جـ٢: ٢١٢ – ٢١٣، مكسيموس: تاريخ الصليبيين: جـ٢: ٩٢.

The Sevenson; Crusaders; ٢٥٣

دريد نوري: سياسة صلاح الوين: ٣٠٥- ٣٠٨، رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ٧٥٢.

عشرة دنانير وعلى كل امرأة فيها خمسة دنانير صورية، وعلى كل طفل من الجنسين دينارين[١]. من دفعها خرج من المدينة إلى حيث يريد ومن لم يدفع في غضون أربعين يوماً صار رقيقا[٢] فدفع باليان بن بارزان عن الفقراء ثلاثين ألف دينار[٣] وكان الشرط أن يخرجوا بجميع ممتلكاتهم، فأخذوا معهم كنوز الكنائس، ولما أراد بعض الأمراء أخذ هذه الكنوز، ردعهم السلطان براً بعهده[٤].

وقد تمّ الإفراج عمن بالقدس من أسرى المسلمين "وكانوا زهاء ثلاثة آلاف أسير"[٥] وقد وفى ابن بارزان والبطريك ومقدما الداوية والاسبتارية بما اتفق عليه[٦]. وقد سير صلاح الدين الفرنج برفقه حرس إسلامي حتى أوصلهم مدينة صور[٧]. وكان دخول السلطان للقدس في يوم الجمعة ٢٧ رجب سنة ٥٨٣هـ/ ٢ تشرين أول ١١٨٧م[٨].

---

(١) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: جـ٨: ق١: ٣٩٧. (والصبي أربعة دنانير وأقر بيد اليعاقبة أماكن يزورونها). دريد نوري: المرجع ذاته: ٣٠٨. ابن خلكان: وفيات الأعيان: جـ٢: ١٨٧.

(٢) ابن شداد: المصدر ذاته: ٦٦– ٦٧، البنداري: سنا البرق الشامي: ٣١١. الأصفهاني: المصدر ذاته: جـ: ١٢٧، ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ٢١٤. ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١١: ٩٤٩، أبو شامة: المصدر ذاته: جـ٢: ٩٢، ٩٥ ٠على كل طفل صغير من الجنسين دينار) (رواية ابن شداد)، ابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ١٤٧ز رنسيمان: المرجع ذاته: جـ٢: ٧٥٢، دريد نوري: المرجع ذاته: ٣٠٨.

(٣) البنداري: المصدر ذاته: ٣١١، الأصفهاني: المصدر ذاته: ١٢٨، ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ٣١٤.

(٤) ابن واصل: مفرج الكروب: ٢٢٦، أبو شامة: الروضتين: جـ٢: ٩٦.

Stevenson; " The Crusaders" ; ٢٥٣.

(٥) ابن شداد: النوادر السلطانية: ٦٧.

(٦) الأصفهاني: الفتح القسي: ١٢٧، ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ٢١٦ البنداري: سنا البرق الشامي: ٣١٦، رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ٧٥٣، برجاوي: الحروب الصليبية في المشرق: ٣٩٧.

(٧) ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ٢١٦، دريد نوري: سياسة صلاح الدين ٣٠٩ (مجموعة قادها الداوية وأخرى قادها الإسبتاربة، والمجموعة الثالثة قادها باليان بن بارزان).

(٨) الأصفهاني: المصدر ذاته: ١٢٨، ابن شداد: المصدر ذاته: ٦٦، ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٥٤٩، البنداري: المصدر ذاته: ٣١١، ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ٢١٥، صاحب حماة: الذيل: ٢٩١، أبو الفداء: المختصر: م٢: ٩٧، المقريزي: السلوك: جـ١: ق١: ٩٦، ابن الجوزي: فضائل القدس: ١٢٨، القرماني: أخبار الدول: ١٧٨، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة: جـ٦: ١٠٤، ابن خلدون: تاريخ: جـ٥: ٣٠٩، مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل: جـ١: ٣٢٩، رنسيمان: المرجع ذاته: ٣٠٩، عفاف صبرة: العلاقات بين الشرق والغرب: ٣٥، غوانمة: إمارة الكرك الأيوبية: ١٥٨ (١٢ تشرين الأول)، غوستاف لوبون: حضارة العرب: ٣٥٧.

Stevenson ; Ibid ; ٢٥٣ , Michel Joint Labert; Jerusalem; ٢٢٠.

فيليب حتي: تاريخ الشرق الأدنى: م١: ٣٦٦.

H.Gibb; " The Rise of Saladin" ; Setton ;The Crsaders ; Vol. ١; ٥٨٦

٣. موقف صور وتوسيع السلطان صلاح الدين في الشمال، وأثر ذلك على العلاقات السياسية مع الصليبيين:

بعد أن استقر أمر السلطان في القدس، وأكد سيطرته عليها، وعلى كامل (فلسطين) باستثناء بعض المعاقل الواقعة في شمالها، وجه أنظاره من جديد نحو صور، التي كانت أكبر قواعد الفرنج في هذا الوقت، فألقى علها الحصار، لكن مناعتها من ناحية وطول مدة الحصار، وشدة البرد من ناحية أخرى أثارت ضجر العساكر الإسلامية إذ أشاروا على السلطان بالرحيل عنها بحجة كثرة الجراح وقلة العلوفات، فرحل السلطان عنها كارهاً في آخر شوال سنين ٥٨٣ / كانون ثاني ١١٨٨م، كان ذلك بعد أن شارف المسلمون على فتحها(١). وقد انتقد بعض قدماء المؤرخين ومحدثيهم سياسة صلاح الدين الأيوبي المتمثلة بتك صور وتأخير فتحها والاتجاه جنوباً إلى فلسطين(٢). ويمكن القول لأن سياسة

(١) العماد الأصفهاني: الفتح القسي: ١٥٤- ١٥٩، ابن شداد: النوادر السلطانية: ٦٧- ٦٨، البنداري: سنا البرق الشامي: ٣١٨-٣٢٢، ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ٢٤٥، ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٥٥٣- ٥٥٧ (ولما رأى صلاح الدين أن أمر صور يطول رحل عنها، وهذه كانت عادته متى ثبت البلد بين يديه ضجر منه ومن حصاره رحل عنه). أبو شامة: الروضتين: جـ٢: ١١٩، حيث: دارسات في حضارة الإسلام: ١٣٨- ١٣٩.،

Stevenson ; The Crusaders ; ٢٥٥. H. Gibb; " The Rise of Saladin; " Setton" The Crusaders' Vol. ١; ٥٨٦. Lane Pool ; A Hist of Egypt. ٢٠٦.

(وتغلب صلاح الدين على استنزاف جيشه وضحى بكل المصالح الأخرى من أجل تحقيق الهدف في أخذ صور، وهذا يدل على، مواظبته في حصار صور ورغبته في ملكها).

ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: ٣٤١-٣٤٢.

(٢) دريد نوري: سياسة صلاح الدين: ٣٠٤. ويرى دريد بأن (إرساله للصليبيين المغلوبين على أمرهم إلى هاتين المدينتين (صور والقدس) كان تكتيكا عسكريا، منه قصد به إشغال الفرنج بمهمة الانتقال وإضعاف مقاومتهم، لأن القدس وصور سوف تصبحان بيده إذا ما نجحت سياسته) أما عدم نجاح سياسته فلأنه (لم يكن يتوقع مجرى الأحداث في المستقبل ولم يكن له علم بأن حملة صليبية ثالثة ستكون قوية، وستضم أعظم ملوك أوروبا النصرانية آنئذ). وستضم أعظم ملوك أوروبا النصرانية آنئذ).

Stevenson ; Ibid; ٢٥٥,

السلطان صلاح الدين كانت حكيمة في تركه لصور، حيث أن حصارها قبل مدن الساحل الأخرى يستغرق منه ذلك وقتا طويلاً، وهذا يتيح الفرصة للأساطيل الأوروبية في البحر المتوسط لمساعدتها وشحن غيرها من مدن فلسطين الساحلية وخير مثال على ذلك وصول أسطول فرنجي عقب فتح عكا بثلاثة أيام سنة ٥٨٣هـ/ ١٣ تموز ١١٨٧م) بقيادة كونراد مونتفرات، لكنه توجه إلى صور وانضم لحاميتها بجيشه واعتدته، مما قوى تلك الحامية[١]. كما أن إقامته على حصارها مستخدما القوة تصعب على جيشه فتح بقية الحصون التي تعداها إلى الساحل مما يهيىء الفرصة لإمداد تلك القلاع والحصون الداخلية بالمساعدة من الأساطيل الأوروبية عن طريق صور، وهذا يضعف معنويات الجيوش الإسلامية المحاربة التي بدأت تمل الحرب لما عانته في معركة حطين واستئنافها للحرب داخل أراضي المملكة اللاتينية، وهذا ما خشي السلطان صلاح الدين من وقوعه، وعانى منه عند حصاره لمدينة صور في ٢٢ رمضان سنة ٥٨٣هـ ١١٨٧م أي بعد فتح القدس [٢]. كما أن تأخر صلاح الدين في تنفيذ خطته سيؤخر تقدم جيشه الشامي بمحاذاة ساحل فلسطين جنوباً ويجعل اتصاله بالجيش المصري. بقيادة أخيه الملك العادل رهناً بوصول نجدة صليبية لمدن الساحل، وهذا يؤدي إلى تعثر التنسيق بين جيشهما[٣].

ويمكننا أن نستنتج من سياسة صلاح الدين تلك أنه كان بين أمرين خطيرين فإما أن يتبع معهم سياسة منح الأمان، وحرية الانتقال إلى أي مكان يختارونه، وإما أن يجبرهم على المكوث في حصونهم وهذا يعني نكث السلطان بعهده، إذ لم يؤثر عنه أنه نقض عهداً، كما يمكن أن يؤدي ذلك إلى عصيان من في هذه القلاع من الصليبيين، وهذا ييسر لها سبيل العصيان من جديد، وأما الخيار الأول: فتمثل في الوفاء بعهده واخذ البلاد بعد رحيل

---

(١) ابن الأثير: الكامل: جـ١١، ٥٤٤، Stevenson ; The Crusaders ; ٢٥١

(٢) الأصفهاني: ١٥٤ – ١٥٩، ابن شداد: النوادر السلطانية: ٦٧– ٦٨، ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ٢٥٤، دريد نوري. سياسة صلاح الدين: ٣٠٣. Stevenson ; Ibid; ٢٥٥.

(٣) (لم يكن صلاح الدين يتوقع حصار عكا وقدوم الحملة الصليبية الثالثة). Stevenson ; The Ibid ; ٢٥١.

أهلها إلى صور[١] التي أصبحت أكبر تجمع للصليبيين إذ التقى فيها سكان القلاع والمدن الساحلية وسكان القدس. وبعد أن نراجع صلاح الدين عن حصار صور اتجه بجيشه من عكا إلى أراضي إمارة طرابلس، وأرسل نجدات لحصار قلاع المملكة اللاتينية المتبقية في الشمال، فاستسلمت له قلعة هونين في سنة ٥٨٣هـ/ ٢٦ كانون الأول ١١٨٧م ثم رتب على قلعة كوكب الهوى من يقاتلها وعاد إلى دمشق[٢] حيث سار شمالا باتجاه حصن الأكراد، وأغار على نواحيه كحصون صافيتا والعريمة، وفتح حصن يحمور، واستمرت الغارات على كوكب الهوى حتى آخر شهر ربيع الآخر من السنة ذاتها[٣]. ثم توجه السلطان بجيشه بمحاذاة ساحل البحر المتوسط إذ تمكن من فتح أنطرطوس وجبلة[٤] على الأمان، مقابل إطلاق أمير أنطاكية أسرى من المسلمين كانوا لديه، كما فتح حصن بكسرائيل[٥]، ومدينة اللاذقية في ٢٧ جمادي الأولى سنة ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م على الأمان على

---

(١) ابن الأثير: الكامل: جـ١٢: ٣٢، جب: دراسات في حضارة الإسلام:١٣٨.
Stevenson ; The Crusaders ; ٢٥٥.

(٢) البنداري: سنا البرق الشامي: ٣٢٣، أبو شامة: الروضتين: جـ٢: ١١٩- ١٢٠، ١٢٤ الأصفهاني: الفتح القسي: ٢٠٤، بان شداد: النوادر السلطانية ٦٨- ٧٠. ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ٢٤٧، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٢: ٥.

(٣) ابن شداد: المصدر ذاته: ٧٠. أبو شامة: المصدر ذاته: ١٢٤، ابن واصل: الصدر ذاته: جـ٢: ٢٥٥- ٢٥٦.

(٤) (جبلة) قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية. ياقوت: معجم البدان: جـ١٠٥: ٢،.... ابن شداد: المصدر ذاته: ٦٨- ٧٨، ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ٢٥٦، ٢٥٨- ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٣ – ٢٦٨، ٢٧٢، العماد الأصفهاني: المصدر ذاته ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٤٩، ٢٤٤- ٢٤٥، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٦٨، ٢٧٣. ابن الأثير: ذاته: جـ١٢: ٧، ٩-١٤، ١٧- ١٩، ٢٢-٢٣، أبو شامة: المصدر ذاته: جـ٢: ١٢٧-١٣٣، صاحب حماة: الذيل: ٢٢٣، أبو المحاسن: النجوم الزاهر: جـ٦: ٤٠، أبو الفداء: المختصر: م٢: ٩٩، ابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ١٥٠- ١٥١، مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل: ٣٥٣- ٣٥٤، ٢٥٦، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة: جـ٢: ١٤٧- ١٦١.
Stevenson; Ibid; ٢٥٨-٢٦٠, H. Gibb; "The Rise of Saladin "; Setton ; The Crusaders" Vol. ١; ٥٨٦-٥٨٧.
Lane Pool ; A Hist. of Egypt; ٢٠٩.

(٥) حصن من سواحل حمص: مقابل جبلة، في الجبال، ياقوت: معجم البلدان: جـ١: ٤٧٥. انظر الخارطة. ص ١٧٢.

أن يخرجوا بأنفسهم وأبنائهم وأموالهم باستثناء الغلال والذخائر والسلاح، كما تسلم السلطان حصن صهيون[١] على أمان أهل القدس. واستسلمت للسلطان قلاع العيد[٢] وبلا طنس[٣] كما تم له فتح قلاع بكاس[٤] وسرمانية[٥] عنوة وقلعة الشغر[٦] بالأمان، إضافة لقلاع برزيه[٧] ودربساك[٨] وبغراس[٩] كما سلمت له قلعة صفد وكوكب الهوى بالأمان في سنة ٥٨٤هـ/ ٥ كانون الثاني سنة، ١١٨٨م[١٠] وكذلك حصون الكرك والشوبك والشقيف[١١].

---

(١) حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام من أعمال حمص... وهي قلعة حصينة. ياقوت: المصدر ذاته: جـ٣: ٤٣٦. أنظر الخارطة ذاتها.

(٢) عيذو، قلعة بنواحي حلب. ياقوت: المصدر ذاته: جـ٤: ١٧١.

(٣) حصن منيع بسواحل الشام مقابل اللاذقية من أعمال حلب. ياقوت: المصدر ذاته: جـ٢: ٤٧٨، انظر الخارطة ذاتها.

(٤) قلعة من نواحي حلب على شاطئ العاصي وبها عين تخرج من تحتها. ياقوت: المصدر ذاته: جـ٢: ٤٧٥. أنظر الخارطة ذاتها.

(٥) وهي بلدة مشهورة من أعمال حلب: ياقوت: المصدر ذاته جـ٣: ٢١٥. (وهي تقع في جنوب غرب حلب).

(٦) وهي بكاس على الطريق المسلوك إلى اللاذقية وجبلة. ابن الأثير: الكامل: جـ١٢: ١٢.

(٧) وحصن برزوية قلعة صغير... وهي عن فامية في جهة الشمال والغرب على نحو مرحلة... وبرزوية في جهة الجنوب من الشغر وبكاس على مرحلة قرية، وبرزية في جهة الشرق عن صهيون، وبينها نحو مرحلة. أبو الفداء: تقويم البلدان: ٢٦٠-٢٦١.

(٨) وهي ذات قلعة مرتفعة يمر فيها النهر الأسود وهي عند بغراس في الشمال بميله إلى الشرق. أبو الفداء: المصدر ذاته: ٢٦١.

(٩) مدينة في لحف جبل اللكام بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ. ياقوت: المصدر ذاته: جـ٢: ٤٦٧.

(١٠) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٢: (حوادث سنة ٥٨٤هـ)، ابن واصل:مفرج الكروب: جـ٢: (حوادث سنة ٥٨٤هـ). ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول: ٣٨٦، أبو الفداء: المختصر: م٢ (حوادث سنة ٥٨٤هـ).

(١١) العماد الأصفهاني: الفتح القسي: ٢٦٦، ٢٨٥، ٣٥٩، ابن شداد: النوادر السلطانية: ٧٨- ٧٩، ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ٢٧١ أبو شامة: الروضتين: جـ١٣٥: ٢-١٣٩، ابن الأثير: الكامل: جـ١٢: ٢٠-٢١، ٢٧، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة: جـ٣: ق٢: ٧٣ ابن الوردي: تريخ: جـ٢: ١٥١، مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليلي: جـ١: ٣٥٠-٣٥٦.

H.Gibb; "The Rise of Salsin " ; The Crusaders ; Vol. ١; ٥٨٦, M.W. Baldwin ;: The Dcline of Jersualem "; Setton ; Ibid; Vol. ١; ٦١٩; Lane Pool ; A Hist. Of Egypt ; ٢٠٩

ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: ٣٨٦.

وعقد السلطان هدنة مع صاحب أنطاكية مدتها ثمانية شهور (من تشرين الأول ١١٨٨م إلى أيار ١١٨٩م) على أن يطلق أسرى المسلمين وذلك قبل حصد الغلال، وأمضى السلطان الشتاء في تحضيره لغزو طرابلس وأنطاكية عقب انتهاء الهدنة، لكن محاصرة جاي لوزيجنان لمدينة عكا في ٢٧ آب ١١٨٩م. قد حول أنظاره للدفاع عن هذه المدينة [١].

٤- موقف السلطان صلاح الدين من الحملة الصليبية الثالثة:

كان فتح المسلمين للقدس هو الشرارة التي أثارت الغرب لقتال المسلمين [٢]، فجهزت أوروبا حملة صليبية ثالثة بقيادة فردريك إمبراطور ألمانيا الذي وصل الى عكا في سنة ٥٨٦هـ/ ٧ تشرين أول ١١٩١م، وريتشارد ملك إنجلترا الذي وصلها في ١٣ ربيع الأول سنة ٥٨٧ هـ/ ٢٠ نيسان ١١٩١م، بينما وصل فيليب ملك فرنسا عكا في ٢٣ ربيع الأول من السنة ذاتها، حزيران ١١٩١م [٣]. وبعد أن احتشد الفرنج بصور بدأوا

---

(١) ابو شامة: المصدر ذاته: جـ٢: ١٣٣. ١; Lane Pool ; Ibid ; ٢٠٨ , H. Gibb; Ibid; Setton , Ibid ;
٥٨٦-٥٨٨ M.W. Baldwin ; Ibid; Setton ; Ibid, Vol. ١; ٦١٦-٦١٩.
(عقدت الهدنة في أيلول حيث أرسل بوهيمند زوجته لترتيب أمور الهدنة فتتم الاتفاق على تبادل الأسرى بين الطرفين، كما اشترط على أنه إذا لم يصله مساعدة من قبل المسيحيين خلال أشهر فعليه تسليم انطاكية للمسلمين).

(٢) ابن الأثير: الكامل: جـ١٢: ٦٣- ٦٤، عفاف صبرة: العلاقات بين الشرق والغرب: ٣٥، غرستاف لوبون: حضارة العرب: ٣٥٧ (حرض وليم الصوري رئيس أساقفة صور آنذاك، أوروبا على إرسال حملة صليبية ثالثة).

(٣) ابن شداد: النوادر السلطانية: ٢٤- ١٢٦، ١٤٣- ١٤٤، أبو شامة: الروضتين: جـ٢: ١٥٠-١٥١، الأصفهاني: الفتح القسي: ٣٣٠، ٤٨٤، ابن الأثير: ذاته: جـ١٢: ٤٨، ٦٣، صبحي عبد الحميد: معارك العرب الحاسمة: ١٨٤- ١٨٥.

Stevenson; The Crusaders ; ٢٦٥ , ٢٦٧.

عفاف صبرة: المرجع ذاته: ٣٦، فيليب حتي: تاريخ الشرق الأدنى: م١: ٣٣٦، حافظ حمدي: الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي: ١٢٦، غوستان لوبون: المرجع ذاته: ٣٥٧

يقومون بهجمات ضد المسلمين في محاولة لاسترجاع ما فقدوه من البلاد، وكانت بداية حصار الصليبيين لعكا في سنة ٥٨٥هـ/ ٢٨ آب ١١٨٩م[١] فاستأنفوا حصارها بقوة أكبر. وتكررت الغارات بين الطرفين فحاصر أسطول الفرنج البلد، وتراجع صلاح الدين إلى تل العيّاضية [٢]، ودارت معركة ضارية انتصر فيها الصليبيون، فعاد عليهم المسلمون وقتلوا منهم الكثير[٣] وهنا حاول السلطان صلاح الدين التوفيق بين قضيتين متعارضتين، الأولى: محاربة الصليبيين، والثانية: اختلاف أمراء المسلمين وعدوه بعضهم إلى بلادهم[٤]

١ - محادثات عكا بين المسلمين والصليبيين ونتائجها:

شدد الصليبيون حصارهم على عكا وضعفت البلد فخرج مقدم المسلمين فيها، سيف الدين المشطوب إلى ملك فرنسا طالباً تسليم البلد مقابل الأمان لحاميتها وسكانها في الخروج منها سالمين، لكنه رفض طلبه[٥] ثم عاد فطلب مقابل ذلك إطلاق جميع أسرارهم لدى المسلمين، وأن تعاد إليهم جميع البلاد الساحلية، لكن المشطوب عاد فتنازل عن البلد وما فيه مقابل سلامة السكان، وأن يعطيهم صليب الصلبوت فلم يوافقوا[٦]. وما قوى الفرنج وصول أساطيل من فرنسا والدنمارك وبيزا [٧]. ولما يئس أهل المدينة من الخلاص

---

(١) أبو شامة: المصدر ذاته: جـ٢: ١٤٢، ابن الوردي: المصدر ذاته: جـ٢: ١٥٢ - ١٥٣.

(٢) ويقع على مشارق عكا، Stevenson ; Ibid; ٢٦١

(٣) ابن شداد المصدر ذاته: ٨٢- ٨٣، ٩٤- ٩٥، الأصفهاني: المصدر ذاته: ٢٩٣، أبو شامة: المصدر ذاته: جـ٢: ١٤٢ - ١٤٣.

(٤) ابن الأثير: الكامل: جـ١: ٥٥٦ – ٥٥٧.

H.Gibb; " The Risde of Saladin " ; Setton ; The Crusaders ; Vol. ١: ٥٨٩.

(٥) الأصفهاني: الفتح القسي: ٥٠٥، ابن شداد: النوادر السلطانية: ١٥٧ - ١٥٨. ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ٣٥٧، ابن الأثير: الكامل: جـ١٢: ٦٦. Stevenson ; The Crusaders; ٢٦٨.

(٦) الأصفهاني: المصدر ذاته: ٥١٢، أبو شامة: الروضتين: جـ٢: ١٨٨، ابن شداد: المصدر ذاته: ١٦٠، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٢: ٦٦. ٢٦٩ ; Stevenson; Ibid، ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ٣٥٩. (واشترط الفرنج إعادة جميع البلاد وإطلاق جميع أسراهم). مظلوم: تاريخ الصليبيون: جـ٢: ١٣٨ (وتعاد البلاد الساحلية والقدس لولاية المسيحيين).

(٧) دريد نوري: سياسة صلاح الدين: ٣٢٢.

من مأزقهم هذا قبلوا الشروط التي عرضها عليهم الفرنج وهي أن يخرج كل من في البلد منها بنفسه وماله مقابل تسليم البلد بما فيه للفرنج، وأن يلتزم أهل البلد بدفع مبلغ مائتي ألف دينار، وبذل ألف وخمسمائة أسير من المجهولين، ومائة أسير من المعروفين وأن يرد إليهم صليب الصلبوت وعشرة آلاف دينار للمركيس (كونراد مونتفرات) وأربعة آلاف دينار لحجاجه، وذلك لوساطته[1]. فحلف الفرنج على ذلك على أن تكون مدة تحصيل المال والأسرى إلى شهرين[2].

تسلم الفرنج، البلد في ١٧ جمادي الآخرة سنة ٥٨٧ هـ/ ١٣ حزيران ١١٩١م، ونقضوا العهد الذي أبرموه مع أهلها فحبسوهم، وكان السلطان قد أنكر هذه الشروط[3] لكنه اضطر إلى قبولها لدخول الفرنج البلد، فشرع في جمع الأموال واستشار أصحابه في الأمر فأجمعوا على أن تدفع لهم المبالغ في ثلاثة شهور[4].

---

(١) الأصفهاني: الفتح القسي: ٥١٣، ابن شداد: النوادر السلطانية: ١٦١- ١٦٢ (خروجهم بالأقمشة المختصة بهم وذراريهم ونسائهم). أبو شامة: الروضتين: جـ٢: ١٨٨، ابن الأثير: الكامل: ب ١٢: ٦٧. ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ١٨٨، ابن الأثير الكامل: جـ١٢: ٦٧. ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ٣٥٩- ٣٦٠ ،خمسمائة أسير مجاهيل الأحوال)، ابن خلدون: تاريخ: جـ٥: ٣٢٦، أبو الفداء: المختصر: الجليل: جـ١: ١٠٤- ١٠٥، ابن كثير: البداية والنهاية: جـ١٢: ٣٤٤- ٣٤٥. مجير الدين الحنبلي: الإنس الجليل: جـ١: ٣٧٦ – ٣٧٨، زكي النقاش: العلاقات بين العرب والفرنج: ٦٧، أنتوني وبست: الحروب: الصليبية: ١١٥ ترجمة شكري محمود نديم، الناشر شركة النبراس للنشر والتوزيع ومؤسسة فرانكين للطباعة والنشر ١٩٦٧م، بغداد، نيويورك. كان من شروط الصلح (تسليم ١٢٠٠ قطعة ذهبية، وطلب الصليبيون الاحتفاظ بأسرارهم حتى تسليم آخر درهم من الفدية).

(٢) ابن الأثير: المصدر ذاته: ٦٧. محمود سعيد عمران: محاضرات في العلاقات بين الغرب والشرق في العصور الوسطى: ١٢.

(٣) الأصفهاني: المصدر ذاته: ٥١٣، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١: ٣٧٦، ابن واصل: ٣٦٠، ٣٦٣، صاحب حماة: الذيل: ٢٩٩، أبو الفداء: م٢: ١٠٤، مجير الدين الحنبلي: المصدر ذاته: جـ١: ٣٧٦، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: جـ٥: ق١: ٤٠٨. أبو شامة: المصدر ذاته: جـ٢: ١٨. ; Stevenson. The Crusaders ٢٧٠- ٢٦٠، ابن كثير: المصدر ذاته: جـ١٢: ٣٤٤، زكي النقاش: المرجع ذاته: ٦٧.

(٤) أبو شامة: المصدر ذاته: جـ٢: ١٨٨، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٢: ١٦٩ ;Stevenson ; Ibid ٢٧٠- ٢٧١، ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ٣٦٣.

وحضّر السلطان ما استقر عليه الاتفاق في الشهر الأول، وهـو الـصليب ومائـة ألـف دينار وستمائة أسير، وتأكد من ذلك ثقاتهم، سوى الأسرى المعينين حيث لم يكتمل تعيينهم بعد، فماطلوا حتى انتهى الـشهر الأول في ١٨ رجـب سـنة ٥٨٧هــ/ ١١٩١م، وأرسـلوا يطلبون ما عين لهم فيه، فطالبهم السلطان بإنفاذ ما اتفق عليـه مـن أسرى المـسلمين حتـى يسلمهم مطلبهم[١] فسألوه أن يقنع بأمانهم، فلم يقتنع لرفض الداوية الحلف على ذلك فما كـان مـنهم إلا أن خرجـوا في اليـوم التـالي وقتلـوا مـن في المدينـة مـن المـسلمين في مرج عكا في ٢٦ آب ١١٩١م[٢].

٢. المراسلات بين السلطان صلاح الدين والفرنج وصلح الرملة:

اتجه الصليبيون بعد دخولهم عكا إلى الجنوب، فساروا إلى قيسارية ومنهـا إلى أرسـوف حيث التقوا بالمسلمين فهزموهم ثم ساروا إلى يافا وقد أخلاها المسلمون فملكوها[٣]. وفي هذه الأثناء اجتمع الملك العادل (أخو صـلاح الـدين) بملـك الإنجليـز ريتـشارد في سـنة ٥٨٧هـ/ ٥ أيلول ١١٩١م، الذي طلب الصلح مقابل أن تعـود جميـع الـبلاد إلى الفـرنج وأن يخرج منها المسلمون، مما أغضب الملك العادل، وأخبر بذلك الـسلطان[٤] الـذي بـادر بعقد مجلس مشورته لتقرير مصير عسقلان، فتم الاتفاق على مشاغلة الملك العادل بجيـشه الفرنج في الوقت الذي يقوم فيه السلطان بتدمير عسقلان خوفاً من سـقوطها بيـد الفـرنج فيقتلون من بها من المسلمين ن ويأخذون بها القدس كما يقطعون الطريـق إلى مـصر، وبـدأ يتخريبها في ١٩ شعبان سنة ٥٨٧ هـ/ ١٢ أيلول ١١٩١م[٥]، وفي هذه الأثناء أعـاد الملـك

---

(١) الأصفهاني: الفتح القسي: ٥٢٧، ابن شداد: النوادر...،: ١٦٢ – ١٦٤، ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ٣٦٣ – ٣٦٤، أبو شامة: الروضتين: جـ٢: ١٨٨ – ١٨٩.

(٢) ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٤٥٠، ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ٧٤.

(٣) ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٤٥٠، ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ٧٤.

(٤) ابن الأثير: الكامل: جـ١١: ٤٥٠، ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ٧٤.

(٥) ابن شداد: المصدر ذاته: ١٧٨ – ١٧٩، الأصفهاني: المصدر ذاته: ٥٥٠ – ٥٥٢، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٢: ١٩٢، أبو شامة: الروضتين: جـ٢: ١٩٢، ابن الوردي: تاريخ:جـ٢: ١٥٦، ابن واصل المصدر ذاته: جـ٢: ٣٦٩، دريد نوري: المرجع ذاته: ٣٣٨-٣٣٩. Steveson ; Ibid; ٢٧٧

ريتشارد عرضه على الملك العادل في ١٢ أيلول ١١٩١م بعد أن قرر الصليبيون التوقف في يافا، وقد دعاه لذلك رغبته في العودة إلى بلاده بعد التوصل لاتفاق مع صلاح الدين، إضافة لانقسام الصليبيين على أنفسهم، لكنه أكد على مطالبته باستعادة جميع البلاد التي فتحها صلاح الدين مما جعل العادل ينسحب من مفاوضته[١].

ورحل السلطان عن عسقلان بعد خرابها إلى الرملة فخرب حصنها كما خرب كنيسة اللد ثم سار إلى القدس فعمرها وحصنها[٢]. ثم عاد إلى حصن النّطرون (اللطرون) [٣] وأمر بتخريبه فهدم[٤].

وانتهز السلطان صلاح الدين فرصة عدم الاتفاق بين العادل وريتشارد ووقوع الخلاف بين ريتشارد وكونراد مركيس صور الذي لجأ للسلطان طالباً مساعدته ضد الفرنج في ٥٨٧ هـ/ ٤. تشرين أول ١١٩١م على شروط منها: أن يعطيه السلطان "صيدا وبيروت على أن يجاهر الإفرنج بالعداوة ويقصد عكا ويحاصرها ويأخذها منهم، واشترط أن يبذل للسلطان اليمين[٥] على ذلك [٦]. فسار العدل النجيب (رسول السلطان) مع رسوله في ١٢ رمضان سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩١م واشترط على المركيس أن يبدأ بمجاهرة القوم، وحصار عكا وأخذها وإطلاق من بها وبصور من الأسرى وعند ذلك يسلم إليه الموضعين[٧] [٨]، وبالرغم من ميل السلطان لصلح المركيس لإحداق انشقاق في القوة

---

(١) دريد نوري: المرجع ذاته: ٣٤٤. Stevenson ; Ibid; ٢٧٧-٢٧٨.

(٢) ابن شداد: المصدر ذاته: ١٧٩-١٨٣، الأصفهاني: المصدر: جـ٢: ٣٧١، دريد نوري: المرجع ذاته: ٣٤٤، Stevenson; Ibid; ٢٧٧، ابن الأثير، المصدر ذاته: جـ ١٢: ٧٣- ٧٤.

(٣) Stevenson; The Crusaders ; ٢٧٧.

(٤) دريد نوري: سياسة صلاح الدين: ٣٤١، Stevenson ; Ibid ; ٢٧٧

(٥) أي حلف الإيمان على ما نصّ ليه الاتفاق.

(٦) ابن شداد: النوادر....: ١٨٣، الأصفهاني:: الفتح القسي: ٥٦٠. (كان الشرط إعطاء) المركيس مدينتي صيدا وبيروت، بالإضافة إلى صور)

(٧) وردت (الموضعان) Stevenson; Ibid; ٢٧٨-٢٧٩

(٨) ابن شداد: المصدر ذاته: ١٨٤، الأصفهاني: المصدر ذاته: ٥٦٠، ابن واصل مفرج الكروب: جـ٢: ٣٧٢، دريد نوري: المرجع ذاته: ٣٤١ (على أن تكون عكا مقراً لأعمال المركيس بعد أن يتسلمها من الصليبيين).

الصليبية[1] إلا أن العادل عارض الصلح معه، وأظهر أن الاتفاق يجب أن يكون مع ريتشارد[2].

علم ملك انجلترا بصلح المركيس فعاد إلى عكا لإبطال اتفاقه مع السلطان، وأرسل للملك العادل في استئناف مساعي الصلح بين الطرفين[3]. إذ أرسل للسلطان كتاباً يبين فيه شروطه الأساسية للصلح وهي عودة القدس للفرنج وعودة البلاد حتى نهر الأردن، وإرجاع صليب الصلبوت فرفض السلطان الشروط[4] وأرسل للملك العادل بأن يستمر في مداولات الصلح[5] وفي ٢٩ رمضان ٥٨٧هـ/ ٢٣ تشرين أول ١١٩١م حمل ابن شداد رسالة من الملك العادل إلى السلطان صلاح الدين يعرض عليه مطالب ريتشارد وشروطه في الصلح) وهي: أن يتزوج الملك العادل بأخته[6]، وأن يكون مستقر ملكها بالقدس) وأن يمنحها أخوها بلاد الساحل التي بيده من عكا إلى يافا وعسقلان، ويجعلها ملكة الساحل، وأن يكون العادل ملكاً للساحل إضافة إلى ما في يده من البلاد والإقطاع وأن يسلم إليه صليب الصلبوت، وتكون بعض القرى والحصون للداوية والإسبتارية على أن يتم تحري أسرى المسلمين والصليبيين، وأن يستقر الصلح على هذه القاعدة، وأن يرحل ريتشارد إلى بلاده، ويتم بذلك الصلح. فوافق السلطان على ما جاء فيها بعد موافقة العادل، غير أن جوانا ورجال الدين قد رفضوا هذا العرض، وفشل ريتشارد بإقناعها في

---

(١) دريد نوري: المرجع ذاته: ٣٤١.

(٢) Stevenson ; Ibid; ٢٧٩.

(٣) ابن شداد: المصدر ذاته: ١٨٦ – ١٨٧، ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ٣٧٢- ٣٧٣، دريد نوري: المرجع ذاته: ٣٤٢، Stevenson ; Ibid; ٢٧٨

(٤) ابن شداد: النوادر..: ١٨٦ – ١٨٧، ابن واصل: مفرج الكروب: ٣٧٢ – ٣٧٣، ابن كثير: البداية والنهاية: جـ١٢: ٣٤٦، قدري قلعجي: قصة الصراع بين الشرق والغرب: ٤١٠، انتوني وبست الحروب الصليبية: ١٢١.

(٥) انتوني وبست: المرجع ذاته: ١٢١.

(٦) جوان أخت ريتشارد وأرملة ملك صقيلية (وليام الثاني). دريد نوري: سياسة صلاح الدين: ٣٤٢.

أن يتنصّر العادل، وكذلك العادل رفض هذا العرض، فتوقفت بينهما المفاوضات [١] وهدف ريتشارد من هذه الشروط الإيقاع بين العادل وأخيه صلاح الدين[٢]. لكن السلطان أدرك هذا الهدف، ولكنه كان يعلم مسبقا بأن أمر الزواج لن يتم، فوافق دهاء منه وحكمة.

وفي ١٨ شوال سنة ٥٨٧هـ/ ٨ تشرين ثاني ١١٩١م اجتمع الملك العادل بريتشارد الذي حمله رسالة إلى السلطان يطلب فيها الاجتماع به، فقبل السلطان على أن يحضر معهما من يترجم لهما أقوالهما، وهذا ما لم يكن ريتشارد يتوقعه[٣] وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على سوء نية ريتشارد الذي أراد أن يتمم مع السلطان صلحه الذي يريد. وفي ١٩ شوال سنة ٥٨٧ هـ/ ١ تشرين ثاني ١١٩١م جاء صاحب صيدا[٤] رسولاً عن المركيس إلى السلطان يخبره بانضمام جماعة من عظماء الفرنج للمركيس وهو منهم فوعده السلطان بالرد عليه في وقت لاحق[٥]. وهنا يبرز ميل السلطان لإرضاء أخيه العادل بإعطاء الأولوية لصلح الملك. وقدم على السلطان رسول ريتشارد لأجل الحديث في أمر الأسرى فرفض السلطان البحث في أمرهم إلا من خلال صلح عام[٦]. ويبدو أن السلطان صلاح الدين قد وقع في حيرة بين صلح المركيس وصلح ريتشارد، فدعا مجلس المشورة لأخذ

---

(١) ابن شداد: المصدر ذاته: ١٨٨ - ١٨٩، الأصفهاني: الفتح القسي: ٥٥٥، Stevenson ; The Crusaders، ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ٣٧٢، ابن الوردي: تاريخ جـ٢: ١٥٦، دريد نوري: المرجع ذاته: ٣٤٢ (وأن يسكن مع جوان القسوس والرهبان)، قدري قلعجي: المرجع ذاته: ٤١٠، صاحب حماة: الذيل: ٣٠٠، حتي: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين: جـ٤: ٢٤٠، انتوني وبست: المرجع ذاته: ١٢١، -١٢٢ (وأن يحترم المسلمون والنصارى في المملكة الأماكن المقدسة).

(٢) دريد نوري: المرجع ذاته: ٣٤٢- ٣٤٣.

(٣) ابن شداد: النوادر السلطانية: ١٩٥.

(٤) يوسف غلام: صاحب صيدا: انظر ابن شداد: النوادر: ٢٠٠.

(٥) ابن شداد: المصدر ذاته: ١٩٥- ١٩٦، ابن الأثير: الكامل: جـ١٢: ٧٨.

(٦) ابن شداد: المصدر ذاته: ١٩٦، دريد نوري: المرجع ذاته: ٣٤٦.

رأيهم، فمال أرباب الرأي إلى صالح الملك "فان مصافاة الإفرنج للمسلمين بحيث يخالطونهم بعيدة غير مأمونة الغائلة" واستمر تردد الرسل على السلطان(١).

وفي ربيع الأول سنة ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م وصل رسول الملك العادل إلى السلطان يخبره أنه لقي الهنفري، رسولاً من قبل ملك الإنجليز يقول: " أنّا قد وافقنا على قسمة البلاد وأن كل من في يده شيء فهو له، فان كان ما في أيدينا زائداً أخذتم في مقابلته ما يقابل الزيادة مما يخصّنا، وان كان ما في أيديكم أكثر فعلنا كذلك، ويكون القدس لنا ولكم فيه الصخرة" فوافق السلطان على هذا الأمر وأبلغ الملك العادل بذلك (٢).

وفي هذه الأثناء وصل يوسف غلام صاحب صيدا يعرض الصلح مع السلطان فأجابه على شروط منها " أن يقاتل أبناء جنسه ويباينهم " ومنها " أن يطلق لنا كل أسير مسلم في مملكته " ومنها" إن فوض الإنكتار إليه أمر البلاد أمر يجري بينهم كان الصلح بيننا وبينه على ما استقر بيننا وبين الإنكتار ما عدا عسقلان وما بعدها فلا يدخل في الصلح وتكون الساحليات له وما في أيدينا لنا، وفي الوسط مناصفة"، وسار الرسول على هذه القاعدة (٣).

واستأنف المركيس مراسلاته مع السلطان، الذي لم يرغب في الصلح مع ريتشارد وذلك لرغبته في طرد الصليبيين من بلاده (٤). وفي ٦ ربيع الآخر سنة ٥٨٨هـ/ ٢٢ نيسان ١١٩٢م، وصل صاحب صيدا رسولاً عن المركيس يطلب من السلطان مهلة لإقرار

---

(١) ابن شداد: المصدر ذاته: ١٩٧.

(٢) ابن شداد: المصدر ذاته: ١٩٩- ٢٠٠، اقترح ريتشارد على الملك العادل (إما أن تكون المناطق الساحلية للاتين والداخلية للمسلمين، أو قسمة البلاد جميعها مناصفة بين الطرفين، ضمن معاهدة سلام دائمة) أما نقاط الخلاف فكانت (تشدد صلاح الدين في عدم بقاء عسقلان في يد اللاتين، وعدم منحهم امتيازات في مدينة القدس). ويرى المؤرخ أميروز (أن نقطة الخلاف كانت مطالب ريتشارد بهدف قلعة الشوبك وتدميرها). الحاشية Stevenson; The Crusaders; ٢٧٩.

(٣)ابن شدادت النوادر السلطانية: ٢٠٠- ٢٠١.

(٤)نوري: سياسة صلاح الدين: ٣٤٦ (فسرّ المؤرخ شامبدور هذا الموقف برغبة صلاح الدين في توسيع دولته). Stevenson ; Ibid ; ٢٨٠.

القاعدة حتى يقرر المركيس مع الفرنج أمراً، فان تم له ذلك، فسيغادر الفرنسيون إلى بلادهم وإن تأخر في العودة إلى المسلطان بطل الصلح، فأجابه السلطان إلى ذلك لانشغال باله بأمر الشرق، وفي ١٦ ربيع الآخرة من السنة ذاتها قتل المركيس بتدبير من ريتشارد ملك إنجلترا(١) حتى لا ينقسم الصليبيون على أنفسهم فتضعف شوكتهم أمام المسلمين. ولما لم يستقر الأمر بين ريتشارد والمسلمين، فقد أغار على قافلة مصرية فنهب قسماً منها، وأسر بعض رجالها، فتقوى بما حازه وعزم على قصد لحصارها وأرسل الكندهري إلى صور وطرابلس وعكا لتجميع المقاتلة، فأخرب السلطان الآبار والصهاريج وأفسد المساه بظاهر القدس، وحصنها(٢). فاختلفت آراؤهم، واتفقوا أخيراً على الرحيل إلى لرملة (٣).

وبعد رحيل الفرنج حضر رسول الكندهري إلى السلطان، وأبلغه أن ريتشارد قد منحه ابلاد الساحلية، وطلب من السلطان إعادة البلاد إليه مقابل الصلح ويكون في خدمته، فرفض السلطان عرضه، ثم وصل الرسول ثانية في ٢٣ جمادي الآخرة سنة ٥٨٨هـ/ ٧ تموز ١١٩٢م، يطلب الحديث في الصلح على عكا وصور بنفس شروط المركيس، فعاد جواب السلطان إليه بأن " نعطي عكا ونصالح على مال ويتركنا والإنكتار

---

(١) ابن شداد: النوادر....: ٢٠٢، الأصفهاني: الفتح القسي: ٥٨٩، ٥٩٢ ابن الأثير: الكامل: جـ١٢: ٧٨، ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ٣٨١- ٣٨٤، ابن كثير: البداية والنهاية: جـ١٢: ٣٤٦ (أرسل إليه ملك الإنجليز اثنين من الفداوية فقتلوه). دريد نوري: سياسة.....: ٣٤٧، (قتل المركيس في ١٣ ربيع الآخر).

(٢) ابن شداد: المرجع ذاته: ٢١١، الأصفهاني: المصدر ذاته: ٥٦٥، ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٣٧٥: ٢، ٣٨٥، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٢: ٨٢، دريد نوري: المرجع ذاته: ٣٤٨،

Stevenson ; The Crusaders; ٢٨١-٢٨٣.

(وصلت ريتشارد في نيسان أخبار بضرورة العودة إلى بلاده لكن رغبة الصليبيين في محاصرة القدس ثنته عن عزمه).

(٣) ابن شداد: المصدر ذاته: ٢١٤- ٢٢٥، ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ٣٧٤، ٣٩٠، ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٢: ٧٤، انتوني وبست: الحروب الصليبية: ١٢٩-١٣٠

على بقية البلاد" [(١)] فلم يتم بينهما أمر. وفي ٢٦ من الشهر ذاته عاد رسولهم الحاجب يوسف برسالة للسلطان يذكر فيها تسليمه ما بيده من البلاد، وأنه سيجعله في خدمة السلطان، كما طلب منه كنيسة (القيامة) كما تخلى عن بعض المطالب التي تزعج السلطان ولو أعطاه السلطان خربة قبلها، فاستشار السلطان (على ترك ما بيده من البلاد الساحلية له وما بأيدي المسلمين من القلاع الجبلية لهم، ويكون ما بينهما مناصفة، وأن تكن عسقلان وما خلفها من البلاد خراباً ليست لأي من الطرفين، وإن أرادوا قراها كانت لهم، كما منحهم كنيسة القيامة) [(٢)].

واستمرت المراسلات بين الطرفين، وفي كل مرة منها نلاحظ، اختلاف المطالب، ونستشف منها أن كلا من الطرفين قد أعياه القتال، وأثقلت كاهله الغارات، كما أن انشغال كل منهما بما يجري في بلاده كان عاملاً أقوى في استمرار المراسلات بينهما للوصول إلى حل يتيح لكل منهما التفرغ لحل مشاكله، إضافة إلى وصول رسول من قبل قطب الدين ابن قليج أرسلان إلى السلطان يخبره بوصول البابا إلى القسطنطينية بجمع غفير، ويطلب منه من يتسلم بلاده للدفاع عنها [(٣)].

وفي ٢٩ جمادى الآخرة سنة ٥٨٨هـ/ ١٣ تموز ١١٩٢م قدم جفري (رسول ريتشارد) إلى السلطان شاكراً، وطالباً منه أن يكون للفرنج في قلعة القدس عشرون رجلاً، وعدم التعرض للمسيحيين في المدينة، أما بالنسبة للبلاد فلهم منها الساحليات والجهات المنخفضة، وتبقى البلاد الجبلية للمسلمين وأخبرهم الرسول بأن الملك قد نزل عن القدس للمسلمين ما عدا حق زيارتها للحجاج المسيحيين بحيث لا يأخذ منهم شيئاً. أما عسقلان وما وراءها فتخرب، على أن يعطى الفرنج عوضاً عنها مزارعها وقراها، أما

---

(١) ابن شداد: المصدر ذاته: ٢١٥.

(٢) ابن شداد: النوادر السلطانية: ٢١٦- ٢١٧، ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ٢٩٠- ٣٩١.

(٣) ابن شداد: المصدر ذاته: ٢١٧، انتوني وبست: الحروب الصليبية: ١٢٥.

الداروم فتخرب وتكون بلادها مناصفة، ويكون للفرنج من البلاد من يافا إلى صور بأعمالها وإن وقع الخلاف على قرية كانت مناصفة [١].

وتميزت سياسة ريتشارد باللين تارة والشدة تارة أخرى وهي نفس السياسة التي انتهجها السلطان صلاح الدين فقد أرسل في ٣ رجب سنة ٥٨٨هـ/ ١٦ تموز ١١٩٢م رسولاً يحمل رسالة يطلب فيها من السلطان ترك الثلاثة أماكن عامرة، وقبوله بأن لا يكون في القدس من الرهبان أو القسوس إلا في كنيسة القيامة، وأن يكون للفرنج من الداروم إلى أنطاكية مع ترك ما في أيدي المسلمين من البلاد وان يكون الصلح عاماً [٢].

وأجاب السلطان على هذه الرسالة بأن رسلنا لدى أنطاكية، فان رجعوا بما نريد أدخلناهم في الصلح وإلا فلا، وأما ما طلبه ريتشارد من البلاد فلا يوافق المسلمون على منحها له وأن كانت قليلة الأهمية ويمكن تعويضه عما أنفقه على سور عسقلان بالوطاة [٣] من اللد، وكان الجواب في ٥ رجب ٥٨٨ هـ/ ١٨ تموز ١١٩٢م، وعاد رسول الملك في ٧ رجب فذكر للسلطان قول الملك" لا يمكن أن نخرب من عسقلان حجراً واحداً ولا يسمع عنا في البلاد مثل ذلك، وأما البلاد فحدودها معروفة ولا مناكرة فيها " مما أغضب السلطان وجعله يسير بجيشه عازماً على لقاء العدو [٤]. فسار من القدس إلى يافا وأقام عليها الحصار ولما رأى أهلها ما هم عليه من الضعف أرسلوا. رسولين لطلب الأمان فقال السلطان: " الفارس بالفارس والتركبلي بمثله والراجل بالراجل، والعاجز على قطيعة القدس" ودخل البلد عنوة فلجأ الصليبيون منها إلى القلعة، ولما سمع ريتشارد بذلك عاد عن بيروت إلى يافا، فلما عرف من بالقلعة من الفرنج الخبر عصوا ونزل ريتشارد على البلد

---

(١) ابن شداد: النوادر ابسلطانية: ٢١٧، ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ٣٩١- ٣٩٢.

(٢) ابن شداد: المصدر ذاته: ٢١٨، أبو شامة: الروضتين: جـ٢: ٢٠، ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ٣٩٢.

(٣) الوطأ: ما انخفض من الأرض بين النشاز والإشراف. المعجم الوسيط: جـ٢: ١٠٥٣. مجمع اللغة العربية المصري، مطبعة مصر، ١٩٦٠م. القاهرة.

(٤) ابن شداد: المصدر ذاته: ٢١٩، أبو شامة: المصدر ذاته: جـ٢: ٢٠٠، ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ٣٩٣.

فتراجع صلاح الدين إلى يازور[١]. وأرسل ريتشارد أبا بكر العادلي يطلب من السلطان إجابة سؤاله بالصلح لأن بلاده قد هلكت، وكان ذلك في ١٩ رجب ٥٨٨هـ/ ٢ آب ١١٩٢م[٢] وقد رد عليه السلطان بأن حديث الصلح كان في يافا وعسقلان، والآن قد خربت يافا وعسقلان، والآن قد خربت يافا فيكون لك من صور إلى قيسارية، فأخبر الرسول السلطان أن الملك يطلب منه يافا وعسقلان، وتكون عساكرهما في خدمته، فأجابه السلطان، بقسمة البلدين بينهما، فأعطى الملك يافا وما وراءهما، وأن تكون عسقلان وما وراءها للسلطان[٣].

رتب السلطان على ما يازور من يقوم بنقبها وسار إلى الرملة فخيم بها. فجاء رسول الملك يجدد الطلب في أخذ عسقلان حتى يعود إلى بلاده، فلم يجيب السلطان طلبه[٤]، لكن ريتشارد التقى بالحاجب أبي بكر العادلي على يافا فأرسل معه رسولاً طلب منه توسط الملك العادل في معنى الصلح ويستوهب له من السلطان عسقلان بحجة أن غرضه هو إقامة جاهة بين الفرنج، وإن لم يتنازل السلطان عن عسقلان، فليأخذ منه عوضاً عن خسارته في عمارته سورها. فسيرهم السلطان للملك العادل، وقد أرسل ابن شداد مؤلف

---

(١) أبو شامة: الروضتين: جـ٢: ٢٠٠، انتوني وبست: الحروب الصليبية: ١٣١.

(٢) ابن شداد: النوادر السلطانية: ٢١٩، ٢٢٣، ٢٢٦، الأصفهاني: الفتح القسي: ٥٩٨-٥٩٩، ابن الأثير: الكامل: جـ١٢: ٨٤، ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ٣٩٣-٣٩٨.

Lane Pool ; A Hist of Egypt; ٢١٠

Stevenson ; The Crusaders ; ٢٨٤- ٢٨٥.

أبو شامة: المصدر ذاته: جـ٢: ٢٠١، انتوني وبست: المرجع ذاته: ١٢٥ (وصل راهب من قبل وزراء انجلترا أخبر ريتشارد أن أخاه الأصغر قد استولى على الخزانة وأن هناك أسباباً قوية للاعتقاد بأن فيليب أغسطس كان يستعد لمعاونة جون في نصب نفسه ملكا على إنجلترا، يضاف إلى ذلك ما كانت تعنيه هذه الأخبار من انقطاع المال والمعونة عن الحملة الصليبية من انجلترا وفرنسا).

(٣) ابن شداد: المصدر ذاته: ٢٢٧- ٢٢٨، ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ٣٩٩، أبو شامة: المصدر ذاته: جـ٢: ٢٠٢.

(٤) ابن شداد: المصدر ذاته: ٢٨٨، ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ٤٠.

النوادر السلطانية) وأوصاه بإبلاغ الملك العادل أنه "إن نزلوا عن عسقلان فصالحهم فان العسكر قد ضجروا من ملازمة البيكار[١] والنفقات[٢]". لكن الملك عاد فتنازل عن عسقلان والمطالبة بالعوض عنها[٣] وأخذ بدر الدين دلدرم (رسول السلطان) يده على ذلك وأن تكون حدود البلاد على ما استقر عليه الاتفاق الأول مع الملك فذكر السلطان في الديوان[٤] يافا وأعمالها وأخرج منها الرملة ويبنا ومجد ليابة، ثم ذكر قيسارية وأعمالها وأرسوف وأعمالها وحيفا وأعمالها وعكا وأعمالها، وأخرج منها الناصرة وصفورية، فدونها جميعا في ورقة أعطاها للرسول وقال له: " هذه حدود البلاد التي تبقى في أيديكم فان صالحتم على ذلك فمبارك وليرسل الملك من يحلف، ويكون ذلك في غداة غد وإلا فليعلم أن هذا تدقيع ومماطلة ويكون الأمر قد انفصل بيننا " فعد الرسول بهذا الجواب. وعاد دلدرم من عند الملك فأخبر السلطان أن الملك لم يتخل عن أخذ العوض عما أنفقه في تحصين عسقلان، فذكّروا السلطان بذلك فأجازه، ووافق الملك ورافقت رسله بدر الدين دلدرم إلى الملك العادل تطلب إضافة الرملة إلى الملك ريتشارد فكتب الاتفاقية وشروطها في يوم الأربعاء ٢١ شعبان ٥٨٨هـ/ ٢٢ أيلول ١١٩٢م، وأن يكون الصلح لمدة ثلاثة سنين وثمانية شهور من تاريخه [٥] ويزداد فيها الرملة واللد[٦] وأوصى السلطان العدل النجيب أن يرضيهم بأحد الموضعين أو مناصفتها، وكان من القاعدة أن تكون عسقلان

---

(١) البيكار: كلمة فارسية معناها الحرب. انظر: العماد الأصفهاني: الفتح القسي: ٥٥٣، المقريزي: السلوك: جـ١: ق١: ١٠٥ حاشية (١).

(٢) ابن شداد: النوادر السلطانية: ٢٣٢-٢٣٣، ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ٤٠٢-٤٠٣.

(٣) ابو شامة: الروضتين: جـ٢: ٢٠٣ Stevenson ; The Crusaders; ٢٨٦
دريد نوري: سياسة صلاح الدين: ٣٥٤.

(٤) الدفتر يكتب فيه أسماء الجيش لأهل العطاء – الكتبة و – مكانهم. المعجم الوسيط: جـ١: ٣٠٥.

(٥) الأصفهاني: المصدر ذاته: ٦٠٥ (٢١ شعبان)، ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢:

(٦) أي تضاف إلى ما ورد ذكره في وثيقة الاتفاق المار ذكرها.

خراباً، فوافق العدل على خرابها، واشترط دخول بلاد الإسماعيلية في الصلح، كما اشترطوا دخول أنطاكية وطرابلس في الصلح بموجب خر صلح تم عقده بينهم وبين المسلمين[1].

واجتمع العدل النجيب بالملك وعرض عليه النسخة، وكان مريضاً فقال هذه يدي ووافق الكند هرى [2]، وجماعته على النسخة ورضوا باللد والرملة مناصفة، وبجميع ما في النسخة واستقرت القاعدة على حلف الأيمان عليهافي يوم الأربعاء ٢٢ شعبان فأخذوا يد الملك في خدمة السلطان وعاهدوه على الصلح على القاعدة المستقرة، وحلف جماعة من المسلمين منهم الملك العادل، والملك الأفضل وغيرهم[3]. وقد اشترط في هذه الاتفاقية على خراب عسقلان مع عدم خضوعها لأي من الطرفين كما لا يترتب لأي منهما حقوق تجارية على الطرف الآخر [4]. فكانت بذلك هدنة عامة في البر والبحر فأمر السلطان المنادي بالمناداة في الأسواق بأن الصلح قد انتظم في سائر بلاد الإسلام والفرنج، ومن رغب من الطرفين دخول بلد الطرف الآخر فله ذلك[5]. كما أرسل السلطان مائة نقاب

(١) ابن شداد: النوادر السلطانية: ٢٣٣- ٢٣٥ ابن الأثير: الكامل: جـ١٢: ٨٥- ٨٦، (الرملة – صلح): الموسوعة الفلسطينية: م٢: ٤٧٨، أبو شامة: الروضتين: جـ٢: ٢٠، ابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ١٥٨، Lane. Pool ; A hist. of Egypt; ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: ٣٨٧- ٣٨، أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامية: جـ٥: ٤٧٠-٤٧١، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: جـ٥: ق١: ٤١٨، دريد نوري: سياسة صلاح الدين: ٣٥٤، زكي النقاش، العلاقة بين العرب والفرنج: ٦٧، برجاوي: الحروب الصليبية: ٤٣٧-٤٣٨، حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام: جـ٤: ١١٠-١١١، فيليب حتي: تاريخ الشرق الأدنى: م١: ٣٦٦.

Hitti ; Syria A Short History; ١٨٥.

(٢) ابن أخت ريتشارد وهو (هنري دي شمباني)

(٣) ابن شداد: النوادر السلطانية: ٢٣٥- ٣٦، ابن الأثير: الكامل: جـ١٢: ٨٦، ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ٤٠٣- ٤٠٤، أبو الفداء: المختصر: م٢: ١٠٩، ابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ١٥٨- ١٥٩ (هدنة عامة أولها أول أيلول الموافق ٢١ شعبان وأدخلوا الإسماعيلية في الهدنة).

(٤) Stevenson ; The Crusaders ; ٢٨٦.

(٥) ابن شداد: المصدر ذاته: ٢٣٦-٢٣٧، الأصفهاني: الفتح القسي: ٦٠٥، ٦١٠، ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ٤٠٦، المقريزي: السلوك: جـ١: ق١: ١١٠، أبو شامة: الروضتين: جـ٢: ٢٠٤، ابن خلدون تاريخ: جـ٥: ص ٣٢٩.

لهدم عسقلان[١] وعمّ السلام بين المسلمين والصليبيين في الشام، إذ التقى بأمير أنطاكية في بيروت فعقد سلاماً معه على ما كان قائماً بينهما من قبل[٢] وعاد صلاح الدين إلى دمشق بعد غياب أربع سنوات وتوفي (رحمه الله) في ٢٧ صفر ٥٨٩هـ/ ٣ آذار ١١٩٣م[٣]. بينما عاد ريتشارد ملك انجلترا إلى بلاده في سنة ٥٨٨هـ/ ٩ تشرين أول ١١٩٢م[٤].

وهكذا توقف الصراع الدامي بين المسلمين والصليبيين لمدة فترة الهدنة المعقودة بينهما بعد عقدين من الزمن استمرت فيهما الغارات المدمرة التي قام بها كل من الطرفين ضد الآخر إضافة لمعركة حطين التي حطمت القوة الأساسية للجيش اللاتيني في الشام، مما استدعى قدوم حملة صليبية جديدة إلى الشام لتدعيم قوة الصليبيين واستعادة ما فقدوه من البلاد. أما الحملة الأولى فهي التي تمكنت من دخول الشام وإخضاع بلاد الساحل فيه لسيطرتها حتى استولت على القدس وسائر فلسطين حتى العقبة، بينما جاءت الحملة الثانية إلى الشام بعد سقوط الرها بيد عماد الدين زنكي بغرض إعادة احتلالها، لكنها فشلت كما فشلت الحملة الصليبية الثالثة في تحقيق الهدف الذي قدمت من أجله وهو في استرداد مدن الساحل من صور شمالا حتى الداروم جنوباً، كما نالت أول اعتراف من المسلمين بالوجود الصليبي في الشام بعقد صلح الرملة بين الطرفين في سنة ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م.

---

(١) ابن شداد: المصدر ذاته: ٢٣٧، الأصفهاني: المصدر ذاته: ٦١٠.

(٢) ابن الأثير ذاته: جـ١٢: ١٩. Stevenson ; Ibid ; ٢٨٧. دريد نوري: سياسة صلاح الدين: ٣٥٨.

(٣) ابن الأثير: ذاته: جـ١٢: ٨٧، ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ٤٠٩. دريد نوري: المرجع ذاته: ٣٥٨.

Stevenson ; Ibid ; ٢٨٧-٢٨٨.

(٤) ابن الأثير: المصدر ذاته: جـ١٢: ٨٦، ابن واصل: المصدر ذاته: جـ٢: ٤٠٦. Stevenson ; Ibid; ٢٨٧، دريد نوري: المرجع ذاته: ٣٥٧.


الذخيرة العربية



الخلاصة



عالج هذا البحث العلاقات السياسية بين إمارة دمشق في مراحلها الأربع. (السلجوقية والأتابكية والزنكية والأيوبية) وبين مملكة بيت المقدس اللاتينية منذ تأسيسها في بيت المقدس ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م إلى ما بعد سقوطها على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي إثر معركة حطين، وحتى صلح الرملة ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م. حيث أبرز هذا البحث بوضوح المشهدين السياسي والعسكري في تلك الفترة.

وقدمت لهذا البحث بفصلين: تناولت في الأول منهما الجغرافيا التاريخية لمنطقة الشام ككل بصفتها البيئة الطبيعية التي تفاعلت عليها الأحداث التاريخية والتي أفرزت تلك العلاقات السياسية، كما تناولت فيه مختصراً مبسطاً للعلاقات السياسية بين إمارة دمشق السلجوقية والخلافة الفاطمية فتبين من خلال البحث روح العداء التي سادت بين الطرفين وذلك لموقف الخلافة الفاطمية المؤيدة لحركة البساسيري ضد الخلافة العباسية[1]، إضافة لسيطرة السلاجقة على دمشق وغالب مدن الشام الداخلية أو الساحلية وإقامة الدعوة فيها للخلافة العباسية[2]. مما جعل الفاطميين يعملون على إعادة سيطرتهم على بيت المقدس في الوقت الذي كان فيه سلاجقة دمشق يساهمون في مدافعة الفرنج لمنعهم من التوغل في الشام.

ولم يقف الأمر بالفاطميين عند هذا الحد، بل راحوا يراسلون قادة الصليبيين أثناء إقامتهم على حصار أنطاكية وحتى دخولهم أراضي لبنان يعرضون عليهم تقسيم الشام بينهما بعد القضاء على قوة السلاجقة فيها[3] وهذا ما جعل السلاجقة يقفون مكتوفي الأيدي عند محاصرة الصليبيين لبيت المقدس التي كانت قد انتقلت إلى الفاطميين. كما ساءت العلاقات السياسية بين إمارة دمشق السلجوقية وبين إمارة حلب السلجوقية في

---

(١) البنداري: تاريخ آل سلجوقي: ١٨٠، أبي الحسن الحسني: أخبار الدولة السلجوقية ١٩-٢٠

(٢) ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٦٨، ٦٩، ابن القلانسي: المذيل: ١٦٦، ابن الجوزي: المنتظم: جـ٨: ٢٨٤، القلقشندي: مآثر الأنافة: جـ٥: ٢، ابن ميسر: المنتقى: جـ٢: ٤٠

(٣) ابن الأثير: الكامل جـ١٠: ٢٧٣، Stevenson ; The Crusaders ; ٢٦ سرور: سياسة الفاطميين الخارجية: ١٥٧، طباعة ونشر دار الفكر العربي ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

عهد رضوان بن تتش وذلك لرغبته في ضم دمشق وما يتبعها إلى حوزته، إضافة لنقضه العهود والمواثيق مع إمارة دمشق السلجوقية، كما تناولت الدراسة في هذا الفصل العلاقات السياسية بين إمارة دمشق الأتابكية وإمارة حلب في عهودها المختلفة (السلجوقية والأرتقية والزنكية) فقد ساءت العلاقات السياسية ما بين إمارتي دمشق في عهد ظهير الدين طغتكن، وحلب في عهد رضوان بن تتش[1] وذلك لطمع رضوان في السيطرة على دمشق.

أما في عهد الاراتقة فقد أصبحت العلاقات بينهما أكثر تعاوناً في مواجهة الصليبيين واستمرت هذه العلاقات بصورة طبيعية خلال حكم آبق سنقر البرسقي. لكن حلب أصبحت من جديد مصدر تهديد مباشر لإمارة دمشق في عهد عماد الدين زنكي بينما تغيرت هذه العلاقات بين إمارة دمشق الأتابكية وإمارة حلب في عهد نور الدين جعلتها تحرص دائما على علاقات حسنة مع الصليبيين.

أما فيما، يتعلق بعلاقة أتابكة دمشق بالسلاجقة، فكانت دمشق أشبه بإمارة مستقلة نتيجة لضعف السلاجقة وانقسامهم على أنفسهم، وتوطدت علاقاتها السياسية مع أمراء الموصل وبشكل خاص في عهد الأمير شرف الدين مودود.

تباينت العلاقات السياسية بين أتابكية دمشق والفاطميين، عما كان سائداً بين إمارة دمشق السلجوقية والخلافة الفاطمية، إذ تشير المصادر التي رجعت إليها، إلى مساعدة إمارة دمشق الأتابكية للفاطميين في موقعه الرملة في سنة ٤٩٩هـ/ ١١٠٥م. بإرسال فرقة من جيشها لمحاربة الصليبيين[2]، كما وقفت أتابكية دمشق موقف المعاضدة تجاه مدن الساحل الفاطمية خاصة في عهد ظهير الدين[3]، إضافة لموقف أبق من حصار الصليبيين لعسقلان حيث سار برفقة نور الدين زنكي لتهديد بانياس وتخفيف الضغط عن عسقلان[4].

---

(١) ابن القلانسي: المذيل: ١٨٦، ابن العديم: زبدة الحلب: جـ٢: ١٦٣، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة: ٢٠٥- ٢٥٦.

(٢) سميل: الحروب الصليبية: ٨٢. Fulcher; Expedition; ١٨٣.

(٣) ابن القلانسي: المذيل: ٢٦٠، ٢٩٠، ابن الأثير: الكامل: جـ١٠: ٤٧٩- ٤٨٠.

(٤) ابن القلانسي: المصدر ذاته: ٤٩٦- ٤٩٧.

وبينت في الفصل الأول مواقف صغار الأمراء والقبائل العربية في الشام من الوجود الصليبي فيها وتبين أن مواقفها كانت في الغالب معادية لهذا الوجود الدخيل.

أما الفصل الثاني فقد تناول بالبحث مملكة بيت المقدس وبلوغها أقصى اتساع وصلت إليه، إضافة لبحث النظام الإقطاعي في المملكة. وقد توصلت من خلال هذا الفصل لأهم المرتكزات التي قامت عليها سياسة مملكة بيت المقدس وأهمها:

بسط نفوذ مملكة بيت المقدس اللاتينية على بعض المدن والحصون وتمثل ذلك بالاستيلاء على مدن الساحل الفاطمية وعلى إقليم ما وراء نهر الأردن[1]، من طبرية شمالاً حتى العقبة على البحر الأحمر جنوباً[2]. كما قامت بغارات وقائية على مراكز الأخطار المجاورة، كالاستيلاء على عسقلان وحصن بانياس وحصن الحبيس، لما تشكله هذه المدن والحصون من تهديد مباشر لأراضي المملكة اللاتينية، إضافة لقيامهم بأعمال العيث والفساد في أراضي إمارة دمشق.

وقد عملت على حماية أطراف الدولة بشبكة متصلة من القلاع والحصون التي شيدت في الشمال كقلاع الشقيف وتبين وبانياس وهونين وعلعال وبيت الأحزان وكوكب الهوى. إضافة إلى الحصون التي شيدت على الحدود الشرقية للمملكة كحصون الكرك والشوبك[3]، إلى جانب بعض الحصون والقلاع التي شيدت في جنوب المملكة، كحصون بيت جبرين، وتل الصافية، ويبنة، هذا بالاضافة إلى تحصين أسوار مدن الساحل.

كما قامت المملكة اللاتينية بعقد الهدن والاتفاقيات ومنها ما تم عقده مع أباطرة الفلسطينية، وبعض أمراء الأرمن في شمال الشام.

---

(١) شرق الأردن

(٢) Fulcher; Ibid; ٢١٥.

(٣) Conder; The Lat. Kingdom ; ١٠٠, Prawer; The lat. Kingdom ; ٢٨٢; Fulcher; Expedition ; ٢١

وحرصت مملكة بيت المقدس على التحالف مع إمارة دمشق في فترة حكم الأسرة البورية وذلك اتقاء لأخطار عماد الدين زنكي، كما عقدت الهدنة مع إمارة دمشق لظروف خاصة بالمشاكل الداخلية التي ظهرت في عهد الملك فولك أنجز، وفي فترة حكم بلدوين الثالث، إضافة لظروف القحط والجفاف التي سادت أراضي المملكة اللاتينية، وقد ورد البحث في التحالفات والهدن التي عقدتها مملكة بيت المقدس في الفصور الثلاثة الأخيرة.

ساءت العلاقات السياسية بين الصليبيين والفاطميين حتى قبل تأسيس المملكة، أي منذ سقوط القدس في أيديهم. وتجلت هذه العلاقة بسلسلة الحملات العسكرية التي أعدها الوزير المصري الأفضل بن بدر الجمالي في سنوات ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م، ٤٩٤هـ/ ١١٠١م، و ٤٩٥هـ/ ١١٠٢م و ٤٩٦هـ/ ١١٠٣م، و ٤٩٨هـ/ ١١٠٥م، واشتبكت مع قوات بيت المقدس(١)، إضافة للغارات الثانوية التي قامت بها حامية عسقلان الفاطمية في سنوات ٥٠١هـ/ ١١٠٧م، و ٥٠٤هـ / ١١١٠م، وسنة ٥٠٨هـ/ ١١١٥م. واستمرت هذه العلاقات حتى بعد سقوط عسقلان في يد الصليبيين في سنة ٥٤٨هـ/ ١١١٠م. لكن هذه العلاقات تغيرت في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي إذ تحالف الفاطميون مع الصليبيون في الوقت الذي برز فيه الصراع على مصر بين الصليبيون ونور الدين زنكي، بالرغم من خوفهم من أطماع الصليبيين. أما نظام الإقطاع في الملكة اللاتينية، فقد طبقت المملكة فيها نظام الإقطاع الأوروبي الذي كان سائداً فيها القرن الثاني عشر الميلادي (٢). وقد كان أقرب ما يكون إلى نظام الإقطاع الفرنسي (٣)، ولعل مرد ذلك إلى أن ملوك بيت المقدس الأوائل هم أنفسهم من الفرنسيين، وبالرغم من ذلك

---

(١) ابن الأثير: الكامل: جـ١٠، ٣٦٤، ابن القلانسي: المذيل: ٢٢٧- ٢٢٩، ابن ميسر: المنتقى: جـ٢: ٧٤.
Fulcher; Ibid; ١٧٢-١٧٤.

(٢)Conder; The Lat. Kingdom ; ٧٢.
السيد الباز العريني: الحضارة والنظم الأوروبية في العصور الوسطى: ٩-١٠.

(٣) فيشر: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ١٨٣
J. Prewer; The Lat Kingdom ; ١٢٨.

فقد برزت بعض الاختلافات مع الإقطاع الفرنسي والأوروبي، إذ لم تحدد مدة الاشتراك في الحملة فيها بأربعين يوما بل تركت غير محددة [1]. كما تأثر نظام الإقطاع فيها قليلاً بالإقطاع الإسلامي الذي كان سائداً في الشرق آنئذٍ.

ومن دراسة هذا الفصل يمكن إبراز عوامل الضعف التي أصابت مملكة بيت المقدس فأثرت عليها وأهمها: وقوع بعض المشاكل الداخلية كالنزاع بين السلطة الدينية والزمنية في عهد الملك بلدوين الأول، إضافة لخروج صاحب يافا عن إرادة الملك فولك، كما دبّ النزاع بين الملك بلدوين الثالث ووالدته الملكة ميليسند مما أدى لانقسام المملكة بينهما، ثم مشكلة الوصاية على الملك بلدوين الرابع، وما نتج عنها من اضطرابات داخل المملكة اللاتينية، مما أدى إلى الحد من قدرة المملكة على التوسع وضعفها عن رد غارات المسلمين.

ويتضح اضطراب سياسة مملكة بيت المقدس في نقض التحالف المعقودة مع دمشق، كما تم بشكل خاص في عهد الملكة ميليسند وابنها بلدوين الثالث، حيث وجها الحملة الصليبية الثانية التي قدمت لاسترجاع الرها، إلى دمشق لحصارها مما أدى لإنهاء التحالف القائم بينهما، وقد ترتب على هذا الوضع سقوط دمشق في يد نور الدين زنكي الذي وحد بينها وبين حلب وهدد الملكة اللاتينية. كما أن قلة الحملات الصليبية التي قدمت إلى الشام لمساعدة الصليبيين زادت من ضعف مملكة بيت المقدس، فلم تصل إلى الشام سرى حملتين بعد تأسيس المملكة اللاتينية في سنوات ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م و ٥٨٤/ ١١٨٩م أي بعد إنهيارها في سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م. وكان لكثرة الحروب والغارات التي وقعت بين المملكة اللاتينية وإمارة دمشق، وبينها وبين الفاطميين من جهة أخرى أعمق الأثر في إضعاف قدرتها العسكرية لكثرة من قتل فيها، ولاستنزاف هذه الحركات العسكرية لمواردها المحلية. كما أدى ضعف التجارة مع المملكة في أواخر عهدها عندما عمل صلاح الدين على توجه أنظار التجار الإيطاليين للتعامل مع مصر، إضافة لسيطرته على تجارة البحر الأحمر، إلى عجز المملكة الاقتصادي.

---

(١)العريني: المرجع ذ: ٤٨، عبد الأمير محمد: حضارة أوروبا في العصور الوسطى: ٣٠٤.

وفقدت المملكة الكثير من حلفائها وأهمهم أباطرة بيزنطة خاصة في عهد الملك بلدوين الرابع حيث ساءت العلاقات بينهما وتحسنت مع السلطان صلاح الدين، إضافة لفقدانها حليفها الأرمني ثوروس الذي خلفه أخوه مليح بن لاون الذي كان حليفاً لنور الدين فساءت علاقاتهم معه، مما أضعف الوضع العسكري لمملكة بيت المقدس.

وأخيراً ضعف سيادة ملوك بيت المقدس ما بعد أملربك على إمارات الشمال اللاتينية وهي أنطاكية وطرابلس، مما أضعف الترابط القائم بينها فادى ذلك لتشتيت مجهودها الحربي.

وأما القسم الثاني من البحث فيتناول بالعرض والتحليل العلاقات السياسية بين إمارة دمشق في عهودها (الأتابكية والزنكية والأيوبية) ومملكة بيت المقدس اللاتينية، وأبرز ملامح هذه العلاقات في العهد الأتابكي لإمارة دمشق ما تمثل من محاولة كل منإمارة دمشق الأتابكية، ومملكة بيت المقدس للتوسع في أراضي الأخرى، لذلك ساد النزاع الدائم بين الطرفين باسثناء بعض حالات المهادنة، التي أملتها ظروف معينة كهدنة ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م، ليضمن طغتكين الاتصال التجاري بين دمشق والقاهرة والبحر الأحمر، إضافة للمناصفات التي فرضها الفرنج على بعض أعمال دمشق ولم يكن في نية الأتابكة القضاء على الوجود الصليبي في بلاد الشام لافتقارهم إلى القوة الكافية لتحقيق هذا الهدف.

كما تميزت الفترة الثانية للعهد الأتابكي منذ سنة ٥٢٢هـ/ ١١٢٧م حتى ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م، باتجاهين متناقضين، أولهما: استئناف الصراع مع مملكة بيت المقدس الذي بدأ في المرحلة الأولى ورسمت معالمه فترات عهود تاج الملوك بوري، وشمس الملوك إسماعيل، وثانيهما: محاولة اكتساب ود الصليبيين للوقوف إلى جانب دمشق في وقت اشتدت فيه وطأة عماد الدين زنكي الذي ملك حلب وهدد إمارة دمشق مرات عديدة مما استدعى وقوفها إلى جانب الصليبيين. واستمر هذا الاتجاه في عهد حكم نور الدين في حلب الذي عمل على التقرب من حكام دمشق حتى أنه عمد إلى الزواج من ابنة معين الدين أنر أتابك

مجبر الدين آبق صاحب دمشق، وبالرغم من خرق الصليبيين لهذه التحالفات إلا أن خوف حكام دمشق من نور الدين منعهم من الرد على خرق الصليبيين لها، وأجبرهم على أن يدفعوا للصليبيين الأموال مقابل تحالفهم معها، وهذا جعل نور الدين يؤكد على أهمية السيطرة على دمشق وتوحيدها مع حلب في شمال الشام.

أما الفترة الزنكية لحكم دمشق (عهد نور الدين زنكي) فتغيرت ملامح العلاقات السياسية مع الصليبيين وتمثلت بالمسائل التالية:

مهادنة الصليبيين: عمل نور الدين منذ بداية عهده بحكم دمشق إلى المحافظة على ما كان بين إمارة دمشق الأتابكية وبيت المقدس من اتفاقيات، فاستمر في دفع الضريبة التي كانت إمارة دمشق تدفعها للصليبيين. كما عقد مهادنات أخرى مع المملكة اللاتينية في هذه الفترة، هدف منها كسب الوقت لإقرار شؤون دمشق وللتفرغ لحماية أطراف دولته الشمالية من اعتداءات قلج أرسلان السلجوقي وثوروس الأرمنى، إضافة لاستغلال الوقت في إعادة بناء ما تهدم من الحصون والقلاع اثر الزلازل التي ضربت بلاد الشام في هذه الآونة.

وعمل على اكتساب ودّ الفاطميين والتنسيق معهم لمهاجمة مملكة بيت المقدس من الشمال والجنوب في آن واحد. كما عمل نور الدين على توحيد بلاد الجزيرة الفراتية من الشرق والبلاد التابعة لإمارة أنطاكية الواقعة شرق العاص من جهة الغرب، كما حصر إمارة طرابلس في شريط ضيق يبدأ من صافيتا في الشمال وينتهي عند جبيل شمالي بيروت[1]. كما استولى نور الدين على إقليم حوران واهتم اهتماماً خاصاً ببصرى أكبر معاقله، كما ثبت حدوده الجنوبية بالاستيلاء على صرخد إذ أصبحت مملكة بيت المقدس شريطاً ساحلياً ينتهي عند المجرى الرئيسي لنهر الأردن ويمتد بعض الشيء شرقيه، كما استمر في غاراته على أراضي مملكة بيت المقدس لإضعاف سيطرتها على أراضيها، وهدف

(١)حسن مؤنس: نور الدين: ٢٧٩.

من ذلك استمرار انفتاح الطريق إلى مصر [١]. وهذا يدل على محاولة نور الدين القضاء التدريجي على مملكة بيت المقدس.

كما حرص نور الدين خلال حياته على تجنب أمرين هما:

مجيء حملة صليبية جديدة وتلافيا لذلك لم يهاجم مملكة بيت المقدس هجوماً عاماً خوفاً من إنجاد أوروبا لها. إضافة لاتحاد مملكة بيت المقدس والدولة البيزنطية عليه، وتلافيا لذلك فلم يهاجم نور الدين مدينة أنطاكية لتبعيتها الاسمية للبيزنطيين [٢].

وكان من أبرز ما عالجه هذا الفصل الصراع على مصر بين دولة نور الدين محمود ومملكة بيت المقدس. فبالرغم من عدم سعي نور الدين للاستيلاء على مصر فقد حمله على أطماع الصليبيين فيها ورغبتهم في السيطرة عليها.

وكان نور الدين في كل حملة عسكرية يرسلها إلى مصر يمثل استجابة لطلب المساعدة من قبل شاور الوزير المصري، والخليفة الفاطمي ولتشجيع الخليفة العباسي لهذه الحملات وتأييده لها. [٣]

أما فيما يتعلق بمملكة بيت المقدس اللاتينية فقد حفزتها عدة دوافع للاستيلاء على مصر وهي:

عدم دفع مصر ما اتفق عليه حكامها مع بلدوين الثالث من ضريبة وهو مبلغ مائة وستين ألف دينار [٤]. ثم اهتمام أملريك الشخصي بجنوب المملكة خاصة بعد اتحاد حلب

(١) حسين مؤنس: المرجع ذاته: ٢٧٩.

(٢) حسين مؤنس: المرجع ذاته: ٢٨٠.

يرى سهيل زكار في كتابه: الحروب الصليبية: جـ١: ٧٨ أن نور الدين (أعد قواته من اجل معركة فاصلة، وكان موقناً أن النصر سيكون حليفه وأنه لن يكون بعد فتره للصليبيين وجود في الشام، وبلغت إستعدادات نور الدين ويقينه في النصر إلى حد أنه أمر بصنع منبراً لتخطب عليه خطب الجمعة الأولى في المسجد الأقصى بعد تحريره) وقد استند زكار على هذه الرواية التي وردت عن ابن الأثير: الكامل / جـ١١: ٥٥٢.

(٣) ابن الوردي: تاريخ: جـ٢: ١١١. W, of Tyre; A Hist. of Deeds; Vol. ٢; ٣١٣-٣١٤.

(٤) رنسيمان: تاريخ: جـ٢: ٥٤٧.

ودمشق تحت قيادة نور الدين زنكي(١). كما كانت لأملربك أطماع تجارية تتمثل في استعمال ميناء مصر الهام (الإسكندرية)(٢). إضافة لتحالف بيت المقدس مع ضرغام في ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م ثم مع شاور في نفس السنة، وفي سنة ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م. ثم كشف الصليبيين لعورات مصر ومعرفتهم التامة بها. إضافة لغني مواردها(٣). كما أن تشجيع الحامية اللاتينية الموجودة في القاهرة، ومشاركة طائفة الداوية في الحملات العسكرية على مصر كان لهما أكبر الأثير في حفز مملكة بيت المقدس على الاستعداد والتحضير لغزو مصر.

ويضاف للعوامل السابقة، الاتفاقات التي عقدها الملك أملريك مع مانويل إمبراطور بيزنطة (٤).

أما الفترة الأيوبية فقد شهدت بلاد الشام في ظلها تغيرات جذرية في النواحي السياسية والعسكرية وغيرها، وأهم ملامح هذه الفترة هي:

نجاح سياسة صلاح الدين في توحيد مصر والشام وبلاد الجزيرة، وقد ساعده على هذا الأمر عاملان، أولهما: وفاة السلطان نور الدين محمود بن زنكي وثانيهما: اضطراب أحوال الصليبيين في هذه الفترة (٥). فتمت الخطبة له في بلاد الموصل وديار بكر والديار الأرتقية بعد قطع الخطبة السلجوقية فيها. وقد حدثت نقطة تحول في استراتيجية صلاح الدين بعد هزيمة الرملة، إذ أدرك صعوبة اتخاذ مصر قاعدة لهجماته ضد الفرنج فقرر الإنتقال إلى دمشق لمتابعة جهاد الصليبيين.(٦)

---

(١) سعيد عاشور: الحركة الصليبية: جـ٢: ٦٦١.

(٢)M.W. Baldwin ; "The Lat. Setton ; The Crusaders ; Vol.١; ٥٤٩, Stevenson; The Crusaders ; ١٨٧; A Hist. of Tyre; Ibid ; vol ٢; ٣٠٢.

(٣)أبو شامة: الروضتين: جـ١: ق٢: ٣٨٩،

Stevenson ; Ibid ; Vol.٢; ٣٥٠, W. Of Tyre ; Ibid ; Vol. ٢ ; ٣٥٠.

(٤)M.W. Baldwin ; Ibid; Setton ; Ibid ; Vol. ١; ٥٥٥, W. Of Tyre; Ibid ; Vol. ٢; ٣٤٨-٣٥٠.

سعيد عاشور: المرجع ذاته: جـ٢: ٦٣٣.

(٥)دريد نوري: سياسة صلاح الدين: ٢٨٢.

(٦) غوانمة: إمارة الكرك: ١١٩- ١٢٠.

كما اتبع السلطان صلاح الدين سياسة تقوم على هدم الحصون التي تشكل خطراً كبيراً على أراضي المسلمين في مصير والشام وعلى طرق القوافل الإسلامية فهاجم حصن بيت الأحزان قرب طبرية وحصن الكرك في شرقي الأردن(١). وقد انتهز صلاح الدين فرصة كسب صداقة ريموند الثالث صاحب طرابلس إثر وقوع الخلاف بينه وبين زوجته قومصية طرابلس، وزواجها من جاي لوزيجنان، وذلك لشق الصف الصليبي وإضعافه. وتركزت جهوده في البداية على حماية منطقة دمشق وذلك بتحرير أراضي الجولان مع منطقة جبل عامل وبعلبك ثم الإشراف على الطريق البري، الواصل بين مصر والشام (٢).

ثم عمل السلطان صلاح الدين على خنق تجارة مملكة بيت المقدس عن طريق توجيه نظار تجار بيزا وجنوة وفينيسيا لمصر، وإرسال أخيه الملك العادل وابنه العزيز عثمان إلى مصر تقوية لا حيث وجد نفسه مدعواً للقيام بمهمة طرد الصليبيين من فلسطين وسوريا "وهذه هي الناحية التي أبصرها معاصرون وافترضت الأجيال التالية بأنها كل غرضه"(٣).

كما عمل صلاح الدين على كسب صداقة إسحق أنجليوس إمبراطور بيزنطة بمعاهدة ٥٧٧هـ/ ١١٨١م، وكذلك عمل على كسب صداقة إسحق كومنيناس في قبرص إضافة لسوء العلاقة بين بيزنطة ومملكة بيت المقدس في هذه الفترة.

وكانت معركة حطين ضربة قاصمة لمملكة بيت المقدس لسقوط مركزها بيت المقدس وسائر مدن الساحل والداخل باستثناء صور وبعض الحصون التي سقطت في وقت لاحق. وهذا يعني توازن الضعفاء (المسلمون والصليبيون).

---

(١) البنداري: سنا البرق الشامي: ١٦٩- ١٧٠، ابن واصل: مفرج الكروب: جـ٢: ٤٨- ٥٣، دريد ثوري: المرجع ذاته: ٢٧٩.

(٢) سهيل زكار: الحروب الصليبية: جـ١: (مدخل عام): ٨١- ٨٢.

(٣) جب: دراسات في حضارة الإسلام: ١٣٣.

ثم سياسة اللين التي اتبعها السلطان صلاح الدين في فتح المدن والمعاقل الداخلية، مما ساعد على تسهيل مهمة الفتح السريع لمدن وحصون المملكة اللاتينية وهدف صلاح الدين من السيطرة على مدن الساحل إلى قطع طرق الإمدادات من أساطيل الفرنجة والمدن والحصون الداخلية.

كما أرجأ صلاح الدين السيطرة على مدينة صور كي يجد المهاجرون من الصليبيين ملجأ لهم ويخلص من شرهم، كما أن الوضع في جيشه لم يكن يحتمل أدنى فشل في حصاره لمدينة صور مما سيؤثر على الروح المعنوية لجيش صلاح الدين إضافة لعودة عساكر الموصل والجزيرة إلى بلادها وقدوم فصل الشتاء.

قدمت الحملة الصليبية الثالث بقيادة أعظم ملوك أوروبا لويس ملك فرنسا، وريتشارد ملك انجلترا، في الوقت الذي عاد فيه أغلب أمراء الشمال المسلمين بجيوشهم، فلم تكن جيوش صلاح الدين متكافئة عددياً مع جيوش الصليبيين التي اجتمعت على عكا ودخلتها، وتبعها سقوط مدن ساحل فلسطين الأخرى حتى الداروم جنوبا.

كما أدى فشل هذه الحملة في استرجاع بيت المقدس إلى مغادرة ملك فرنسا، ودخول ريتشارد ملك انجلترا في مفاوضات مع السلطان صلاح الدين، أفضت إلى توقيع هدنة عامة في البر والبحر لمدة أربع سنين. وكانت هذه الهدنة بمثابة اعتراف رسمي بالوجود الصليبي في الشام وإحدى منجزات الحملة الصليبية الثالثة. واستقر الوضع في الشام فعاد ريتشارد إلى بلاده وتوفي السلطان صلاح الدين في سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م.

وقد كانت هذه خلاصة الجهد المبذول لإيضاح العلاقات السياسية التي كانت قائمة بين إمارة دمشق الإسلامية ومملكة بيت المقدس اللاتينية خلال القرن الثاني عشر الميلادي، فلا زال المجال قائماً لدراسة العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين هاتين القوتين في هذه الفترة، وهي بمثابة دعوة لحث الباحثين للتركيز على بلاد الشام في فترة الحروب الصليبية ومقارنة حاضر هذه المنطقة بماضيها لاستخلاص العبر وتوظيفها لخدمة وحدة وتماسك هذه البقعة وما يستلزمه ذلك من توحيد الصف وجمع الكلمة. وقد بذلت

جهدي في أن يكون المشهد السياسي والعسكري الذي مهدّ لظهور صـلاح الـدين الأيـوبي الذي كانت القدس تعيش في ضميره ولا تفارق وجدانه، وما بذلـه مـن جهـود مخلـصة في توحيد كلمة الأمّة لتحقيق هذا الهدف العظيم وكـم هـي المواقـف التـي تـستدعي التأمـل وأخذ العبرة من سيرة هذا الرجل الفذّ في وقت تعزّ فيه المواقف ويعزّ فيه.... الرجال.

جاسر العناني

٢٠٠٥/١٠/١٠





الملاحق


الذخيرة العربية

ملحق خاص بالأسر التي حكمت إمارة دمشق ومملكة بيت المقدس اللاتينية

ولاة سلاجقة الشام (دمشق وحلب)

١- أتسز ين أرق (ولي إمرة دمشق من سنة ٤٦٨ - ٤٧١هـ قتل)

٢- آل تتش بن أرسدن (ولي إمرة دمشق من سنة ٤٧١-٤٨٨ هـ قتل) من سنة (١٠٧٨ - ١٠٩٥م)

سقوط حلب وانقسام الدولة..... (٤٧٧هـ/ ١٠٨٥م) [١]

فخر الملوك رضوان بن تتش (توفي ٢٨ جمادى الأولى سنة ٥٠٧ بحلب) ولي أمرة حلب من (٤٨٨-٥٠٧) (١٠٩٥-١١١٤م)

تسمس الملوك أبو نصر دقاق بن تتش (حتي ١٨ رمضان سنة ٤٩٧هـ (بدمشق) توفي بالسم (١٠٩٥-١١٠٤)

تاج الدولة ألب أرسلان الأخرس بن رضوان بحلب (٥٠٧-٥٠٨هـ) (١١١٣-١١١٤م)

سلطان شاه بن رضوان (حلب) (تحت وصاية بدر الدين لؤلؤ) أعيدت حلب إلى إيلغازى (٥٠٨-٥١١هـ) (١١١٤-١١١٧م)

---

(١) انظر المراجع:

زمباور: معجم الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي ٣٣٤.

صلاح الدين المنجد ولاة دشمق في العصر السلجوقي: ٢٤.

رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية: جـ٢. الملحق الخامس: ٨٤٦.

فيليب حتي: تاريخ العرب مطول: جـ٢: ٧٥١.

أتابكة دمشق [1]

(٤٩٧- ٥٤٩هـ ١١٠٣م - ١١٥٤م)

١. طغتكين، أبو سعيد سيف الإسلام ظهير الدين، معتمد الدولة، أتابك دقاق بن تتش بن رضوان. (٤٩٧-٨ صفر سنة ٥٢٢هـ/ ١١٠٣-١١٢٨م)

٢. بوري، تاج الملوك أبو سعيد، بن طغتكين. (٥٢٢- رجب ٥٢٦هـ/ ١١٢٨-١١٣٢م)

٣. شمس الملوك إسماعيل بن طغتكين. (٢١ رجب ٥٢٦هـ ربيع ثاني ٥٢٩هـ/ ١١٣٢-١١٣٤م)

٤. شهاب – الدين، أبو القاسم محمود بن طغتكين. (١٤ ربيع الثاني ٥٢٩هـ- شوال ٥٣٣هـ/ ١١٣٤-١١٣٨م)

٥. جمال الدين محمد بن طغتكين. (٢٤ شوال ٥٣٣هـ شعبان ٥٣٤هـ/ ١١٣٨-١١٣٩م)

٦. مجير الدين أبق بن محمد بن طغتكين. (٨ شعبان ٥٣٤ هـ ٥٤٩هـ/ ١١٣٩-١١٥٤م)، عزلة نور الدين محمود (ت ٥٦٤هـ/ ١١٦٩م)

---

(١) زامبارو: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي: ٣٤٠.

الأمراء الزنكيون أتابكة الشام (دمشق ثم حلب) (1)

(٥٤١-٥٧٧هـ/ ١١٤٦-١١٨١م)

١- محمود بن زنكي، الملك العادل نور الدين، أبو القاسم محمود بن زنكي.
ولد سنة (٥١١هـ تولى حلب ٥٤١هـ/ ١١٤٦م). ضم دمشق إلى حلب (٥٤٩هـ/ ١١٥٤م). توفي في (١١ شوال سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م).

٢- الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود بن زنكي.
تولى دمشق سنة ٥٦٩هـ - ٥٧٠ هـ ١١٧٣- ١١٧٤م (دخول صلاح الدين دمشق نائباً عنه)، ولي حلب ٥٦٩هـ - ٥٧٧هـ/ ١١٧٣-١١٨١م وفاته.

وحل محلهم أتابكة سنجار في سنة ٥٧٧هـ/ ١٨٨١م. والأيوبيون في سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م في دمشق ثم حلب، فالموصل والجزيرة.

(١) زمباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة: ٣٤١.
ستانلي، لين بول: طبقات سلاطين الإسلام: ١٥٣.
رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية: ط٢: الملحق الخامس: ٨٤٨.
سعيد عاشور: الحركة الصليبية، صفحة مشرفة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى. جـ٢: ١٣٠٥- ١٣٠٦.

ملوك مملكة بيت المقدس الصليبية



(١) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، جـ٢: ملحق ٥: ٨٢٧.

سعيد عاشور: الحركة الصليبية: صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى: ج٢: ١٣٠٥-١٣٠٦.

La Monte ; Feudal Monarchy; p. ٢٤٩.

قائمة ضبط أهم الأسماء الأجنبية الواردة في البحث

طنكري	Tancred
ريموند (صاحب أنطاكية)	Raymond
ريموند الثاني (صاحب طرابلس)	Raymond II
كونراد (صاحب بعرين)	Conrad Mont Ferrand
بلدوين الأول (بغدوين، بردويل)	Baldwin of Bouillon
بلدوين الثاني	Baldwin of Le Bourge
جوسلين	Joscelyn
غليوم الصوري (وليم)	William Archbishop of Tyre
عموري الأول (أملريك)	Amairic I
مانويل كومنيناس	Manuel Comneus
ريموند أجيلرز	Raymond d' Aguilers
الملك جودفرو (جود فرى)	God Frey of Bouillon
بوهيمند (صاحب أنطاكية)	B ohemond
ريموند الصنجيلي	Raymond Sam Gilles
روبرت كونت فلاندرز	Robert of Flanders
روبرت النومندي	Robert of Normandy
هيوفولكنبرغ (أمير الجليل)	Hughe of Fulkenburg
روجر (صاحب أنطاكية)	Roger
يوستاس جارنيه (سيد قيسارية والجليل)	Eustace Graineir
بوهيمند الثاني (صاحب أنطاكية)	Bohemond II.
ميليسند (والدة الملك بلدوين الثالث)	Melissande

بلدوين الثالث	Baldwin III.
همفري (صاحب تبنين)	Humphry of Torn
هيوسانت أومر (أمير الجليل)	Hugh San Omer
وليم بولز	William Bolse
فولك أنجو	Fulque of Anjou
(غوي / كي) لوزيجنان (جاي)	Guy of Lisignan
الداوية	Templers
الاسبتارية	Hospitllers.
أرناط (أمير الكرك)	Reginald of Chation
بوهيمند الثالث (صاحب انطاكية)	Bohemond III
جيلبرت (رئيس فرسان الداوية)	Gilbertd' Assailly
جيوفري فولشر	Geofrey Fulcher
فرسان التيوتون	Teutonic Knights
رينيه (صاحب بانياس)	Renier DeBrose
الباب أبو جنس الثالث	Eugenis III
كونراد ألثالث (إمبراطور ألمانيا)	Conrad III
لويس السابع (ملك فرنسا)	Louis VII
تيري الألزاسي	Theirry of Aslace
برترام الصنجيلي	Bertram Alphonso Sam Gilles
أندرونيكوس	Andronicus
هيو باينز	Huge de Payns
ابن بارزان	Baldwin of Ibelin
الكسيوس الثاني (إمبراطور بيزنطة)	Allexious II

إسحق انجيلوس (ملك قبرص)	Isac Angleus
إسحق كومنيناس (إمبراطور بيزنطة)	Isac Comnenus
ثيودورا	Theodora
ريتشارد (ملك إنجلترا)	Richard (Lion Heart)
فردريك بربروسا	Froderic B arbarossa
جوانا (أخت الملك ريتشارد)	Joan

قائمة ضبط بأسماء بعض المواقع الهامة

حصن بانياس (الصبيبة)	Subeibeh
شقيف أرنون	Belfort
تل الصافية	Balanche Gard
حصن هونين	Chastel- Neuf
حصن الاكراد	Kark des chevaliers
حصن إسكندليون	Iskandalion
حصن حبس جلدك	Habis Jaldak
حصن علعال	Al-Al
حصن دير القلعة	Mons Clavianus
قلعة كوكب الهوى	Belvoir
قلعة الشوبك	Krak de Montreal
حصن الكرك	Krakdes Moabites
القيمون	Cay Mont
حصن صهيون	Saone
بعرين	Montferrand
الرها	Edessa (Urfa)
قلعة جعبر	Qal'at J'abar (Dausar)
السويدية	St.Simeon
عمواس	Emmaus
جزيرة فرعون	Le Graye



قائمة

المصادر والمراجع


الذخيرة العربية

أولاً: المصادر

١- العربية

١- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم عبد الواحد الشيباني. (٥٥٥هـ/ ١١٦٠م م – ٦٣٠هـ/ ١٢٣٤م):

١) التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل. تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات. دار الكتب الحديثة (مقدمة ١٩٦٣م).

٢) الكامل في التاريخ: مكون من اثني عشر جزءاً، استعملت الأجزاء العاشر، الحادي عشر والثاني عشر. دار بيروت ودار صادر للطباعة والنشر. بيروت. ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٢- ابن بطوطة، أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللواتي. (٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م – ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م).

الرحلة. تحقيق: على المنقري الكناني. جـ١، ط٤، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م مؤسسة الرسالة.

٣- ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني الأندلسي. (٥٤٠هـ/ ١١٤٥م- ٦١٤هـ/ ١٢١٦م).

الرحلة. تحقيق: حسين نصار. القاهرة. مكتبة مصر. ١٩٥٥م.

٤- ابن الجوزي، ابن الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي. (٥١٠ هـ/ ١١١٦م – ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م):

١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. يتكون الكتاب من عشرة أجزاء استفدت من الأجزاء التاسع والعاشر. الطبعة الأولى، ١٣٥٩هـ مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية.

٢) فضائل القدس: تحقيق وتقديم: جبرائيل سليمان جبور. ط، ١٩٧٩م.

٥- ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي (٠٠٠-٣٦٧هـ/ ٩٧٧م): صورة الأرض. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت.

٦- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (٧٣٢هـ/ ١٣٣١م-٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م):

العبر وديوان المبتدأ والخبر. الجزء الخامس. مؤسسة جمال للطباعة والنشر. ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. بيروت - لبنان.

٧- ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (٦٠٨هـ/ ١٢١١م- ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م):

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. مطبعة بولاق ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م القاهرة.

٨- ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر. (٢٩٠هـ/ ٩٠٣م):

الأعلاق النفسية. طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبع بريل سنة ١٨٩١م.

٩- ابن سناء الملك (تقريب ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م-٦٠٨هـ/ ١٢١١م).

ابن سناء الملك - حياته وشعره. تحقيق محمد إبراهيم نصر.

مراجعة: حسين محمد نصار. نشر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

١٠- ابن شاكر الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن هارون بن شاكر الحلبي (٠٠٠-٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م):

عيون التواريخ. تحقيق: فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود. جـ١٢، بغداد: وزارة الإعلام. ١٩٧٧م.

١١- ابن شاهين الظاهرية، عز الدين خليل (ق٩هـ/ ١٥م):

زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك. صححه بولس راوية طبع في مدينة باريس المحروسة بالمطبعة الجمهورية. ١٨٩٤م.

١٢- ابن شداد، القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع (٥٣٩هـ/ ١١٤٤م – ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م:

كتاب سيرة صلاح الدين المسمى النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية. طبع في مطبعة الآداب المؤيدة سنة ١٣١٧هـ على نفقة شركة طبع الكتب العربية. ونسخة أخرى اختارها محمد درويش. منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي. دمشق ١٩٧٩(التراث العربي ١٠)

١٣- ابن شداد، عز الدين أبو عبدالله محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد الأنصاري الحلبي. (ت ٦١٣هـ/ ١٢١٧م – ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م):

١) الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة. تاريخ مدينة دمشق. نشر وتحقيق وفهرسة: سامي الدهان. دمشق ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦م. المعهد الفرنسي للدراسات العربية.

٢) تاريخ لبنان والأردن وفلسطين. تحقيق: سامي الدهان. دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية. ١٩٦٢م.

١٤- ابن الطقطقي: فخر الدين أبو جعفر محمد بن علي بن طباطبا. (٦٦٠هـ/ ١٢٦١م – ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م:

الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية. بيروت: دار صادر. ١٩٦٦م.

١٥- ابن العبري، العلامة غريغوريوس، أبو الفرج بن أهرون الطبيب الملطي (٦٢٣هـ/ ١٢٣٦م – ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م):

تاريخ مختصر الدول. تصحيح وفهرسة: الأب أنطون صالحاني اليسوعي. دار الرائد اللبناني. الحازمية – لبنان ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٦- ابن العديم، كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله. ٥٨٨ هـ/ ١١٩٢م – ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م:

زبدة الحلب من تاريخ حلب. تحقيق: ساير الدهان. دمشق – المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربي. ١٩٥١-١٩٦٨م.

١٧- ابن عساكر، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله. (٤٩٩ هـ/ ١١٠٥م – ٥٧١هـ/ ١١٧٦م):

التاريخ الكبير – تاريخ دمشق الكبير. تهذيب وترتيب: عبد القادر بدران. ظ٢. منقحة. بيروت: دار المسيرة ١٣٩١هـ/ ١٩٧٩م.

١٨- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن العماد (١٠٣٢هـ/ ١٦٢٢م – ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م):

شذرات الذهب في أخبار من ذهب. ج٣ + جـ٤، دار المسيرة ط ٢. منقحة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. بيروت.

١٩- ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمراني (٠٠٠-٥٨٠هـ/ ١١٨٤م):

الأنباء في تاريخ الخلفاء. تحقيق ودراسة: قاسم السامرائي. لايدن. ١٩٧٣م.

٢٠- ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي بن أحمد بن محمد ابن عبد العزيز بن محمد بن الفرات الحنفي المصري. ولد (٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م – ٨٠٧هـ/ ١٤٠٦م):

تاريخ ابن الفرات. تحقيق ونشر: حسن محمد الشماع. المجلد الرابع. الجزء الأول. والمجلد الخامس. مطبعة حداد. بصرى – عشار.

٢١- ابن قاضي شهبة، بدر الدين (٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م – ٨٧٤هـ/ ١٤٩٦م): الكواكب الدرية في السيرة النورية أو تاريخ السلطان نور الدين محمود بن زنكي تحقيق: محمود زايد. دار الكتاب الجديد. بيروت – لبنان. ط١. بيروت ١٩٧١م.

٢٢- ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي (٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م – ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م):

ذيل تاريخ دمشق. تحقيق: سهيل زكار. دار حسان للطباعة والنشر. دمشق ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٣- ابن الكازروني، الشيخ ظهير الدين علي بن محمد البغدادي. (٦١١هـ/ ١٢١٤ك – ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م):

مختصر التاريخ من أول الزمان إلى المنتهى دولة بني العباس. حققه وعلق عليه: مصطفى جواد. وضع فهارسه وأشرف على طبعه: سالم الألوسي. المؤسسة العامة للصحافة والطباعة. مطبعة الحكومة – بغداد، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٢٤- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت ٧٠١هـ/ ١٣٠١م – ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م):

البداية والنهاية في التاريخ. الجزء الثاني عشر. ط ٤. ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. مكتبة المعارف – بيروت.

٢٥- ابن ميسر، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب (ت...-٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م).

المنتقى من أخبار مصر. انتقاه تقي الدين احمد بن علي المقريزي حققه: أيمن فؤاد سيد. المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة.

٢٦- ابن منقذ أبو المظفر مؤيد الدولة أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنان الشيرازي (ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م – ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م).

الاعتبار. حرره: فيليب حتي. الدار المتحدة للنشر والطباعة والتوزيع. مطبعة جامعة برنستون. الولايات المتحدة. ١٩٣٠م. الطبعة ١٩٨١م.

٢٧- ابن النظام، محمد بن عبدالله بن النظام الحسيني اليزوى. (ت...٧٥٣هـ / ١٣٤٢م).

العراضة في الحكاية السلجوقية. ترجمة وتحقيق: عبد النعيم حسنين، حسين أمين. مطبعة جامعة بغداد. ١٩٧٩م.

٢٨- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (٦٠٤هـ/ ١٢٠م - ٦٩٧ هـ ١٢٩٨م):
مفرج الكروب في أخبار بني أيوب. الجزء الثاني: عصر صلاح الدين نشره: جمال الدين الشيال. مطبوعات إدارة أحياء التراث القديم. المطبعة الأميرية بالقاهرة. ١٩٥٧.

٢٩- ابن الوردي، زين الدين عمر (٦٩١هـ/ ١٢٩٢م - ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م: تاريخ ابن الوردي. تتمة المختصر في أخبار البشر. تحقيق: أحمد رفعت البدراوي. بيروت: دار المعرفة. ١٩٧٠م. جـ١ + جـ٢.

٣٠- الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد الحسيني (٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م - ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م).
نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. ليدن. مطبعة بريل ١٩٦٨م. جـ٤ و جـ٦.

٣١- الاصطخري، أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي:
المسالك والممالك. تحقيق: محمد عبد العال الحيني. مراجعة: محمد شفيق غربال. الجمهورية العربية المتحدة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي. الناشر: دار القلم ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

٣٢- الأصفهاني، العماد الكاتب أبو عبدالله محمد بن صفي الدين بن أبي الفرج (٥١٩هـ/ ١١٢٥م- ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م).
١) الفتح القسي في الفتح القدسي. تحقيق وشرح: محمد محمود صبح. الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة ١٩٦٥م.
٢) البرق الشامي الذي اختصره البنداري في كتاب " سنا البرق الشامي".

٣٣- أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م - ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م):
الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية. تحقيق: محمد حلمي أحمد ومراجعة: محمد مصطفى زيادة. الجزء الأول. القسم الأول والثاني. القاهرة

– ١٩٦٢ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر. والجزء الثاني أصدرته دار الجيل – بيروت. (رواية الشيخ مجد الدين أبي المظفر يونس بن محمد الشافعي).

٣٤- أبو الفداء، إسماعيل بن علي بن محمود (٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م – ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م): المختصر في أخبار البشر. المجلد الثاني – الجزء الخامس. دار الكتاب اللبناني. بيروت. ١٩٦٤.

٣٥- أبو الفداء، الملك الأفضل نور الدين علي بن جمال الدين محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب. صاحب حماة (٠٠٠ – ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م):

تقويم البلدان. تصحيح وطبع رينود، والبارون ماك كوكين ديسلان. طبع في مدينة باريس المحروسة بدار الطباعة السلطانية سنة ١٨٤٠م.

٣٦- أبو المحاسن، جمال الدين يوسف بن تغرى بردى الأتابكي. (٨١٣-٨٧٤هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. الجزآن الخامس والسادس ط١. القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م.

٣٧- البكري، أبو عبيد، عبدالله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (٤٣٤هـ/ ١٠٤٢م – ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م):

معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. يتكون الكتاب من مجلدين في أربعة أجزاء. تحقيق: مصطفى السقا. عالم الكتب بيروت.

٣٨- البنداري، قوام الدين الفتح بن علي (حوالي ٥٩٤هـ/ ١١٩٨م – ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م):

١) سنا البرق الشامي. وهو مختصر البرق الشامي للعماد الأصفهاني. تحقيق: رمضان شش. جزءان. دار الكتاب الجديد. ط١، ١٩٧١م. بيروت – لبنان.

٢) تاريخ دولة آل سلجوق. وهو مختصر لكتاب نصرة الفترة وعصرة الفطرة للعماد الأصفهاني القاهرة. مطبعة الموسوعات ١٩٠٠م.

٣٩- الجواليقي، موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر (٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م - ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م):

المعرب في الكلام الأعجمي على حروف المعجم. تحقق أحمد محمد شاكر، ١٣٠٩هـ. أعيد طبعة بالأوفست في طهران، ١٩٦٦م.

٤٠- الحسيني، صدر الدين أبو الحسن علي بن السيد الإمام الشهيد أبو الفوارس ناصر بن علي (٥٧٥هـ/ ١١٨٠م - ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م):

١) أخبار الدولة السلجوقية. تصحيح: محمد إقبال، منشورات دار الآفاق الجديدة. بيروت. ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٢) زبدة التواريخ، أخبار الأمراء والملوك السلجوقية. تحقيق: محمد نور الدين. دار اقرأ. بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٤١- الحصيني، محمد أديب آل تقي الدين (١٢٩٢هـ/ ١٨٧٤م):

منتخبات التواريخ لدمشق. الجزء الأول. تقديم: كمال سليمان الصليبي. منشورات دار الآفاق الجديدة. بيروت.

٤٢- حمادة، محمد ماهر:

الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية والأتابية والأيوبية ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان.

٤٣- الحميري، أبو عبدالله ن محمد بن عبد المنعم (٠٠٠ - ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م):

١) الروض المعطار في خير الأقطار. حققه: إحسان عباس، مكتبة لبنان. بيروت. طبع في دار القلم للطباعة. ١٩٧٥م.

٢) صفة بلاد الشام في الروض المعطار. تحقيق: صالح حمارنة.

٤٤- الخفاجي، المصري، شهاب الدين أحمد (٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م-١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨م):

شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل. تصحيح ومراجعة: محمد عبد المنعم خفاجي. ط١، ١٣٧١هـ ١٩٥٢م. طبع ونشر مكتبة الهرم الحسيني. التجارية الكبرى. المطبعة المنيرية بالأزهر.

٤٥- الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م – ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م):

١) العبر في أخبار من غبر. الجزء الرابع، حقيق: صلاح الدين المنجد. الكويت، ١٩٦٣م.

٢) سير أعلام النبلاء، ٢٣جـ. تحقيق ونشر: بشير عواد معروف ومحيى هلال السرحان. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط١، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.

٤٦- سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي التركمي. (٥٨١هـ/ ١١٨٥م – ٦٥٤هـ/ ١٢٥٩):

مرآة الزمان في تاريخ الأعيان. القسم الأول من الجزء الثامن. ط١ مطبعة دائرة المعارف العثمانية. ١٩٥١م – ١٩٥٢م.

٤٧- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م – ٩١١هـ/ ١٥٠٥م.

١) تاريخ الخلفاء، أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة. تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد. ط. منقحة – بيروت.

٢) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة. مصطفى فهمي الكبتي. القاهرة. ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣.

٤٨- الشيال، جمال الدين:

مجموعة الوثائق الفاطمية – وثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة. المجلد الأول. جمع وتحقيق ونشر: جمال الدين الشيال. دار المعارف، ط٢ ن ١٩٦٥م.

٤٩- صاحب حماة، تاج الدين شاهنشاه بن أيوب (٠٠٠ – ٦٣٢ هـ/ ١٢٣٤م):

الذيل من منتخبات التاريخ. وهو ذيل علي كتاب النوادر السلطانية – لابن شداد. تحقيق: جمال الدين الشيال. الدار المصرية للتأليف والترجمة. ط١، ١٩٦٤م.

٥٠- صاحب حماة، محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي ٠٥٦٧هـ/ ١١٧٣م - ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م):

مضمار الحقائق وسر الخلائق. تحقيق: حسن حبشي. طباعة ونشر عالم الكتب، القاهرة: ١٩٦٨م.

٥١- صالح بن يحيى:

تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البحتريين من بني الغرب. تحقيق: فرنسيس هورس اليسوعي، كمال الصليبي وآخرون. الطبعة الكاثوليكية. بيروت -لبنان ١٨٩٨م.

٥٢- العليمي، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي أبو اليمن مجير الدين العمري (٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م -٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م): الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل. جزءان. تقديم: محمد بحر العلوم. منشورات المطبعة الحيدرية. ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

٥٣- عمارة اليمني، نجم الدين أبو محمد عمارة بن علي (٠٠٠ - ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م): النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية. صححه: هرتويغ دربزع. باريس مطبعة مرسو، ١٨٩٧م.

٥٤- العمري ابن فضل الله. (٧٠٠هـ/ ١٣٤٩م- ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م):

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. تحقيق: أحمد زكي باشا. الجزء الأول. مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م.

٥٥- الغزّي، كامل بن مصطفى بالي الحلبي

نهر الذهب في تاريخ حلب. طبع في المطبعة المارونية بحلب ١٣٤٢ - ١٣٤٥هـ.

٥٦- الفارقي، أحمد بن حسين بن يوسف. بن علي بن الأزرق. (٥١٠هـ/ ١١١٦م - ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م):

تاريخ الفارقي - الدولة المروانية. تحقيق وتقديم: بدوي عبد اللطيف عوض. مراجعه: محمد شفيق غربال. القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.

٥٧- القرماني، أبو العباس أحمد بن يوسف بن احمد الدمشقي (٠٠٠ – ٩٣٩هـ/ ١٥٣٢م):

أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ. بيروت: عالم الكتب.

٥٨- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م – ٨٢١هـ/ ١٤١٨م):

١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. فهرست وإعداد وتصنيف: محمد قنديل البقلي. إشراف وتقديم: سعيد عبد الفتاح عاشور. عالم الكتب، ١٩٧٢م.

٢) مآثر الأنافة في معالم الخلافة. الجزء الثاني. تحقيق: عبد الستار فراج. الكويت ١٩٦٤م.

٥٩- المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن مفلح: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. مكتبة خياط. بيروت – لبنان تصوير عن طبعة بريل ١٩٠٦م.

٦٠- المقيزي، تقي الدين أحمد بن علي (٧٦٦هـ/ ١٤١٨م – ٤٥هـ/ ١٤٤١م:

١) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا. تحقيق: جمال الدين الشيال. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

٢) السلوك لمعرفة دول الملوك. صححه ووضع حواشيه: محمد مصطفى زيادة. الجزء الأول – القسم الأول. مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٣٤م – ١٩٧٢م.

٣) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار – الجزءان: الأول والثاني. دار صادر – بيروت. ط جديدة بالأوفست.

٦١- المنجد، صلاح الدين:

ولاة دمشق في العهد السلجوقي. نصوص مستخرجة من كتاب تاريخ دمشق الكبير للحافظ ابن عساكر. مهد لها وحققها:

٦٢- النويري، شهاب الدين بن أحمد بن عبد الوهاب (٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م - ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م):

نهاية الأرب في فنون الأدب. الجزء الثامن والعشرون. القاهرة: للمؤسسة المصرية العامة تراثنا (سنة النشر غير مذكورة).

٦٣- الهروي، أبو الحسن علي بن أبي بكر. (ت ٦١١هـ/ ١٢١٤م):

الإشارات إلى معرفة الزيادات. جانين سورديل - طومين. دمشق، ١٩٥٣م. المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية.

٦٤- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي البغدادي (... - ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨م):

١) معجم البلدان. خمسة أجزاء. دار إحياء التراث العربي. بيروت - لبنان، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٢) معجم الأدباء. في عشرين جزءاً ضمن عشر مجلدات (سلسلة الموسوعات العربية). راجعته وزارة المعارف العمومية، الطبعة الأخيرة. دار إحياء التراث العربي. بيروت - لبنان. حقوق الطبع والنشر. أحمد زيد رفاعي بك.

٦٥- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (٠٠٠ - ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م):

كتاب البلدان. منشورات المطبعة الحيدرية. النجف. ط٣، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.

٢- المصادر المترجمة:

٦٦- الحروب الصليبية. الحملتان الأولى والثانية حسب روايات شهود عيان كتب أصلاً بالإغريقية والسريانية والعربية. اختارها وترجمها حققها وقدم لها: سهيل زكار. الكتاب جزءان. الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. دار حسان للطباعة والنشر. دمشق.

٦٧- العظيمي، محمد بن العظيمي الحلبي (٤٨٣هـ/ ١٠٩١م-٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)
"AL-Azimi Journal Asiatique, Jullet. September ١٩٣٨.C.Cahen"
(مترجم بالعربية باستثناء اسم الكتاب ومؤلفه).
٦٨- مؤلف مجهول:
أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس. القاهرة: دار الفكر العربي ١٩٥٨م.

٣- المصادر الأجنبية:

٦٩- Fuicher of Chartres ; A History of The Expendition to Jerusalem ١٠٩٥-١١٢١. Translated By Frances Ritaryan Ed. By Horolds. Fink, W. Norton & Company. Inc. New York. ١٩٦٩.

٧٠- H.A.R. Gibb; The Damascus Chronicle of The Crusades Chrounicle of IBN Al- Qalanisi ; London & Company L.T.D. ١٩٦٧. IST. Pub. ١٩٤٢. Rep. ١٩٦٧.

٧١- Michl , Joint – Labert ; Jerusalem ; Translated by Charlote Haldance. Elek Book L.T.D. Britain ١٩٥٨.

٧٢- William Archbishop of Tyre ; A History of Deeds Done Beyond The Sea. Vol. ١/٢. Translated and Annotated by Emily At Water Babcock and A.C. Krey Octagon Books , New York ١٩٧٦. Ed. Austin. P. Evans.

ثانياً: المراجع الحديثة:

١- المراجع العربية

٧٣- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري:
لسان العرب. م١٤، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م:

٧٤- الأب بطرس ضو:
تاريخ الموازنة الديني والسياسي والحضاري. الوجه العسكري الماروني من ٦٣٦م إلى ١٣٦٦٧م. أو عهد المردة والاستقلال الماروني التام الجزء الثالث. ١٩٧٦م.

٧٥- أبو بدر، شاكر أحمد:
الحروب الصليبية والأسرة الزنكية. بيروت. ١٩٧٢م.

٧٦- أحمد غسان سبانو:
مملكة حماة الأيوبية في رسالة ماجستير بالآداب – قسم التاريخ. نشر وتوزيع: دار قتيبة – دمشق. مطبعة خالد بن الوليد، ١٩٨٤م.

٧٧- الخالدي، أحمد سامح:
رحلات في ديار الشام شركة ٤ لطباعة اليافية المحدودة، ١٩٤٦م.

٧٨- أسطفان الدويهي (البطريرك الأنطاكي الماروني):
تاريخ الأزمنة. نشر وتعليق: الآباتي بطرس فهد. الرئيس العام للرهبانية المارونية المريمية ١٩٧٦م.

٧٩- أمين، حسين أحمد:
الحروب الصليبية في كتابات المؤرخين العرب المعاصرين لها. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٣م.

٨٠- أمين عبد الأمير محمد. ومحمد توفيق حسين:

١) تاريخ أوروبا في العصور الوسطى. طبع في جامعة بغداد ١٩٨٠م.

٢) تاريخ الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى. طبع في جامعة بغداد ١٩٨٠م.

٨١- برجاوي، سعيد أحمد:

الحروب الصليبية في المشرق، منشورات دار الآفاق الجديدة. بيروت: ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٨٢- تدمري، عمر عبد السلام:

تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور العربي والبيزنطي والحروب الصليبية. الجزء الأول. مؤسسة، الرسالة. دار الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع. طرابلس – لبنان. ط١، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م. ط٢، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٨٣- التقسيمات الإدارية في الجمهورية العربية السورية. دمشق: وزارة الاقتصاد الوطني، مديرية الإحصاء، ١٩٦٨م.

٨٤- تيسير بن موسى:

نظرة عربية على غزوات الإفرنج من بداية الحروب الصليبية حتى نور الدين. الدار العربية للكتاب. تونس. (لا توجد سنة النشر).

٨٥- الجندي، محمد سليم:

تاريخ معرة النعمان، الجزء الأول. تحقيق وتعليق: عمر رضا كحالة. مطبعة الترقي بدمشق. ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

٨٦- الجوهري، يسري عيد الرزاق:

جغرافية الشعوب الإسلامية. الناشر: منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٨١م.

٨٧- حسن إبراهيم حسن:

١) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي. الجزء الرابع. العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر والمغرب والأندلسي. ط٢، ١٩٨٢م. نشر وطباعة: مكتبة النهضة المصرية.

٢) تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب. ط٤، ١٩٨١م. ملتزمة الطبع والنشر: مكتبة النهضة المصرية.

٨٨- حسن حبشي:

نور الدين والصليبيون، حركة الإقامة والتجمع الإسلامي في القرن السادي الهجري، القاهرة:دار الفكر العربي (مقدمة ١٩٤٨م).

٨٩- حسنين، عبد المنعم محمد:

إيران والعراق في العصر السلجوقي. بيروت: دار الكتاب اللبناني. ١٩٨٢م.

٩٠- حمدي، حافظ أحمد:

الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي. دار الفكر العربي ١٩٥٠م.

٩١- رفيق التميمي:

الحروب الصليبية. القدس. مطبعة اللواء. ١٩٤٥م.

٩٢- زامباور:

معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي. أخرجه: وكي محمد حسن بك وحسن أحمد محمود. اشترك في ترجمته: سيده إسماعيل كاشف وآخرون.

٩٣- الزركلي، خير الدين:

الأعلام. قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين. ج٦، دار العلم للملايين. بيروت. ط٥. آب ١٩٨٠م.

٩٤- زكار، سهيل:

مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية. دار الفكر. ط٣، ١٩٧٥م.

٩٥- زيان، حامد زيان غانم:

الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية. القاهرة. دار الثقافة، ١٩٨٣م.

٩٦- سرور، محمد جمال الدين:

١) تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٦٥م.

٢) مصر في عهد الدولة الفاطمية. الناشر: مكتبة النهضة المصرية. ١٩٦٠م.

٣) سياسة الفاطميين الخارجية. طباعة ونشر: دار النشر العربي. ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

٤) الدولة الفاطمية في مصر. سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها. طباعة ونشر: دار الفكر العربي. ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. دار الاتحاد العربي للطباعة.

٩٧- سعداوي، نظير حسان:

١) المؤرخون المعارضون لصلاح الدين الأيوبي. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية. ١٩٦٢م.

٢) جيش مصر في أيام صلاح الدين. مكتبة النهضة المصرية. ط٢، ١٩٥٩م. القاهرة.

٩٨- شاكر مصطفى:

التاريخ العربي والمؤرخون: دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام. دار العلم للملايين، ١٩٧٨م. بيروت.

٩٩- الشيخ محمد الخضري:

تاريخ الأمم الإسلامية. الدولة العباسية. المكتبة التجارية الكبرى. مصر ١٩٧٠م.

١٠٠- صبرة، عفاف سيد:
العلاقات بين الشرق والغرب. علاقة البندقية بمصر والشام في الفترة من ١١٠٠-١٤٠٠. دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة ١٩٨٣م.
١٠١- الصياد، محمد محمود:
معالم جغرافية الوطن العربي. المجلد الأول. الكتاب الأول (المقدمة، ١٩٧٠م) بيروت.
١٠٢- طرخان، إبراهيم علي:
النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى. الناشر: دار الكتب العربي للطباعة والنشر. القاهرة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
١٠٣- عاشور، سعيد عبد الفتاح:
الحركة الصليبية –صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، الجزءان الأول والثاني. مطبعة الأنجلو المصرية القاهرة. ١٩٦٣م.
١٠٤- عاشور، فايد حماد محمد:
١) جهاد المسلمين في الحروب الصليبية. العصر الفاطمي والسلجوقي والزنكي. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
٢) العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى الإسلامي. في العصر الأيوبي تقديم: جوزيف نسيم. دار المعارف ١٩٨٠م.
١٠٥- عبد الجبار ناجي:
الإمارة المزيدية. دراسة في وضعها السياسي والاقتصادي والاجتماعي. ٣٨٧-٥٥٨هـ. البصرة. دار الطباعة الحديثة، ١٩٧٠.
١٠٦- عبد الحميد، صبحي:
معارك العرب الحاسمة. منشورات مكتب المنار للتوزيع. الكويت ط ١، ١٩٦٧م.

١٠٧- عبد العزيز سالم:
طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي. مطابع رمسيس، ١٩٦٧م.
١٠٨- العدوى، إبراهيم أحمد:
التاريخ الإسلامي، آفاق السياسية وأبعاده الحضارية. الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة. ١٩٧٦م.
١٠٩- العريني، السيد الباز:
١) الحضارة والنظم في العصور الوسطى. القسم الأول دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
٢) مؤرخو الحروب الصليبية. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٢م.
١١٠- العطار، عدنان:
الأطلس التاريخي للعالمين العربي والإسلامي. منشورات أسعد الدين. دمشق. القاهرة. ط١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
١١١- علوي، ضياء الدين:
الجغرافية العربية في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، الثالث والرابع الهجريين: تحقيق: عبد الله يوسف الغنيم. وطه محمد جاد. الكويت. ط٢، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.
١١٢- عماد الدين خليل:
عماد الدين زنكي. الدار العلمية. ط١، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م. بيروت.
١١٣- عمران، محمود سعيد:
محاضرات في العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى. مكتب كريدية إخوان. بيروت. (١-١٩٨) ٢٨٨ ورقة ستانسل.
١١٤- غوانمة، يوسف حسن درويش:
١) إمارة الكرك الأيوبية، بحث في العلاقات بين صلاح الدين وأرناط ودور الكرك في الصراع الصليبي في الأراضي المقدسة. منشورات بلدية الكرك. الأردن، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٢) التاريخ السياسي لشرقي الأردن في العصر المملوكي الأول (المماليك البحرية) ط٢. مزيدة ومنقحة، ١٩٨٢م. دار الفكر للنشر والتوزيع: مطبعة الشرق ومكتبتها.

١١٥- فضل الله، عبد الرؤوف:

لبنان- دراسة جغرافية، مكتب كريدية إخوان. بيروت، ١٩٨٣م.

١١٦- قسطندى، أبو حمود وآخرون:

كشاف المواقع الجغرافية، ١٩٧٢م،

١١٧- قلعجي، قدري:

صلاح الدين الأيوبي – قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الثاني والثالث عشر للميلاد. دار الكاتب العربي. جزءان.

١١٨- الكلمات والبحوث والقصائد الملقاة في الاحتفال بمؤرخ دمشق الكبير ابن عساكر في ذكرى مرور تسعماية سنة على ولادته (٤٩٩هـ/ ١٣٩٩هـ) دمشق. في ٢٦-٢٨/ ٥/ ١٣٩٩هـ- ٢٣-٢٥/ ١٩٧٩م. الجمهورية العربية السورية. وزارة التعليم العالي. المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.

١١٩- ماجد، عبد المنعم:

ظهور خلافة الفاطمين وسقوطها في مصر – التاريخ السياسي. الإسكندرية، ١٩٦٨م. دار المعارف بمصر.

١٢٠- مبارك، علي باشا:

الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة. الجزء الأول. تاريخ القاهرة ومصر منذ العصر الفاطمي حتى العصر توفيق. طبعة مصورة عن الطبعة الثانية. القاهرة، ١٩٦٩م. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٨٠م.

١٢١- محسن الأمين:

خطط جبل عامل. حققه وأخرجه ولده حسن الأمين. مطبعة الإنصاف. بيروت. ١٩٦١م.

١٢٢- محمد أحمد عبد المولى:

بنو مرداس الكلابيون في حلب وشمال الشام وسياستهم الخارجية مع دولتي الفواطم والروم (٤١٥-٤٧٢هـ/ ١٠٢٥م - ١٠٨٠م). ط١، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية.

١٢٣- محمد أحمد يعقوب:

ناحية القدس الشريف. رسالة ماجستير. قسم التاريخ - كلية الآداب. الجامعة الأردنية ١٩٨٦م.

١٢٤- محمد بن علي بن أحمد الهرفي:

شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط٣. ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٢٥- محمد سلامة النحال:

جغرافية فلسطين - دراسة طبيعية واقتصادية وسياسية. بيروت - دار العلم للملايين ١٩٦٦م.

١٢٦- محمد عدنان البخيت:

مملكة الكرك في العهد المملوكي. ط١، ١٩٧٦م.

١٢٧- محمد علي باشا:

الرحلة الشامية. دار الرائد العربي. بيروت: لبنان ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٢٨- محمد كرد علي:

خطط الشام. الجزءان الأول والثاني. طبع في المطبعة الحديثة بدمشق. ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م.

١٢٩- محمد محمد مرسي الشيخ:

الإمارات العربية في بلاد الشام في القرنين - الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٨٠ .الإسكندرية.

١٣٠- محمد مختار باشا.

التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية والقبطية. دراسة وتحقيق: محمد عمارة. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ط١. ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠! المجلد الأول.

١٣١- محمود علي عطا الله:

نيابة غزة في العهد المملوكي. دار الآفاق الجديدة. بيروت ١٩٨٦.

١٣٢- محمود، علي عبد الرحيم:

الغزو الصليبي والعالم الإسلامي. جدة: دار عكاظ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م.

١٣٣- مصطفى الحياري:

الإمارة، الطائية في بلاد الشام. وزارة الثقافة والشباب. عمان. ط١، ١٩٧٧م. المملكة الأردنية الهاشمية.

١٣٤- المطوي، محمد العمروسي:

الحروب. الصليبية في المشرق والمغرب. دار الغرب الإسلامي. بيروت ١٩٨٢م. طبعة جديدة ومنقحة.

١٣٥- المعاضيدي، خاشع:

الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي. رسالة دكتوراه من جامعة القاهرة في ١٤ تموز ١٩٧٣م. ط١، دار الحرية للطباعة – بغداد. ١٩٧٥- ١٩٧٦م.

١٣٦- المعجم الوسيط، ٢ ج، مجمع اللغة العربية. القاهرة. مطبعة مصر. ١٩٦٠م.

١٣٧- المنجد. في اللغة والإعلام. دار المشرق. بيروت: المكتبة الشرقية. ط٢.

١٣٨- مؤنس، حسين:

نور الدين محمود – سيرة مجاهد صادق. ط٢، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. الدار السعودية للنشر والتوزيع.

١٣٩- نسيم، جوزيف يوسف:
الوحدة وحركات اليقظة العربية. دار النهضة العربية للطباعة والنشر. بيروت. ١٩٨١م.

١٤٠- نصري، كامل وآخرون:
جغرافية سورية – سورية الشمالية. الجزء الأول. مطبعة الترقي بدمشق. ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م.

١٤١- النقاش، زكي:
العلاقات الاجتماعية. والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية. بيروت. دار الكتاب اللبناني. ١٩٥٨م.

١٤٢- نوري، دريد عبد القادر:
سياسة صلاح الدين الأيوبي في مصر وبلاد الشام والجزيرة. مطبعة الإرشاد. بغداد. ١٩٧٦م.

٢- المراجع المترجمة

١٤٣- آدي شير:
معجم الألفاظ الفارسية المعربة. مكتبة لبنان – ١٩٨٠م. بيروت.

١٤٤- أحد الآباء اليسوعيين:
مختصر تاريخ سورية ولبنان. المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت. ١٩٢٤م.

١٤٥- بول، ستانلي لين:
طبقات سلاطين الإسلام. ترجمه للفارسية عباس إقبال. ترجمه عن الفارسية: مكي طاهر الكعبي. حققه وقابله: علي البصري. الناشر: دار منشورات البصري. ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

١٤٦- جب، سير هاملتون:
دراسات في حضارة الإسلام: تحرير: ستانفورد شو ووليم بولك. ترجمة إحسان عباس وآخرون. ط٢، ١٩٧٤م. دار العلم للملايين بيروت.

١٤٧- حتي، فيليب:
١) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين. الجزء الثاني. ترجمة: كمال اليازجي. مراجعة وتحرير: جبرائيل جبور. دار الثقافة بيروت. نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ١٩٥٩م.
٢) خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى. المجلد الأول. الدار المتحدة للنشر. ط١. ١٩٧٥.

١٤٨- رنسيمان، ستيفن:
تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني. دار الثقافة ١٩٦٧م – ١٩٦٨م. بيروت.

١٤٩- سميل، ر. س:
الحروب الصليبية. ترجمة: سامي هاشم. المؤسسة العربية للدراسات والنشر ز ط١، ١٩٨٢م.

١٥٠- هـ. أ. ال. فيشر:
تاريخ أوروبا في العصور الوسطى. نقله الى العربية: محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني. الطبعة الثالث. دار المعارف بمصر. ١٩٥٧م.

١٥١- لوبون، غوستاف:
حضارة العرب. نقله إلى العربية: محمد عادل زعيتر. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة: ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م.

١٥٢- مونروند، مكسيموس:
تاريخ الحروب المقدسة في الشرق المدعوة حرب الصليب، ترجمة كبريو كيريو مكسيموس مظلوم. أورشليم، دير الرهبان الفرنسيسكانيين، ١٨٦٥م.

١٥٣- ميك، أندريه:

جغرافية دار الإسلام البشرية حتى منتصف القرن الحادي عشر. الجزء الأول – القسم الثاني. ترجمة: إبراهيم خوري. منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي. دمشق ١٩٨٣م.

١٥٤- وبست، أنتوني:

الحروب الصليبية. ترجمة: شكري محمود نديم. مراجعة: محمود حسين الأمين. الناشر: شركة النبراسي للنشر والتوزيع ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر. بغداد – نيويورك ١٩٦٧م.

١٥٥- Boas , Thomas Sherrer Rose ; Kingdom and Strongholds of The Crusaders. London ; Thomas and Hudsom , ١٩٧١.

١٥٦- Conder ; The Lation Kingdom of Jerusalem , ١٠٩٩ to ١٢٩١ A.D. Publish by the Committee of the Palestine Explatation fund. ٢٤, Hanover Square , London ١٨٩٧. Ams Press , New York.

١٥٧- Dahmus; Joseph, Seven Decisive Battles of. the Middle Ages. Nelson – Hall Chicago, ١٩٨٣.

١٥٨- Fedden; Henery Romilly, Crusader Castles. By Robin Fedden & Johnson. London. J. Murry , ١٩٥٧.

١٥٩- Freeman Grenvile ; The Muslim and Christian Calenders Tables For The Conversion of Muslim and Christian London. Oxford University Press New York Toronto ١٩٦٣.

١٦٠- Gabneli. Francesco , Arab Historians of The Crusaders. London , Routledge & Kegan Paul.

١٦١- Hitti ; Philip Khuri,

١) Syria ; A short History ; Being a Condensation of The Authors , History ٩f Syria including. Lebanon and Palestine. New York , The Macmillan Co., ١٩٥٩

٢) The Near East in History , A ٥٠٠ Years Story.

١٦٢- La Monte ; John , Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem ١١٠٠ to ١٢٩١. The Mediaeval Academy of America , Cambridge. Massachusetts. ١٩٣٢. Kraus reprint Com New York. ١٩٧٠.

١٦٣- Lane – P٦ol , Stanley , ١٨٥٤-١٩٣١.

١) Saladin and The Fall of The Kingdom of Jerusalem. New York. C. P. Put Mans , ١٨٩٨.

٢) A History of Egypt in The Middle Ages. Ed. New Impression London , Cass , ١٩٦٨.

١٦٤- Mayer , Hans Eberhard ; The Crusades , Translated By ; John. Gillingham. Oford University Press. ' ١٩٧٢. Reprinted , ١٩٧٦; ١٩٧٨, ١٩٨١.

١٦٥- Munro ; Dana Carleton , The Kingdom of the Crusadrs. Kennikat Press , Inc. Port Washington ; N.y. Copyright. ١٩٣٥.

١٦٦- Munro, Dana Carletonm , The Kingdom of the Crusaders Kennikat Press , Inc. port Washington, N.Y. Copyright. ١٩٣٥.

١٦٧- Nicholson , Robert Lawrance. Joscelyn III and the Fall of The Crusader States ; ١١٣٤- ١١٩٩. Leiden. E.J Brill. ١٩٧٣.

١٦٨- Prawer ; Joshua. The Lation Kingdom of Jerusalem ; European Colonialism in the Middle Ages. Weidenfetd and Nicholson , London. ١٩٧٢.

١٦٩- Setton , Kenneth M.

١) A History of the Crusades , The First Hundred years Vol. I.ed. by Marshal W. Baldwin. University of Pennsylvania Press , Philadelphia. ١٩٥٨.

٢) A History of the Crusades , The Crusaders, ١١٨٩-١٣١١. University of Pennsylvania Press, Vol. ٢ Ed. By Robert Lee Wolf and Harry W. Hazard ١٩٦٢.

١٧٠- Smith , George Adam. The Historical Georgraphy of the Holy Land. ١٣ the, Edition. New York. A. G. Armstrong and son. ١٩٠٧.

١٧١- Stevenson , W.B. The Crusaders in the East ; A brief History of the Wars of Islam with the Latins in Syria during the Twelfth and Thriteenth Centuries. Beirut , Librairie du Libn , ١٩٥٨. Published by Cambridge University Press.

ثالثاً: الموسوعات

١- العربية:

١٧٢- أحمد شلبي:
موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية – دراسة تحليلية لتاريخ الإسلام كله من مطلع الإسلام حتى الآن. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٤م.

١٧٣- البستاني، بطرس:
دائرة المعارف. الجزء الخامس. مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان. طهران. ناصر خسرو. باساثر مجيدي. دار المعرفة. بيروت – لبنان.

١٧٤- الموسوعة الفلسطينية، أربعة مجلدات. إصدار هيئة الموسوعة الفلسطينية. دمشق. ط١، ١٩٨٤م.

١٧٥- دائرة المعارف الإسلامية. انتشارات جهان تهران بوذر جمهري.

٢- الأجنبية

١٧٦- Encyclpaedia Britanic ; Vol. ٩. Inc. C ١٩٧٢. William Benton , Publisher.

١٧٧- The Encyclpaedia of Islam. Vol. ٢ Ed. By: B. Lewis, C.H. Pellat and ١. Schachet. Leiden E. Brill, ١٩٦٥ Vol. ٣. London. ١٩٧١. Luzac & Co.

رابعاً: المقالات:

١- العربية

١٧٨- جحا، فريد:
" كتابا ابن عساكر وابن شداد عن دمشق ". كلفات حول ابن عساكر (٥٦٥-٥٧٦).
١٧٩- زكي، عبد الرحمن:
" القلاع في الحروب الصليبية ". صفحات (٤٩-٨٨). المجلة التاريخية المصرية. مجلد ١٥ . القاهرة. ١٩٦٩م. الطبعة العالمية.
١٨٠- زيادة، محمد مصطفى:
" نقد كتاب رنسيهان: تاريخ الحروب الصليبية" صفحات (٢٠٩- ٢١٤). المجلة التاريخية المصرية. مجلد ٣ العدد الأول. الجمعية الملكية للدراسات التاريخية ١٩٥٠م.
١٨١- العابدي، سيد بدر الحسن:
١٨٢- " الحافظ الكبير أبو القاسم هبة الله". كلمات حول ابن عساكر (٣٣-٤٠).
١٨٣- عاشور، سعيد:
١) شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية ". صفحات (١٥- ٦٦). المجلة التاريخية المصرية. مجلد. ١٦ القاهرة مطبعة جامعة عين شمس.
٢) "بعض أضواء جديدة على ابن عساكر والمجتمع الدمشقي في عصره" كلمات حول ابن عساكر (١٩٧-٢٣٤).
١٨٤- عواد، كوركيس:
" مؤلفات ابن عساكر ". كلمات حول ابن عساكر (٤٢١-٤٧٤).
١٨٥- كحالة، عمر توفيق:
" نقد كتاب المؤرخ وليام الصوري ". مجلة كلية الآداب. العدد: ٢١. جامعة لإسكندرية، ١٩٦٧م.

١٨٦- نوري، دريد عبد القادر:
(نظم دمشق الإدارية في عهد آل طغتكن). مجلة المؤرخ العربي. العدد: ١٩. بغداد – العراق. ١٤٠١هـ / ١٩٨١م. صفحات (٩٠-١٠٤).

١٨٧- مقالة " حطين ". صفحات (٢٤٩-٢٥٠). الموسوعة الفلسطينية. مجلد٢.

١٨٨- مقالة " رفح". صفحات (٤٦٩- ٤٧٢). الموسوعة الفلسطينية. مجلد ٢.

١٨٩-مقالة "الرملة – صلح". صفحات (٤٧٨-١٧٩). الموسوعة الفلسطينية مجلد:٢.

١٩٠- مقالة " الفرنجة". صفحات (٤٤٣-٤٤٨). الموسوعة الفلسطينية: مجلد: ٣.

١٩١- مصطفى، شاكر:
" دخول الترك الغز إلى بلاد الشام ". المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام. ١٩٧٤م (٣٠٣-٣٩٨).

١٩٢- معاذ، خالد:
" دمشق في أيام ابن عساكر ". كلمات حول ابن عساكر (١٢١-١٥٤).

١٩٣- مقالة " يافا" صفحات (٦٠٧-٦٢٢). الموسوعة الفلسطينية. مجلد: ٤.

٢- المقالات المترجمة:

١٩٤- تيزتيانوا، امبرتور:
" صفحة من تاريخ العلاقات بين غليام الثاني النور ماندي وصلاح الدين الأيوبي " صفحات (٤٧-٥٨). مجلة كلية الآداب. مجلد ٥٠. جامعة الإسكندرية. مطابع رمسيس باسكندرية. ١٩٤٩م.

١٩٥- كاهن، كلود:
" نقد كتاب مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ". مجلة كلية الآداب مجلد ١٠، جامعة الإسكندرية. ١٩٥٦م.

٣- المقالات الأجنبية

١٩٦- Baldwin , Marshal W.;

١) "The Decline and Fall of Jerusalem ١١٧٤-١١٨٩". Setton ; A History of The Crusaders ; The First Hundred Years. (Philadelphia, ١٩٥٨), Vol. ١.٥٩٢.

٢) "the Latin States under Baldwin III and Amalric I, ١١٤٣-١١٧٤". Setton ; Ibid. (Philadelphia , ١٩٥٨) , Vol. ١٥٢٨-٥٦٢.

١٩٧- G.Berry , Virginia ; " The Second Crusade". Setton ; Ibid. (Philadelpia, ١٩٥٨) Vol: I, ٤٦٣-٥١٢.

١٩٨- Gibb, Hamilton A.R.

١) "The Caliphate and the Arab States" ; Setton ; Ibid , (Philadelphia, ١٩٥٨) Vol. ١; ٨١-٩٩.

٢) "The Career of Nur- Ad- Din". Setton ; Ibid ; (Philadelphia, ١٩٥٨) Vol. I; ٥١٣-٥٢٧.

٣) "The Rise of Saladin , ١١٦٩-١١٨٩" ; Setton ; Ibid ; (Philadelphia, ١٩٥٨) Vol. ١; ٥٣١-٥٨٩.

٤) "Zingi and The Fall of Edess a " ; Setton ; Ibid ; (Philadelphia, ١٩٥٨) Vol. ١; ٤٤٩-٤٦٢.

١٩٩- Fink, Harolds.

١) "The Foundation of The Latin States, ١٠٩٩-١١١٨" Setton , ibid; (Philadelphia, ١٩٥٨) Vol. ١; ٣٦٨-٤٠٩.

٢) "The Role of Damascus in the History of the Crusaders", Muslim World, XLIX ١٩٥٩.

٢٠٠- Lewis , Beranred " The Islailites and The Assassine " ; Setton ; Ibid ; (Philadelpiak ١٩٥٨) Vol. ١; ١٠٠-١٣٤.

٢٠١- Nicholson , Robert L. " The Growth of The Latin States , ١١٤٨-١١٤٤; Setton ; Ibid ; (Philadelphia , ١٩٥٨) Vol; ٤١٠-٤٤٨.

٢٠٢- Painter , Sidney ; " The Third Crusade , Richaed The Lion Hearted, Philip Augusw S" ; Setton ; A History of The Crusaders ; The Later Crusaders ١١٨٩- ١٣١١" , (Philadelpia , ١٩٦٢) Vol.٢; ٤٥-٤٨.

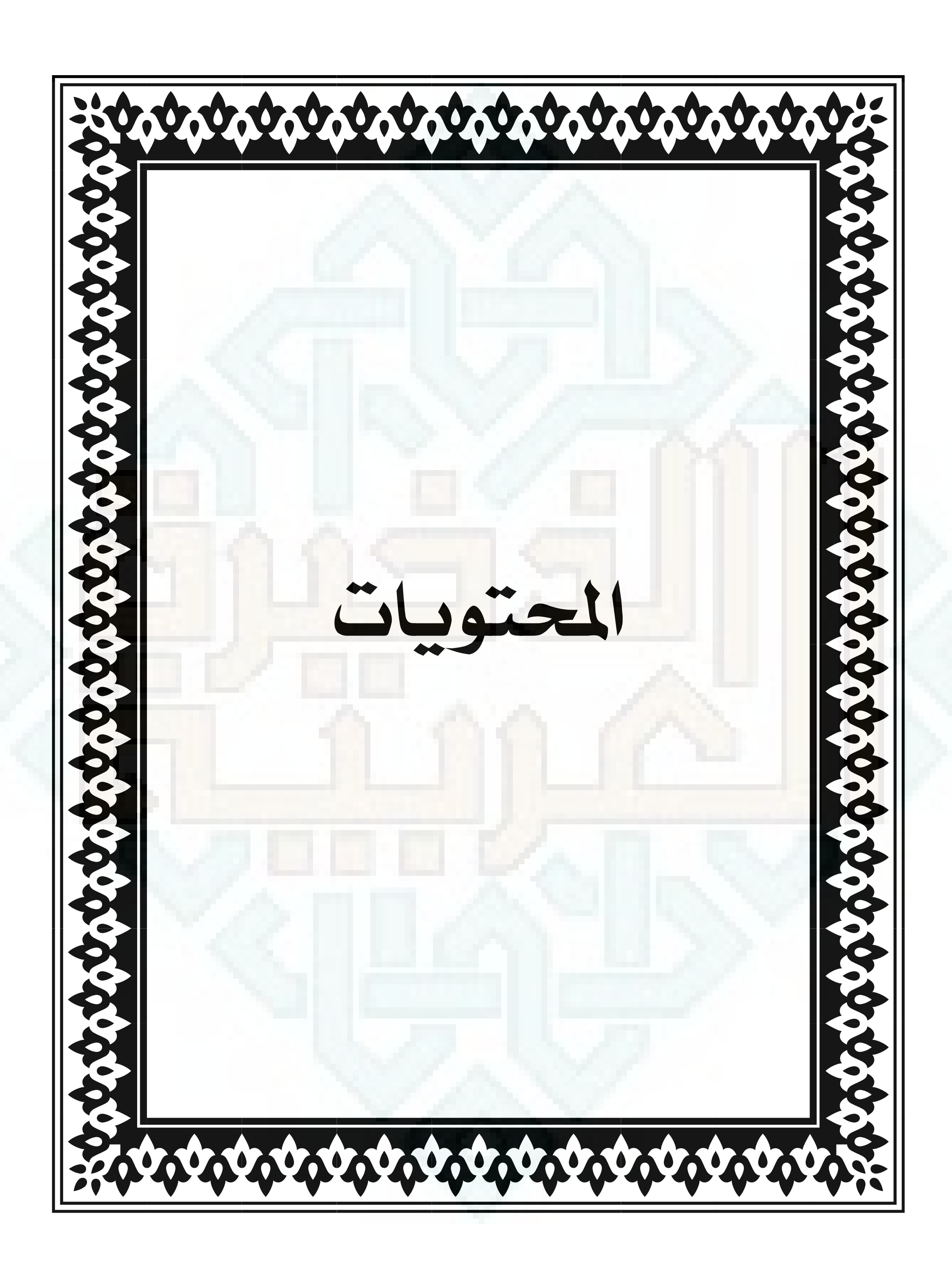
٢٠٣- Runciman , Steven. "The First Crusade Antico to Ascalon ". Setton ;: Ibid (Philadelphia, ١٩٥٨) Vol.١; ٣٦٨-٣٤٢.

٢٠٤- "Dimashk" ; The Encyclpaedia of Islam. (Leiden , ١٩٦٥), Vol.III, ٧٧-٩١.

٢٠٥- "Feudalization of The State" ; The Encycipaedia Britanica (U.S.A., ١٩٧٢). Vol.)Vol.٩; ٢٢٠.

٢٠٦- " Fulcher of Chartres (١٠٥٩- ١١٢٧) " ; The Encyclpaedia Britarnca ; Vol.٩; ٩٩٥; William Benton Publisher. ١٩٦٦.

٢٠٧- "Ikta". The Encyclpaedia of Islam , (Leiden, ١٩٧١). Vol. III; ١٠٨٨-١٠٩٩.



المحتويات


الذخيرة العربية

المحتويات

- تقديم ٧
- المقدمة ٩
- تمهـيد ١٥
- تحليل المصادر والمراجع ٢٩

الفصل الأول: الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في القرن الثاني عشر الميلادي ٤٩

أولاً: جغرافية بلاد الشام: ٥١
١ - طبيعة الشام الطبوغرافية ٥١
٢ - طرق المواصلات في بلاد الشام ٥٤
ثانياً: القوى السياسية في الشام ومختصر علاقتها السياسية: ٥٩
١ - إمارة دمشق السلجوقية: ٥٩
١ - تأسيسها وعلاقتها السياسية مع الفاطميين ٦٠
٢ - انقسام إمارة دمشق السلجوقية وموقفها من الصليبين ٦٣
٢ - إمارة دمشق الأتابكية: ٦٤
١ - ظروف تأسيسها وتطورها ٦٥
٢ - علاقتها بالسلطنة السلجوقية ٦٧
٣-علاقة السياسية مع حلب ٦٩
٤ - علاقتها السياسية مع الفاطميين في الشام ٧١
٣-مواقف حكام الإمارات الصغيرة والقبائل العربية في الشام من الصليبيين...... ٧٢

٤ - الجيش في إمارة دمشق في عهودها: ٧٩
١ - السلجوقية ٧٩
٢ - الأتابكية ٨٢
٣- الزنكية ٨٧
٤ - الأيوبية ٨٩

الفصل الثاني: تأسيس مملكة بيت المقدس اللاتينية وتوسعها: ٩٩

أولاً: قدوم الحملة الصليبية للقدس: ١٠١
- حصار الصليبيين للقدس ودخولها ١٠٣
ثانياً: تأسيس مملكة بيت المقدس اللاتينية وتوسعها: ١٠٤
١ - تأسيس وتوسع المملكة: ١٠٤
١- في عهد جودفري (٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م-٤٩٣هـ/ ١١٠٠م) ١٠٤
٢- في عهد الملك بلدوين الأول (٤٩٣هـ/ ١١٠٠م-٥١١هـ/ ١١١٨م) . ١٠٧
٣- في عهد الملك بلوين الثاني (٥١١هـ/ ١١١٨م-٥٢٦هـ/ ١١٣١م) ... ١٢٠
٤- في عهد الملك فولك (٥٢٦هـ/ ١١٣١م-٥٣٨هـ/ ١١٤٣م) ١٢٧
٥- في عهد الملك بلدوين الثالث (٥٣٨هـ/ ١١٤٣م-٥٥٧هـ/ ١١٦٢م). ١٣١
٢ - بناء القلاع لحماية أطراف المملكة ١٣٣
٣- نظام الإقطاع في مملكة بيت المقدس ١٣٩
٤ - جيش مملكة بيت المقدس في ظل نظام الإقطاع ١٤٩

الفصل الثالث: العلاقات السياسية بين إمارة دمشق الأتابكية ومملكة بيت المقدس. ١٥٥
(٤٩٨هـ/ ١١٠٤م – ٥٤٩هـ/١١٥٤م)
أولاً: المرحلة الأولى: مرحلة بناء إمارة دمشق الأتابكية وتأسيس مملكة بيت المقدس اللاتينية ١٥٧
١ – العلاقات السياسية بين الطرفين ١٥٧
٢ – تحالف المصالح بين الطرفين ١٦٤
ثانياً: المرحلة الثانية: مرحلة التوسع والصراع بين إمارة دمشق الأتابكية ومملكة بيت المقدس ١٦٥
١ – عقد الإتفاقيات والهدن لتنظيم العلاقات السياسية بين الطرفين ١٦٥
٢ – الحملة الصليبية الثانية (٥٤٣هـ/ ١١٤٨م) وأثرها في العلاقات السياسية بين الطرفين ١٧٣
٣ – تطور العلاقات السياسية بين إمارة دمشق الأتابكية وبيت المقدس، وموقف أتابكة دمشق من حصار الملك بلدوين لعسقلان ١٧٥
٤ – تحالف إمارة دمشق مع مملكة بيت المقدس اللاتينية ١٨٠

الفصل الرابع: العلاقات السياسية بين إمارة دمشق الزنكية وبين مملكة بيت المقدس اللاتينية ١٨٥
(٤٥٩هـ/ ١١٥٤م – ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م)
أولاً: محاولة الصليبيين وقف توسع نور الدين في المناطق الخاضعة لنفوذهم ١٨٧
١ – توحيد نور الدين للشام، وتوسعه على حساب مناطق نفوذ الصليبيين ١٨٨
٢ – تحالف مملكة بيت المقدس اللاتينية مع بيزنطة ضد نور الدين ١٩٣
٣ – علاقات مملكة بيت المقدس مع الإمارات الصليبية في مواجهة نور الدين .. ١٩٨

ثانياً: مصر بين دولة نور الدين ومملكة بيت المقدس اللاتينية ٢٠١

١- سياسة نور الدين زنكي نحو مصر وأثرها على

العلاقات السياسية مع مملكة بيت المقدس ٢٠١

٢- سياسة مملكة بيت المقدس وأثرها على

العلاقات السياسية مع نور الدين محمود بن زنكي ٢١١

الفصل الخامس: العلاقات السياسية بين إمارة دمشق ٢١٩

في عهد صلاح الدين الأيوبي،

ومملكة بيت المقدس اللاتينية (٥٧٠هـ/ ١١٧٤م - ٥٨٩هـ/ ١١٩٢م)

أولاً: العلاقات السياسية بين السلطان صلاح الدين ومملكة بيت المقدس

- الهدن والاتفاقات المعقودة بين الجانبين ٢٢٢

ثانياً: صلاح الدين الأيوبي والصليبيين

(٥٨٢هـ/ ١١٨٧م - ٥٨٩هـ/ ١١٩٢م) ٢٣٦

١- معركة حطين وأثرها في العلاقات السياسية بين المسلمين والصليبيين . ٢٣٦

٢- مفاوضات تسليم مدينة القدس إلى السلطان صلاح الدين ٢٤١

٣- موقف مدينة صور من توسع صلاح الدين في الشمال وأثر ذلك

على العلاقات السياسية مع الصليبيين ٢٤٣

٤- موقف السلطان صلاح الدين من الحملة الثالثة ٢٤٧

١- محادثات عكا بين المسلمين والصليبيين ونتائجها ٢٤٨

٢- المراسلات بين السلطان صلاح الدين والفرنج وصلح الرملة ٢٥٠

- الخلاصة ٢٦٠

- الملاحق ٢٧٧

- قائمة المصادر والمراجع ٢٨٧

الخرائط

- خارطة القوى السياسية في الشام حوالي سنة ٥٣٥هـ/ ١١٤٠م ٩٨
- الإقطاعات اللاتينية في فلسطين سنة ١١٨٧ م ١٤٧
- دولة نور الدين محمود بن زنكي ومملكة بيت المقدس اللاتينية في منتصف
القرن الثاني عشر الميلادي ٢١٧


تم بحمد الله
طبع في أمواج